من حكايات أجاثا كريستى

أفضل ترجمة لأحسن رواية

الجرائم الأبجدية

تأليف أجاثا كريستي

ترجمة علي الجردي



من حكايات أجاثا كريستى

أفضل ترجمة لأحسن رواية

الجرائم الأبجدية

تأليف

أجاثا كريستى

ترجمة

على الجوهرى

مكتبة ابن سينا للطباعة والنشر والتوزيع والتصدير

٧٦ شارع محمد فريد - جامع الفتح - مصر الجديدة - القاهرة ت : ٦٣٧٩٨٦٣ - ٦٣٨٩٣٧٢ فاكس : ٦٣٨٠٤٨٣

IBN SINA BOOKSHOP *Printing - Publishing - Distributing - Exporting*

76 Mohamed Farid St., Heliopolis, Cairo Tel. : (202) 6379863 - 6389372 - Fax : (202) 6380483

اسم الكتـــــاب : من حكايات أجاثا كريستى (الجرائم الأبجدية)
ترجـــــمـــــة : على الجوهرى
اسم الناشـــــر : مكتبة ابن سينا
تصميم الغلاف : إبراهيم محمد إبراهيم
رقـــم الإيــــداع : ٤٣٩٠ / ١٩٩٩
التـرقـيم الدولى 2- 394 - 271 - 977

تطلب جميع مطبوعاتنا بالملكة العربية السعودية من وكيلنا الوحيد **مكتبة الساعى للنشر والتوزيع**
الرياض - هاتف : ٤٢٥٣٧٦٨ - ٤٢٥١٩٦٦ فاكس ٤٢٥٥٩٤٥ جدة هاتف : ٦٥٣٢٠٨٩ - ٦٥٢٤٠٩٥ فاكس : ٦٥٢٤١٨٩

طبع بمطابع ابن سينا القاهرة ت : ٣٢٠٩٧٢٨

Web site : www.ibnsina-eg.com E-mail : info@ibnsina-eg.com

أهم شخصيات الرواية

هركيول بوارو **Hercule Poirot**

بوليس سري يعمل لحسابه الخاص ، بلجيكي الجنسية ، متقاعد عن العمل ، لا يقبل العمل إلا في قضية تمس الصالح العام بخطورة .

الكابتن هاستينجز **Captain Hastings**

صديق بوارو ، يروى تفاصيل الرواية ما عدا الأجزاء التي لم يشاهدها .

الكساندر بونابرت كاست **Alexander Bonaparte Cast**

رجل يبيع الجوارب ، وكان متهما بارتكاب أربع جرائم قتل .

السيدة آستشر **Mrs. Ascher**

كانت امرأة متقدمة في السن تدير محلا لبيع السجائر والصحف . الضحية الأولى .

فرانز آستشر **Franz Ascher**

زوج السيدة آستشر. متقدم في السن ، ألماني ، سكير .

ماري دروور **Mary Drower**

ابنة أخت السيدة آستشر .

المفتش جلين **Inspector Glen**

مفتش شرطة حدثت في دائرة اختصاصه جريمة القتل الأولى .

السيد برنارد **Mr. Barnard**

رجل متقاعد عن العمل ، وهو والد الضحية الثانية .

إليزابيث برنارد **Elizabeth Barnard**

فتاة منفلتة كانت تعمل في مقهى على الشاطئ في منطقة بيكس هيل ، الضحية الثانية.

ميجان برنارد **Megan Barnard**

أخت إليزابيث برنارد. قوية الشخصية ، ذكية ، كانت تعمل في مكتب تجاري في لندن.

دونالد فريزر **Donald Frazer**

شاب كان قد تقدم لخطبة إليزابيث برنارد .

المفتش كروم **Inspector Crome**

مفتش شرطة كفء عهد إليه مساعد مدير الأمن أن يتولى مباشرة سلسلة الجرائـــم الأبجدية عندما توالت وتتابعت هذه الجرائم بالتعاون مع ضباط شـــرطة آخريـــن، مثـــل المفتش كارتر وكيلسي وفراستر وكبير المفتشين جاب وغيرهم من رجال الشرطة .

سير كار مايكل كلارك **Sir Carmaickle Clarke**

طبيب جراح متقاعد عن العمل يمتلك قصرا جميلا على الشاطئ، ثري، يهوى الآثـــار والتحف الصينية   الضحية الثالثة .

فرانكلين كلارك **Franklin Clarke**

أخو سير كارمايكل كلارك. كان كثير السفر إلى خارج البلاد .

الآنسة توراجراى **Thora Gray**

فتاة سويدية شقراء جميلة . كانت سكرتيرة للسيد / كارمايكل كلارك .

السيدة ماربوري **Mrs. Marbury**

صاحبة المنزل الذي كان يقيم فيه الكساندر بونابرت كاست .

ليللى ماربوري **Lily Marbury**

ابنتها .

توم هارتيجان **Tom Hartigan**

شاب تقدم لخطبة ليللى ماربوري .

ماري سترود **Mary Stroud**

فتاة كانت تعمل في فندق صغير .

جورج ايرلزفيلد **George Earlsfield**

حلاق طعنه شخص وقتله وهو نائم في إحدى دور السينما   الضحية الرابعة .

روجر إيمانويل دونز **Roger Emmanuel Downes**

مدرس متقاعد عن العمل كان يجلس بجوار الضحية الرابعة في إحدى دور السينما.



الفصل الأول
الخطاب

في شهر يونيو عام ١٩٣٥ كانت عودتى من مزرعتي الكبيرة فى أمريكا الجنوبية لكي أقضي حوالي ستة شهور فى إنجلترا. كنت قد أمضيت وقتا طويلا من العمل الشاق المضني فى تلك المزرعة. لقد قاسينا كل ما كان الناس فى العالم كله يقاسونه من الإحباط فى ذلك الوقت. وكانت تواجهني أمور ومهام كثيرة ومتنوعة فى إنجلترا، بينما كانت زوجتي لا تزال موجودة بالمزرعة فى أمريكا الجنوبية لتدبير شئونها قد استطاعتها حتى أعود إليها.

ولا حاجة بى إلى القول بأن أول اهتمام لى لدى عودتي إلى إنجلترا إنما كان يتعلق بأن أحظى بمقابلة صديقى العزيز هركيول بوارو.

لقد أمكن لى العثور عليه مستقرا فى شقة مفروشة على أحدث نظام فى مدينة لندن. واتهمته على الفور واعترف لى بصحة الاتهام أنه قد اختار هذه الشقة فى ذلك المبنى بالذات نظرا لما يتسم به المبنى من طراز معمارى تتبدى فيه الأشكال الهندسية صارمة فى خطوطها ومواصفاتها الرياضية الحديثة إذ قال لى على الفور عندما صارحته بهذا الاتهام: «نعم يا صديقي، إن هذه التكوينات الهندسية فى هذا المبنى تمتاز بتناسق مبهج جدا، أليس كذلك يا صديقي؟» وقلت أنا له: «أعتقد أنه يوجد إصرار على التمسك بالشكل المربع فى هذا المبنى وفى كل زخارفه كما لو كان المبنى يعلن عن إمكانية أن الدجاج فى هذا المنزل سيبيض بيضات مربعة الشكل».

وضحك بوارو من صميم قلبه وهو يقول: «آه أنت لا زلت تتذكر هذه المزحة. لا يا صديقي، لم يصل العلم حتى الآن إلى إخضاع الدجاج لكي ينصاع إلى التجاوب مع هذه الدعابة، ولا يزال الدجاج يبيض بيضا مختلف الأحجام، وليس فيه بيضة واحدة مربعة الشكل».

وتفحصت صديقي العجوز بعين المحبة. كانت حالته الصحية جيدة بشكل مدهش كما لو لم يكن قد انقضى يوم واحد منذ رأيته آخر مرة. فقلت له: «أنت تبدو على ما يرام يا بوارو. لم يتقدم بك العمر قيد أنملة. وفى الحقيقة- لو كان ذلك ممكنا- لقد قل عدد الشعيرات البيضاء فى رأسك». وصدرت الإشاعات المرحة من صوت بوارو وهو يقول لى: « هل تقصد أن شعرك يتحول من اللون الأبيض إلى اللون الأسمر؟» فقال: « بالضبط». فقلت له: « ولكن، وبكل تأكيد، هذا مستحيل من الناحية العلمية». فقال: « كلا، على الإطلاق». فقلت: « هذا شئ خارق. إنه يبدو مضادا لطبيعة الأشياء». قال بوارو: « أنت لا تزال تفكر كالمعتاد يا هاستنجز. عقلك عقل جميل لا يرتاب فى شئ ولا يسأل ولا يندهش ولا يعجب من أى شئ. ولا يغير مضى الأعوام ذلك فى عقلك أبدا! أنت تدرك حقيقة من الحقائق، وتترسب هذه الحقيقة فى أعماقك ولا تتغير أبدا دون أن تلحظ ذلك أو تفطن إلى ضرورة التغيير مهما جدت ضرورات للتغيير! وأنت لا تفطن إلى ذلك أبدا!».

ونظرت إليه فى حيرة. وبدون كلمة واحدة مشى بوارو داخلا إلى حجرة نومه، وعاد وفى يده

زجاجة وضعها في يدى. وأخذتها وأنا لا أدرك مغزى. ووجدت عليها كلمات تقول: « ريفيت– لاستعادة الأنغام الطبيعية للشعر. ريفيت ليس صبغة. إنه خمسة ظلال: رمادى، لون جوز الهند، تيتيانى، بنى، أسود».

وعندئذ صحت قائلا له: « يا بوارو، أنت قد صبغت شعرك!» فقال بوارو: آه، ها هو ذا الفهم قد وصل إليك». فقلت له: « هذا إذن هو السبب فى أن شعر رأسك يبدو أكثر سوادا فى اللون مما كان عندما رأيتك آخر مرة». فقال: «بالضبط». فقلت: « يا للهول! اعتقد أننى عندما أعود إلى إنجلترا فى المرة القادمة سأجد أنك تضع تحت أنفك شاربا صناعيا أم أن شاربك الآن شارب صناعى بالفعل؟»

وأجفل بوارو عند سماعه هذه الملاحظة. إن شاربه هو النقطة الحساسة فى كل تكوينه الجسمي. وهو دائما يفخر بعظمة التكوين الطبيعي لشاربه. ولقد مست كلماتى نقطة بالغة الحساسية عنده فقال فى فزع مبالغ فيه: « لا.لا، وبكل صدق لا يا صديقى. أرجو من الله العلى القدير ألا أرى ذلك اليوم الذى أكون مضطرا فيه إلى اللجوء إلى شارب اصطناعي. يستحيل أن يقترب أى شارب اصطناعى من روعة شاربى الطبيعية التى خلقها الله! إن فكرة اضطرارى إلى استخدام شارب صناعى فكرة مرعبة بالنسبة لى». وجعل بوارو يمر بأصبعه فوق شاربه ذات اليسار مرة وذات اليمين مرة بفخر واعتزاز، فقلت: « إن شاربك لا يزال رائعا فخما حتى الآن يا بوارو». فقال بوارو: « وكيف لا يكون شاربى رائعا فخمًا يا صديقي وأنا لم أشاهد فى مدينة لندن كلها شاربا يضارع شاربى روعة وفخامة وضخامة؟».

ولم أشأ أن أقول له إن اشتغاله بالعناية بشاربه مهنة لا بأس بها إذا لم يكن لديه عمل يعمله، ولكننى خشيت أن يغضب وقلت له بدلا من ذلك: « أنا أعرف أنك قد أعلنت أنك قد تقاعدت عن العمل، أليس كذلك؟» فقال بوارو: « هذا صحيح. تقاعدت عن العمل لكى أقوم بزراعة القثاء! وعندما تقع جريمة قتل أعطى للشيطان كمية كبيرة من القثاء. وأنا أعرف ما سوف تقوله لى. ستقول إننى مثل بطلة المسرحية التى تقوم بإنهاء كل مسرحية بنفس الطريقة التى تنهى بها كل مسرحية».

وضحكت، فقال بوارو: « لا.لا تضحك. إن مسألة تقاعدى عن العمل يشبه ذلك إلى حد كبير. فى كل مرة أقول إن هذه هى آخر مرة، ولكن يحدث شئ ما فى مجال تخصصى، وأكون مضطرا لمعاودة العمل للتعامل معه ياصديقى ولا أعبأ برغبتى فى التقاعد عن العمل. إذا لم تعمل خلايا ذهنى الصغيرة الرمادية اللون سيعلوها الصدأ لا محالة». فقلت له: « لقد فهمت. أنك تعمد إلى تنشيط خلايا ذهنك الصغيرة الرمادية اللون من آن لآخر باعتدال دون إسراف حتى لا تصدأ». فقال بوارو «بالضبط. أنا أختار وأنتقي القضية التي أقبل العمل فيها. إن هركيول بوارو فى هذه الأيام لا يأخذ إلا زبدة الجريمة ويدع كل ما دون زبدة الجريمة» فقلت له: «وهل تجد كثيرًا من زبدة الجريمة؟» فقال: « ليس الموقف سيئا. لقد نجوت بصعوبة منذ أيام قليلة». قلت: « هل تعنى أنك نجوت من الفشل فى معالجة إحدى القضايا؟» فقال: « لا.لا ولكنني أنا، هركيول بوارو قد ضللت وابتعدت كثيرا عن المسار الصحيح للقضية».

واضطررت إلى الصفير ثم قلت: « هل كنت فى مواجهة مع قاتل مغامر بارع؟» فقال بوارو: « لا.لم يكن مرجع ذلك إلى براعة القاتل بل كان مرجع ذلك هو الإهمال وتراخى الخلايا الصغيرة الرمادية اللون فى ذهني أنا. كان مرجع ذلك على وجه التحديد هو الإهمال. ولكن يجدر بنا ألا نتكلم عما مضى. أنت تعرف يا هاستنجز أنني أتفاءل دائما بوجودك معى».

قلت: « هل تتفاءل حقا بوجودي بالقرب منك؟ وكيف؟» ولم يجب بوارو عن سؤالي ولكنه استطرد يقول: « بمجرد أن سمعت عن قرب عودتك إلى إنجلترا قلت سيظهر كذلك شئ ما، وأننا سنصطاد سويا كما كنا نفعل فى الأيام الماضية. ولكن لو كان الأمر كذلك فمن المستحيل أن يكون متعلقا بقضية عادية. يلزم أن تكون قضية تستأهل اشتراكنا سويا فى الصيد فى أدغالها. يلزم أن تكون قضية تستحق شرف أن نتناولها سويا بالعمل.. ويلزم أن تكون فى غاية الدقة والغموض، قضية نادرة لا تشبهها قضية أخرى من القضايا المألوفة. قضية لها توليفتها الخاصة ومذاقها الخاص».

قلت: « ما دام من الضروري أن يكون لها مذاق خاص، أعتقد أنك ستأمر لنا بعشاء فاخر فى مطعم ريتز». فقال بوارو: « صحيح، لا يستطيع الإنسان أن يجعل الجريمة تحدث وفقا لما هو معقول. لابد أن يكون فى الجريمة أشياء غير معقولة. ولكن أعتقد فى وجود التوفيق،مما يساعدني فى كثير من الحالات. وتأبى ظروفك إلا أن ترغمك على الوقوف بجانبي لتحميني من ارتكاب خطأ لا يغتفر». فقلت له: « وما هذا الخطأ الذى لا يغتفر؟ فقال بوارو: « عدم رؤية الأمور الواضحة».

وأدرت مقولته الأخيرة فى ذهني دون أن أستطيع أن أدرك المقصود منها، وقلت له وأنا أبتسم: « هل أطلت هذه الجريمة الخارقة للعادة التى تجعلك تتراجع عن قرار تقاعدك عن العمل برأسها الآن؟» فقال بوارو: « لم تطل الجريمة برأسها حتى الآن. على الأقل هذا هو...»

وتوقف بوارو عن الكلام. وقطب جبينه وقد ارتسمت عليه علامات التفكير والتردد والحيرة ثم قال: « أنا غير متأكد». وفجأة هز بوارو رأسه ومشى إلى مكتب صغير بالقرب من النافذة ووضع يده على الورقة التى كان يريدها. ثم رجع ببطء نحو المقعد الذى كنت أجلس عليه، وقرأ محتوى الورقة بعناية ثم سلمها لى وهو يقول لى: « قل يا صديقى: ماذا يمكن لك أن تستخرجه من هذه الورقة؟»

وأخذت الورقة من يده بشيء من الشغف. ماذا عساه أن يكون مدلول هذه الورقة؟ كانت الورقة ورقة بيضاء اللون سميكة، والكلمات ليست مكتوبة بخط اليد ولكنها مطبوعة، وتقول كلماتها ما يلى:

السيد هركيول بوارو- أنت تعتقد فى نفسك القدرة على حل ألغاز القضايا التى يعجز رجال الشرطة الحكومية لبلادة أذهانهم أن يصلوا إلى أى حل لها، أليس كذلك؟ دعنا نتحقق من صحة ما تزعمه لنفسك يا سيد بوارو من البراعة فى هذا الصدد. وربما لن تجد هذه القضية من الصعوبة بحيث يستعصى عليك التعامل معها وكشف أسرارها وألغازها. تعال إلى أندوفر يوم الحادى والعشرين من هذا الشهر.

المخلص: (أ ب ك)

وألقيت نظرة على المظروف الذى كانت هذه الرسالة موضوعة بداخله، وكانت الكتابة التى عليه عبارة عن كلمات مطبوعة أيضا ولم يكن على المظروف حرف واحد بخط اليد. وقال بوارو عندما لاحظ أنني أدقق فى خاتم البريد الموجود على المظروف: « و.ك رقم ١ ، حسنا، ما رأيك؟».

وهززت رأسي وقلت وأنا أعيد إليه هذا الخطاب: « رجل مجنون أو آخر فيما أعتقد». فقال بوارو: « نعم يا صديقى، ربما ما تقوله صحيحا».

وكانت نبرة من الحزن موجودة فى صوته، ونظرت نحوه مستطلعا وقلت له: « أنت تأخذ هذه

الرسالة مأخذ الجد أكثر مما يلزم يا بوارو، أليس كذلك؟» فقال: « الرجل المجنون يا صديقى يلزم أن يتم التعامل معه بجدية وبكل حذر. الرجل المجنون شئ خطر جدا. الجريمة تقترن فى العادة بنوع معين وبدرجة معينة بالجنون فى كثير من الأحيان».

قلت: « نعم، هذا صحيح بطبيعة الحال... أنا لم يدر بذهني هذا الاعتبار ولكن ما كنت أقصد إليه هو أن صاحب هذه الرسالة الموجهة إليك إنما هو شخص يحاول أن يداعبك دعابة سخيفة. ربما كان شخصا غرا مهذارا لم يتجاوز الثامنة بواحدة». فقال بوارو: « كيف؟ تسعة؟ تسعة ماذا؟» فقلت: « لا شئ، هذا اصطلاح لغوى لا يخفى عليك أنه يقال عن الشخص الواضح البلاهة إذ يبدو كطفل لم يبلغ التاسعة من العمر فى مستوى ذكاء تفكيره. هذا هو ما قصدت أن أقوله، وربما كان شخصا قد أفرط وأسرف فى اللامبالاة . مما أفضى إلى أن يكتب إليك هذا الخطاب» فقال بوارو: « شكرا لك. إن تعبير»أفضى به» هذا يعجبني كثيرا. وكما تقول أنت ربما لا يكون هنالك شئ أكثر من ذلك».

قلت: « ولكنك تعتقد أنه يوجد هنالك شئ أكثر من ذلك، أليس كذلك؟» وهز بوارو رأسه بارتياب ولم يجب، فقلت له: « وماذا فعلت أنت بعد أن تلقيت هذا الخطاب؟» فقال بوارو : «وماذا يمكن لإنسان مثلى أن يفعل بعد أن يستلم مثل هذا الخطاب؟ لقد أطلعت عليه صديقى مفتش الشرطة جاب. وكان رأيه مثل رأيك- مداعبة من شخص أحمق. كان ذلك هو نفس التعبير الذى استخدمه المفتش جاب. وقال إنه يتلقى خطابات من هذا النوع كل يوم، وأننى أيضا قد حصلت على نصيب من خطابات المداعبة هذه».

قلت: « ولكنك أنت يا صديقى بوارو تأخذ هذا الخطاب مأخذ الجد؟» فقال بوارو: «يوجد شئ فى هذا الخطاب يا هاستنجز، شئ لا أحبه».

أحسست على الرغم منى بجدية ما يقوله،فقلت له: «أنت تعتقد- ماذا تعتقد بالضبط؟» وهز رأسه والتقطت يده الخطاب وأعاده إلى درج المكتب.

وسألته: «لو أنك تأخذ هذا الخطاب مأخذ الجد، أفلا تستطيع أن تعمل شيئا بشأنه؟» فقال بوارو: «أنت كالعهد بى دائما يا هاستنجز: رجل التصرف السريع حيال الأمور! ولكن ماذا هنالك مما يمكنني عمله؟ الشرطة فى حكومتنا اطلعوا على الخطاب ولكنهم أيضا لم يأخذوه مأخذ الجد. لا توجد على الخطاب أى بصمات، وليس به وليس فوق مظروفه كلمة واحدة بخط اليد. ولا يوجد أي شئ يدل على الشخص الذى حرره وأرسله».

قلت له: « فى الحقيقة يوجد شئ واحد هو شعورك الغريزى». فقال بوارو: « ليست الغرائز والمشاعر الغريزية هى ما أهتدي به صديقى هاستنجز إنها خبرتى ومعرفتى المستمدة من خبراتي السابقة هى التى تقول لى إن وراء هذا الخطاب شيئاً على غير ما يرام. من ذا الذى يتحدى هركيول بوارو على هذا النحو الصريح؟ هذا شئ غير مألوف، ولم أكن أعتقد أنه سيحدث لى يوما من الأيام. أما وقد حدث ذلك، فلابد أن وراءه اعتبارات غير معتادة. هذا بالضبط هو ما أفكر فيه. ولا أستطيع أن أهتدى إلى تحديده فى الوقت الراهن يا صديقى هاستنجز» .

وهز بوارو رأسه فى حيرة وقال: «ربما كنت أنا أعمل من الحبة قبة ومن النملة جبلا. وعلى كل حال ليس أمامى ما أفعله سوى أن أنتظر. ولكنني لا أستطيع أن أتجنب الشعور بالقلق وأنا أنتظر» .

قلت: «حسنا، اليوم الحادى والعشرون من هذا الشهر هو يوم الجمعة. ولو حدثت جريمة سرقة مدوية فى هذا اليوم بالقرب من المكان الذى ورد ذكره فى هذا الخطاب وهو«آندوفر»، فعندئذ...» فقال بوارو: «آه، كم يكون ذلك مريحا!» فقلت: « كيف تكون جريمة السرقة المدوية شيئا مريحا؟ ربما تكون حادثة السرقة شيئا مثيرا ولكنها يستحيل أن تكون شيئا مريحا».

هز بوارو رأسه بحماس وقال: «أنت مخطئ فيما تتصور يا صديقي. أنت لم تفهم المعنى الذى قصدت إليه. المسألة نسبية. أنت تعتقد أن ما سوف يحدث فى آندوفر هو حادثة سرقة، ولا شئ غير السرقة. وأنا اعتبرت أن حادثة سرقة تحدث فى ذلك المكان تكون شيئا مريحا بالنسبة إلى ما أتخيل أنا أنه يمكن أن يحدث فى ذلك الزمان وفى ذلك المكان».

قلت: «وماذا تتخيل أنت أنه يمكن أن يحدث فى ذلك المكان، وفى ذلك الوقت؟» فقال بوارو: «جريمة قتل».



الفصل الثاني
(ليس مما يرويه هاستنجز)

نهض السيد ألكساندر بونابرت كاست عن مقعده ونظر حوله في حجرة النوم المستديرة الشكل. كان ظهره متصلبا من جراء جلوسه ساكنا في مقعده مدة طويلة جدا من الوقت. وعندما وقف وأخذ يتمطى كان يمكن لمن ينظر نحوه آنئذ أن يعتبره شخصا طويل القامة إلى حد كبير. ولكن خموله وانعدام حركته آنذاك كان يمكن أن يعطيا لمن يتطلع إليه فكرة خادعة عنه.

وبعد أن مشى خطوات قليلة نحو معطف فخم معلق وراء باب الحجرة، وأخرج من جيب المعطف علبه صغيرة فخمة بقدراته وعاد إلى الجلوس إلى ذات المنضدة التي كان يجلس إليها .وأمسك بأحد جداول مواعيد القطار، وأخذ يتصفحه. ثم أمسك بقائمة مطبوعة فيها أسماء بعض الأشخاص. ووضع علامة بالقلم أمام أحد الأسماء في رأس القائمة.

كان ذلك يوم الخميس الموافق لليوم العشرين من شهر يونيو.



الفصل الثالث
أندوفر

كنت قد تأثرت آنذاك بما كان يتوقعه بوارو بشأن الخطاب المجهول الذي لا يعرف أحد شخصية من أرسله ليستلمه بوارو، ولكن من الضروري أن أعترف أن المسألة المتعلقة بهذا الخطاب برمتها لم تكن موجودة فى ذهنى على الإطلاق عندما جاء اليوم الحادى والعشرون من الشهر بالفعل، وكان أول ما ذكرنى بذلك الخطاب وبذلك التاريخ هو زيارة قام بها مفتش الشرطة جاب إلى صديقى بوارو.وكان

مفتش الشرطة جاب يعرفنى منذ سنوات كثيرة، ولذلك رحب بى ترحيبا حارا نابعا من القلب.

قال المفتش جاب : «حسنا. أنا لا أستطيع أن أشك فيما أراه.إذا لم تكن أنت الكابتن هاستنجز وقد عاد من الأدغال فمن عساك أن تكون؟ هأنذا أراك كما كنت أراك دائما مع السيد بوارو. وأنت تبدو فى صحة جيدة أيضا.تبدو نحيلا فى الجزء العلوي من جسمك . إيه؟حسنا، هذا هو مسارنا جميعا. أنا أيضا أصبح وجهى نحيلا».

وأجفلت قليلا من ملاحظة جاب بخصوص ما اعترى وجهي من نحول كنت أظن أنه غير ملحوظ من جانب من يعرفوننى فى شبابي. وعلى كل حال، تظاهرت بأنني أوافق المفتش جاب على ملاحظته وقلت له: إنه ليس من المتوقع أن تزداد شبابا على طول الخط، وأن الشباب بعد قمة البلوغ والنضج لابد أن يهبط المنحنى نحو الشيخوخة و الضمور.

وعندئذ قال جاب: «هذا صحيح ينطبق على كل الناس فيما عدا بوارو. إنه إعلان حى عن صبغة الشعر المقوية لبصيلات الشعر. يواجه الخطوب بشباب متجدد ويتخطاها وهو أكثر شبابا. ولكنه سيدخل فى منطقة العمر المتقدم أيضا رغم أنفه وهو مشغول بأشهر القضايا المثارة حديثا. قضايا غامضة تحدث أثناء السفر جوا وبحرا وعلى متن القطارات، كذلك الوفيات الغامضة الأسباب بين الأثرياء. أوه، إنه هنا، وهناك، وفى كل مكان. إنه لم يشتهر أبدا كما ذاعت شهرته بعد تقاعده».

قال بوارو: « لقد سبق أن قلت لهاستنجز: إننى مثل بطلة المسرحية التى تظهر للجمهور بمفردها مرة أخرى بعد أن يسدل الستار على كل الممثلين والممثلات».

قال المفتش جاب: « إننى لم أندهش لو قمت أنت نفسك بالتحقيق فى حادثة موتك. هذه فكرة. هذه فكرة يمكن أن يقوم على أساس منها كتاب شائق». فقال بوارو وهو يغمز نحوى: «سيكون هاستنجز هو الذى يضطلع بهذه المهمة الشاقة» فقال المفتش جاب وهو يضحك: «ستكون هذه الدعابة من أعجب الدعابات المأساوية».

ولم أستطع أن أستسيغ أن تكون مثل هذه الفكرة مسلية أو مضحكة. وعلى كل حال، كان بوارو، صديقى العجوز لا يزال على قيد الحياة. والنكتة المتعلقة بموته لم تبد لى نكتة مستساغة على الإطلاق. وربما كانت طريقتى الصامتة بعد سماع النكتة ووجومى وتعبيرات وجهى قد أشعرت المفتش جاب بعدم لياقتها، فعمد على الفور إلى تغيير الموضوع وقال: « هل سمعت عن الخطاب الذى وصل إلى بوارو من شخص مجهول الهوية تماما؟» فقال بوارو: « لقد أطلعت صديقى هاستنجز عليه منذ يومين» فقلت: «بالطبع، ولكنه ضاع محتواه من ذاكرتى. دعنى أنظر التاريخ الذى ورد ذكره فى ذلك الخطاب».

قال المفتش جاب: «كان اليوم الحادى والعشرين. ولقد أوليت هذا اليوم بعض الاهتمام. كان أمس هو يوم الحادى والعشرين من هذا الشهر، ولقد اتصلت بقسم أندوفر من باب حب الاستطلاع فى الليلة الماضية. كان الخطاب مزحة من شخص أحمق بالفعل. لم يكن هنالك واجهة زجاجية لأحد المحلات التجارية حطمها طفل بحجر، وحادثتان من حوادث الشغب. وهكذا كان صاحبنا البلجيكىيحفر بعيدا عن جذر الشجرة التى يحاول أن يقتلعها لأول مرة فى تاريخ حياته الحافل بالمهارة فى قطع الأشجار».

قال بوارو: «من الضرورى أن أعترف أن هذا يريحنى إلى حد كبير». فقال المفتش جاب بلهجة ودية

لم تخل من المداعبة: «أنت كنت تريد أن تقيم الدنيا ولا تقعدها من أجل هذا الخطاب، ألم تفعل ذلك؟ بارك الله فيك. إننا نتلقى عشرات من مثل هذه الخطابات المجهولة المرسلة كل يوم! أناس يجلسون على مقاعدهم فى الأدوار العليا من المنازل ولا يجدون شيئا يفعلونه أكثر من أن يكتبوا خطابا يرسلوه إلى جهة من جهات العمل لمجرد التسلية. إنهم لا يقصدون أى ضرر. مجرد تسلية مثيرة».

قال بوارو: « لقد كنت أنا حقا فى غاية الحماقة عندما أخذت مسألة ذلك الخطاب مأخذ الجد. لقد وضعت أنفى تحت مهبط حافر الفرس». فقال جاب: « أنت تخلط بين الأحلام والزنابير». فقلت: «ماذا؟» فقال جاب: «لا شئ. إنهما مجرد مثلين من الأمثال السائرة. قال بوارو واحد وقلت أنا المثل الآخر. يجب أن أنصرف من هنا الآن. إن عندى مهمة صغيرة تتعلق باستلام مجوهرات مسروقة فى الشارع المجاور لكم. قلت إن من الأفضل أن أزور صديقى بوارو أولا لكى أجعله يستريح من التفكير بشأن ذلك الخطاب. من المثير للحزن وللرثاء أن لا يكون هنالك لزوم لاستخدام خلايا الذهن الصغيرة الرمادية اللون لدى السيد بوارو». وانصرف المفتش جاب بعد أن سمعنا منه تلك الكلمات وسمعنا صوت ضحكاته العالى. كان كلامه نابعا من قلب سليم، وكانت ضحكاته نابعة من قلب خال من الهموم. ورحل عنا المفتش جاب.

قال بوارو: «إن جاب الطيب لا يتغير فى قليل أو كثير. أليس كذلك؟» فقلت: « إنه يبدو وقد تقدم به العمر كثيراً. وقد خالط شعر المشيب رأسه». فقال بوارو: «ألا تعرف يا هاستنجز أنه يوجد جهاز صغير يثبته مصفف الشعر فى مشط كبير ويمر به فوق شعر الرأس، فيتغير لون الشعر الأبيض. إنه ليس باروكة، ولكنه الشعر الطبيعى وقد تحول من اللون الأبيض إلى الأسود».

قلت له: «يا بوارو، أنا أقول لك لآخر مرة إننى لن أتعامل أبدا مع مصفف الشعر الذى يعتنى بشعرك ولن أدعه يستخدم فى شعرى مخترعاته العجيبة. ماذا جرى لشعر رأسى لتلح كل هذا الإلحاح فى هذا الصدد؟». فقال بوارو: « لا شئ على الإطلاق». فقلت: «هل أصاب الصلع رأسى دون أن أدرى؟» فقال بوارو: «لا. بالطبع لا». فقلت: «الجو الحار هناك يجعل الشعر يتساقط. أنا سوف آخذ معى عند عودتى واحدا من مقويات الشعر التى أثق بها». فقال بوارو: «بالضبط.هذا هو ما يلزمك». قلت: «على كل حال، ما حكاية المفتش جاب؟ إنه دائما شيطان بذئ اللسان. ليس عنده أي نوع من الظرف أو خفة الظل. إنه من نوع الرجال الذين يضحكون لمجرد سحب الكرسى تحت شخص يشرع فى الجلوس عليه». فقال بوارو: «يوجد عدد كبير من الرجال الذين يضحكون لدى مشاهدتهم مثل هذا المشهد». فقلت: «ضحك لا معنى ولا مسوغ له». فقال بوارو: «لا معنى ولا مسوغ له من وجهة نظر الشخص الذى يشرع فى الجلوس فيجد أن شخصا آخر قد سحب الكرسي من تحته ثم ضحك».

قلت: «حسنا. يؤسفنى أن مسألة الخطاب الذى نجهل شخص مرسله قد تم تمخضت عن لا شئ».

قال بوارو: «لقد كنت أنا مخطئا بحق بشأن هذا الخطاب كنت أعتقد أن رائحة السمك تفوح من بين سطور ذلك الخطاب، ووجدت أن رائحة الغباء هى التى تفوح من بين سطوره فى حقيقة الأمر. وأسفاه! لقد غدوت أنا شيخا طاعنا فى السن كثير الشكوك و الوساوس ككلب صيد عجوز أصابه العمى ينبح حتى لو لم تكن هنالك أى طريدة».

قلت وأنا أضحك: «لو كان لى أن أشترك معك وأتعاون معك فى أى عمل فمن الضرورى أن

نبحث عن جريمة كاملة الدسم». فقال بوارو: «لعلك تتذكر ملاحظتك الذكية عندما قلت لى منذ بضعة أيام لو أتيح لى أن أختار بين جريمة دسمة وبين وجبة فماذا أفضل أن أختار؟».

وجعلت أتأمل هذه الملاحظة فى حين قال بوارو: «هيا نستطلع قائمة الأصناف: سرقة؟ تزييف؟ لا أعتقد ذلك. هذه مجرد أصناف من الخضراوات. من الضرورى أن تكون الوجبة الدسمة مشتملة على جريمة قتل مخضبة بالدم،مبتلة ومزخرفة بالملابسات الغامضة بطبيعة الحال». فقلت : «طبعا لا بد من التوابل لمثل هذه الجريمة الدسمة». فقال بوارو : «من الضحية؟رجل أم امرأة؟فلتكن الضحية رجلا ذا نفوذ من علية القوم أو من أثرياء الأمريكيين،يمتلك الملايين أو رئيسا للوزراء أوأحد ملوك الصحافة.وماذا بشأن مسرح الجريمة؟ ما عيب المكتبة العامة القديمة المهيبة البناء؟ لا يضارعها شئ كخليفة لمسرح الجريمة. وماذا عن أداة الجريمة؟ من الضرورى أن تكون نوعا معقوفا من الخناجر المصنوعة فى بلد من بلاد الشرق، أو أى أداة غير مألوفة أخرى».

قلت : «يوجد أيضا السم – ولكنه يحتاج إلى دراية متخصصة أو طلقة من مسدس فى الظلام الحالك أثناء الليل حيث لا يوجد شهود شاهدوا الشخص الذى أطلق الرصاص. وبعد ذلك يلزم وجود بنت جميلة أو بنتين». فقال بوارو : « لون شعر كل منهما غريب بين ألوان شعر النساء».

قلت : «وتبدأ نفس لعبتك القديمة:إحدى البنتين يشتبه فيها دون وجه حق. وهنالك سوء تفاهم بينها وبين واحد من الشباب. وبعدئذ توجد شكوك أخرى حول امرأة متقدمة فى العمر– سمراء– نمط شخصيتها فيه خطورة– وصديق أو منافس للقتيل. وسكرتيرة وقورة هادئة، ورجل أفاق مخادع– واثنان من الخدم أو حراس المرمى أثناء اللعب أو أى شيء من هذ القبيل– وشرطى محدود الذكاء مثل المفتش جاب– وهذا هو كل ما يلزم».

قال بوارو: «هل هذه هى فكرتك عن زبدة الجريمة الدسمة؟» فقلت: «أنا أتعب فى الحصول على الزبدة وأنت ترفض شراءها». فقال بوارو: « لقد حشدت فى هذه الزبدة كل ما تحفل به القصص المتعلقة بالجرائم». قلت: « حسنا، ماذا تطلب يا سيد؟»

واضطجع بوارو للخلف فىمقعده وأغمض عينيه وانسابت الكلمات من بين شفتيه وهو يقول: « أنا أطلب جريمة بسيطة جدا. جريمة بدون أى تعقيدات.جريمة فى حياة ريفية هادئة... جريمة لا تجرح العواطف... جريمة أليفة»

قلت: « وكيف تكون الجريمة أليفة؟» فقال بوارو: « نفترض أن أربعة رجال يلعبون الورق. ويجلس رجل غريب الأطوار بجوار المدفأة. وآخر الليل يوجد هذا ميتا. أحد الرجال الأربعة قد قتله. ونظرا لاستغراق الرجال الثلاثة الآخرين فى لعب الورق لم ينتبهوا إلى ما فعله رابعهم. عندئذ توجد جريمة مناسبة لك لكى تجيب عن السؤال :من من الأربعة؟»

قلت: « حسنا، أنا لا أجد أى إثارة فى ذلك». فقال بوارو: «كلا. ألا تكون هنالك إثارة إلا عندما تكون هنالك خناجر معقوفة أو ابتزاز أو زمرد مسروق من عين أثر من آثار الشرق القديم أو سم من الصعب اكتشافه لأنه لا مثيل له فى أوروبا وهذا السم قادم من الشرق؟ إنك تعشق المآسى المعقدة التركيب يا هستنجز. أنت لا تقتنع بجريمة قتل واحدة، بل تريد سلسلة متعددة الحلقات من جرائم القتل».

قلت: « أنا أعترف أن جريمة القتل الثانية فى إحدى الروايات تزيد الرواية تألقا وبريقا وتوهجا. ولو

كانت هنالك جريمة قتل واحدة وتجهد نفسك فى فحص محاولة كل شخص إثبات وجوده فى مكان غير مكان الجريمة عند حدوث الجريمة حتى الصفحة الأخيرة من الرواية، فلن تكون الرواية شائقة على نحو كاف».

ودق جرس التليفون، ونهض بوارو ليرد عليه، وسمعته يقول: « هاللو، هاللو. نعم. أنا هركيول بوارو». وظل بوارو يستمع لمدة دقيقة أو دقيقتين، وتغيرت تعبيرات وجهه، وكانت كلماته مقتضبة وهو يرد على محدثه من الطرف الآخر، وكانت كما يلى: « ولكن نعم». ثم: «نعم، طبعا ».، ثم: « ولكن نعم، سوف نحضر». ثم: « هذا طبيعي». ثم: «يجوز أن تكون المسألة كما تقول». ثم نعم. سأحضره معى، فى ظرف ساعة من الزمن». ثم وضع بوارو سماعة التليفون وجاء بالقرب منى ثم قال: «كان ذلك هو المفتش جاب يتحدث معى يا هاستنجز» قلت: « وماذا قال؟» فقال بوارو ببطء وهدوء: « امرأة عجوز اسمها آستشر كانت تدير محلا صغيرا لبيع السجائر والجرائد والمجلات قد وجدت مقتولة».

شعرت بقليل من العرق يبلل جسمى. كان تشوقى لسماع شئ مثير عندما سمعت كلمة أندوفر قد اعتراه شئ من الفتور. كنت أتوقع أن أسمع شيئا يفوق الخيال قادما من ذلك الطريق. وبدا لى مقتل امرأة عجوز كانت تدير محلا صغيرا لبيع السجائر والصحف والمجلات شيئا سخيفا قليل الإثارة على كل حال.

واستطرد بوارو يقول فى صوت بطئ هادئ حزين: «الشرطة فى أندوفر يقولون: إنهم يستطيعون أن يضعوا أيديهم على القاتل». وشعرت بوجود سبب آخر من أسباب خيبة الأمل فى التعامل مع قضية بالغة الإثارة.

وقال بوارو: « إنه يقول أنه يبدو أن المرأة كانت على علاقة سيئة مع زوجها العربيد وهو سئ الطباع. وكان قد هددها بالقتل أكثر من مرة».

وسكت بوارو برهة ثم أضاف قائلا: «وعلى الرغم من وضوح القضية لدى رجال الشرطة هناك فإنهم يحبون أن يطلعوا على ذلك الخطاب الذى كان قد أرسله لى شخص مجهول. ولقد أخبرت المفتش جاب أننا- أنت وأنا- سنكون فى أندوفر بعد قليل من الوقت».

وانتعشت روحى قليلاً. ومهما تكن هذه الجريمة بسيطة فهى على كل حال جريمة قتل، ولقد مضى وقت طويل منذ تعاملت لآخر مرة مع جريمة من جرائم القتل والقتلة. وكنت وأنا مستغرق فى هذه الخواطر لا أكاد أسمع ما كان يقوله بوارو، ولكن تذكرت فيما بعد قوله لى: « هذه هى البداية».



الفصل الرابع
السيدة آستشر

استقبلنا فى أندوفر المفتش جلين وهو رجل طويل القامة أشقر الشعر تعلو شفتيه ابتسامة فى معظم الحالات عندما يتكلم أو يستمع إلى كلام محدثه.

ومن أجل الإيجاز يمكن لى أن أعطى ملخصا للحقائق المتعلقة بالموضوع كما شرحه لنا المفتش

جلين.

تم اكتشاف الجريمة بواسطة أحد كونستبلات الشرطة اسمه دوفر فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل يوم الثانى والعشرين من الشهر. وعندما فحص باب المحل ووجده غير مغلق دخل وهو يظن عدم وجود أى شخص بداخله. وعندما وجه مصباحه اليدوى نحو المكتب الصغير الموجود بداخل المحل لمح جثة المرأة القتيلة. وعندما وصل مختص الطب الشرعى إلى مسرح الجريمة قرر أن المرأة كانت قد ضربت ضربة شديدة فى مؤخرة رأسها ربما وهى منحنية لالتقاط عبوة من السجائر من مكان منخفض بالمحل بجوار مكتبها. ومن الضرورى أن الوفاة قد حدثت قبل سبع أو ثمانى ساعات من اكتشاف الجريمة.

وقال المفتش جلين: «ولكننا استطعنا أن نحدد وقت حدوث الجريمة بدقة أكثر من ذلك عندما عثرنا على شخص كان قد اشترى بعض التبغ من هذا المحل فى الساعة الخامسة والنصف بعد الظهر. واستجوبنا شخصا آخر كان قد مر على المحل وظن أنه لا يوجد أحد بداخله فى الساعة السادسة وخمس دقائق. وهذان الاعتباران يحددان وقت حدوث الجريمة فيما بين الساعة ٥,٣٠ والساعة٦,٥. وحتى الآن لم أجد شخصا يشهد بأنه قد رأى ذلك الرجل المدعو أستشر فى ذات المنطقة أو المناطق المجاورة لها. ولكن لا يزال الوقت مبكرا للقطع فى هذا الشأن. لقد وجدناه فى ملهى التيجان الثلاثة فى الساعة التاسعة مساء وهو فى حالة من الإرهاق الشديد. وسنتحفظ عليه باعتبار أنه يشتبه فى أن يكون قد ارتكب هذه الجريمة».

وسأله بوارو: « هل هو شخصية غير سوية يا سيادة المفتش؟» فقال المفتش جلين: « إنه كتله مكونة من الأشياء غير السارة». فقال بوارو: « ألم يكن يعيش مع زوجته؟»فقال المفتش جلين: « لا، لقد انفصلا منذ بضع سنوات مضت. آستشر رجل ألمانى، كان يعمل جرسونا فى أحد الملاهى ولكنه أدمن المكيفات وأصبح غير مناسب للعمل فى هذا المجال. وعملت زوجته خادمة فى المنازل بعض الوقت. وكان آخر مكان عملت به هو طباخة ومديرة منزل امرأة متقدمة فى العمر اسمها الآنسة روز. وكان تعطى زوجها بعض النقود لكى يشترى ما يلزمه ولكنه كان ينفق النقود التى تعطيها له على اللهو ثم يعود إلى المكان الذى تعمل فيه ويسبب لها كثيرا من الإزعاج. وربما كان ذلك هو السبب فى قبولها العمل عند الآنسة روز فى منطقة جرانج، وهى على مبعدة ثلاثة أميال من آندوفر، مزوية فى غمار الريف الهادئ. ولم يستطع أن يذهب إليها هناك. وعندما ماتت الأنسة روز كانت قد أوصت للسيدة آستشر بميراث ضئيل بدأت به المرأة مشروع هذا المحل الصغير لبيع السجائر وقليل من الصحف والمجلات وما شابه ذلك من الأشياء الزهيدة الثمن التى يحتاج إلى شرائها عامة الناس أثناء سيرهم فى الطريق. وكانت على وشك النجاح فى مزاولة هذا النوع من العمل وكان زوجها آستشر قد اعتاد أن يحضر عندها فى هذا المحل الصغير ويضايقها من آن إلى آخر، وكانت قد اعتادت أن تعطيه مبالغ صغيرة لينصرف عنها. كانت تسمح له أن يأخذ خمسة عشر شلنا كل أسبوع وبانتظام».

قال بوارو: « هل عندهم أى أطفال؟» فقال المفتش جلين: «لا، توجد ابنة أخت، تعمل بالخدمة فى أحد المنازل، وهى شابة ممتازة مستقيمة فى سلوكها».

قال بوارو: « وأنت تقول إن السيد آستشر كان قد اعتاد أن يهدد زوجته بالقتل». فقال المفتش جلين: «هذا صحيح. كان يشكل لها نوعا من الرعب، يشتمها ويلعنها ويقسم أنه سيحطم لها رأسها. لقد

واجهت السيدة آستشر أوقاتا عصيبة بسبب تهديده المستمر لها».

قال بوارو: « كم كانت المراة قد بلغت من العمر؟» فقال المفتش جلين: « كانت قد أتمت العام الستين من عمرها. كانت امرأة محترمة مجتهدة فى عملها».

قال بوارو بصوت حزين: « ونظريتك يا سيادة المفتش هو أن هذا الرجل المدعو آستشر هو القاتل؟» فقال المفتش جلين: «الوقت المبكر قليل الآن يا سيد بوارو لكى أقول ذلك، ومن الضرورى أن انتظر حتى أرى كيف سيوضح لنا السيد فرانز آستشر تصرفاته وحركاته وكيف قضى أمسية البارحة. لو يستطيع أن يعطينا سردا حقيقيا مدعما بأقوال شهود موثوق بهم عن وجوده فى أماكن أخرى غير مكان الجريمة وقت حدوثها فحبا وكرامة. ولو لم يستطع ذلك-».

وصمت المفتش جلين عن الكلام وكان صوته يحمل فى أحشائه الاتهام المرجح لديه.

قال بوارو: « ألم ينقص شئ من محتويات الحل؟» فقال المفتش جلين: «لم ينقص أى شئ من محتويات المحل. والنقود فى الدرج لم تمس. ولا يوجد أى شئ يدل على حدوث سرقة».

قال بوارو: «أنت تظن أن هذا الرجل المدعو آستشر قد جاء إلى المحل، وأخذ يضايق زوجته ثم ضربها بشدة وقتلها؟» فقال المفتش جلين: «هذا هو الحل الأكثر احتمالا فى هذه القضية. ولكن من الضرورى أن أعترف يا سيدى أننى يجب أن أفحص ذلك الخطاب الذى وصل إليك. إننى كنت أتساءل ما إذا كان قد أرسله إليك ذلك الرجل المدعو آستشر».

قال بوارو: «أنا لا أعتقد أن هذا الشخص المدعو آستشر هو الذى كان قد أرسله. إننى أشك فى أن آستشر يستخدم تعبيرا مثل تعبير»رجال شرطة وطننا البريطانيين» اللهم إلا إذا كان ماكرا غاية المكر خبيثا كل الخبث خبيرا باستخدام العبارات المضللة. إننى أشك فى أنه يمتلك القدرات العقلية اللازمة لمثل هذه التمويه على جهات التحقيق التى يحتمل أن تحقق أحداث مثل هذه القضية إلى درجة أن يتحدانى أنا شخصيا. إن الرجل عبارة عن حطام رجل ويستحيل أن تطبع يداه مثل هذه الكلمات فى هذا الخطاب. الخطاب نوعية ممتازة من الورق ونوعية ممتازة من الكتابة. ولكن من الغريب أن يحدد الخطاب المكان وتاريخ الحادى والعشرين من هذا الشهر. ومن الممكن أن يكون هذا مجرد مصادفة بطبيعة الحال». فقال المفتش جلين: « هذا ممكن.نعم، ممكن. ولكننى لا أحب هذا النوع من المصادفات يا سيد بوارو. إنها نغمة شاذة».

وظل المفتش جلين صامتا مدة من الوقت ثم قال: «ألف باء كاف. من عساه أن يكون هذا الألف باء كاف؟ سنرى ما إذا كانت مارى دروور ابنة أختها تستطيع أن تفيدنا أى إفادة عن هذا الألف باء كاف. هذا شأن غريب، ولكننى أستطيع أن أشير بالبنان على فرانز آستشر بكل تأكيد».

قال بوارو: «هل تعرف أى شئ عن ماضى حياة السيدة آستشر؟» فقال المفتش جلين: «إنها امرأة من هامبشاير. جاءت للخدمة فى المنازل وهى بنت صغيرة العمر فى مدينة لندن حيث قابلت آستشر فى مدينة لندن وتزوجته. ويبدو أن الأمور كانت صعبة بالنسبة لهما أثناء الحرب. وهجرته بالفعل توخيا للسلامة فى سنة١٩٢٢. كانا يعيشان فى مدينة لندن آنذاك. وجاءت هى إلى بلدة آندوفر لكى تتوارى عن أنظاره. ولكنه تشمم أخبارها وجاء وراءها هنا يلهث وراء نقودها...».

ودخل أحد الكونستبلات فقال له المفتش جلين: «نعم يا بريجيز، ماذ وراءك من أخبار؟» فقال

بريجيز: « إنه الرجل آستشر يا سيدى. لقد أحضرناه». فقال المفتش جلين: « هذا عمل جيد. أحضره هنا. أين وجدتموه؟» فقال الكونستبل: « وجدناه مختبئا فى إحدى عربات البضائع فى محطة السكة الحديد». فقال المفتش جلين: «هل كان مختبئا هناك؟ هل كان يريد أن يهرب من أيدينا؟ هاته هنا».

كان فرانز آستشر بالفعل رجلا بأساونوعية غير متماسكة من الرجال. كان يرغى ويزبد ويشتم متنقلا بين أنماط مختلفة من أنواع الكلام غير المتماسك. وكانت عيناه الغائمتان المبللتان بالدموع تتحركان متنقلتين من وجه إلى الآخر بين الرجال الموجودين بالحجرة. وعندما انتهى به المسير داخلا الحجرة قال: «ماذا تريدون منى؟ لم أفعل ولا أى شئ. عار وشنار وفضيحة أن تحضرونى هنا! كيف تصل بكم الجرأة إلى هذا؟» ثم تغيرت هيئته من الغضب إلى الاستعطاف فقال: «لا،لا، أنا لا أقصد هذا. إنكم لا ترضون أن توقعوا أى أذى برجل مسكين عجوز. لا تكونوا قساة عليه. كل الناس قساة على فرانز المسكين. فرانز المسكين العجوز!» وبدأ السيد آستشر يبكى. وقال المفتش جلين: «هذا إجراء ضرورى يا آستشر. تمالك نفسك يا رجل. أنا لم أوجه لك أى اتهام حتى الآن. وأنت لست مضطرا أن تدلى بأى أقوال لا يسمح بها ضميرك ولن يجبرك أحد على ذلك. ومن جهة أخرى لو لم يكن لك أى صلة بجريمة قتل زوجتك»-

وهنا قاطعه آستشر بصوت عال يبلغ حد الصراخ وهو يقول: «أنا لم أقتلها! أنا لم أقتلها! هذه كلها أكاذيب! كلكم ضدى. أنا لا أقتلها أبدا، أبدا».

قال المفتش جلين: «لقد كنت تهدد بالقتل مرات عديدة مما يكفى للشك فى أنك أنت الذى قتلتها يا آستشر».

قال آستشر: «لا، لا كان مجرد مزاح معها، كان مزاحا بينى وبين أليس. وكانت هى تعرف أننى أداعبها».

قال المفتش جلين: «هذه مداعبة لطيفة من زوج لزوجته! هل يمكن تقول لنا أين كنت بالضبط فى الليلة الماضية يا آستشر؟»

قال آستشر: «نعم، نعم أنا أقول لك كل شئ. أنا لم أذهب إلى أى مكان قريب من أليس. أنا مع أصدقائى- أصدقائى الطيبين. نحن فى داخل ملهى النجوم السبع. ثم بعد ذلك نحن فى ملهى الكلب الأحمر...» ثم أسرع آستشر فى لهجة كلامه سرعة كبيرة وقال فى كلمات سريعة متداخلة: « ديك ويلز- هو كان معى- وكروادى العجوز- وجورج- وبلات، وعدد كبير من أولئك العيال. أنا أقول لك أننى لم أذهب إلى أى مكان قريب من أليس. على الإطلاق. إنها الحقيقة أنا أقول لك».

وكان صوته قد ارتفع إلى حد الصياح. وأشار المفتش جلين إلى أحد مرؤسيه وقال له: « خذه واستبقه محبوسا على سبيل الاشتباه».

وقال المفتش جلين: « أنا لست أدرى كيف أتعامل مع هذه القضية. هذا هو الرجل الذى كنت أعتقد أنه قد فعلها يبدو أنه لم يفعلها ولا يستطيع ذلك لو أراد ويستطيع أن يثبت وجوده فى غير مكان الجريمة عند حدوثها. ولولا وجود هذا الخطاب لظللت أشك أنه هو الذى فعلها».

قال بوارو: «وماذا بشأن الرجال الذين ذكرهم؟» فقال المفتش جلين: «إنهم كلهم من حثالة المجتمع، ولا يقوى واحد منهم على الصمود على قدميه أمام المحلفين. وليس عندى شك فى أنه كان معهم معظم

الوقت الليلة الماضية. المسألة فى نظرى تعتمد على إمكانية رؤية شخص آخر له بالقرب من مكان الجريمة فى الوقت المنحصر فيما بين الساعة الخامسة والنصف وبين الساعة السادسة مساء أمس».

وهز بوارو رأسه وقال: «هل أنت متأكد أن المحل لم يسرق منه أى شئ؟» فقال المفتش جلين: «هذا يعتمد على دقة ودوام التحريات. يجوز أن تكون خرطوشة أو خرطوشات من السجائر قد سرقت. ولكن هذه المسألة تافهة لا تصلح دافعا لجريمة قتل».

قال بوارو: «ولم تكن هناك شئ، شئ يمكن أن أقول عنه إنه قد تم إدخاله إلى المحل ولم يكن موجودا به؟ شئ تركه القاتل؟» فقال المفتش جلين: «يوجد دليل لمواعيد القطارات». فقال بوارو: «دليل لمواعيد القطارات؟» فقال جلين: «نعم. كان مفتوحا وقد وضع مقلوبا على المكتب الصغير الموجود بداخل المحل. ويبدو كما لو كان شخص يبحث فيه عن مواعيد القطارات التى تتحرك من محطة أندوفر. وهذا الشخص إما أن يكون صاحبة المحل أو أحد الزبائن».

قال بوارو: « هل كانت القتيلة تبيع هذا النوع من دليل مواعيد القطارات؟» فقال جلين: «كانت تبيع نوعا رخيصا جدا منها يباع الواحد منها بقروش زهيدة. أما النوع الكبير نسبيا من أدلة مواعيد القطارات فلا يبيعه هنا إلا محل سميث».

ولمعت الأشعة فى عين بوارو: «أنت تقول أنه قد تم العثور على دليل مواعيد القطارات. هل هو مرتب حسب الحروف الأبجدية ؟» فقال المفتش جلين: «يا إلهي إنه مرتب حسب الحروف الأبجدية بنفس ترتيب الحروف الأبجدية التى ترمز الحروف الأولى من الاسم الثلاثى التى استخدمها الشخص الذى كان قد أرسل إليك ذلك الخطاب».

الفصل الخامس

مارى دُروور



أعتقد أننى أستطيع أن أؤرخ بدء اهتمامى بالقضية بلحظة سماعى بالعثور على دليل مواعيد القطارات وبأن هذا الدليل مرتب ترتيبا أبجديا تطلق عليه أحيانا تسمية تستخدم الحروف الثلاثة الأولى من الأبجدية اللاتينية وهى ذات الحروف الثلاثة التى استخدمها محرر الرسالة المجهولة التى وقعها مرسلها المجهول بنفس الحروف الثلاثة الأولى من الأبجدية اللاتينية. قبل ذلك لم أكن أستطيع أن أتحمس لهذه القضية حماسا كبيرا. كانت هذه الجريمة البسيطة المكونات المتعلقة بقتل امرأة عجوز فى محل صغير فى أحد الشوارع الخلفية الصغيرة التى تشبه إلى حد كبير حوادث جرائم القتل التى تتناولها الصحف من خلال محررى الحوادث بها ولا ترقى إلى اهتمام أساتذة البحث الجنائى من المحترفين. وكان ذهنى يعتبر أن ورود تاريخ يوم الحادى والعشرين فى الخطاب الذى استلمه بوارو لا يعدو أن يكون مجرد مصادفة صادفته يوم وقوع هذه الجريمة الصغيرة الحجم المعتادة الوقوع. واستقر فى ذهنى أن السيدة آستشر قد قتلها زوجها المتوحش السيئ الطباع. ولكن الآن، بعد ظهور قرينة أخرى تربط بين الحروف الأولى التى وقع بها الكاتب الخطاب المجهول خطابه مع العثور على جدول لمواعيد القطارات

وقد جرى ترتيب أسماء المحطات فيه ترتيبا أبجديا وليس ترتيبا على أساس وقوع وتوالى وصول القطار إلى المحطات المتتالية، هذه القرينة الثانية لو أضفناها إلى القرينة الأولى المتعلقة بالتماثل بين تاريخ اليوم الذى حدثت فيه جريمة القتل واليوم المحدد فى الخطاب وهو يوم الحادى والعشرين من الشهر لا يدع مجالا كبيرا للمصادفة لكى تفسر هذا التلازم. إن وجود جدول مرتب ترتيبا أبجديا فى مكان الجريمة يستحيل أن يكون مصادفة أخرى.

إن الجريمة المتواضعة قد اكتسبت أبعادا جديدة. وغدا السؤال هو: من الشخص الغامض الذى قتل السيدة آستشر وترك فى مكان الجريمة دليل القطارات المرتب ترتيبا أبجديا؟

وعندما غادرنا قسم الشرطة كان أول مكان ذهبنا إليه هو المشرحة لنفحص جثة القتيلة. ولقد اعترانى شعور غريب عندما كنت أتطلع إلى ذلك الوجه العجوز المتغضن وفوقه شعر رأسها الأبيض المقصوص من جذور بشدة صارمة. كان وجهها يبدو وجها طيبا مسالما مستكينا كأن لم يكن قد تعرض لأى عنف سلبه كل أسباب الحياة.

قال رقيب الشرطة الذى كان فى صحبتنا : « لا نعرف من الذى ضربها ولا نعرف بالتحديد بم ضربها؟ هكذا قال الدكتور الشرعى الدكتور كير. وأنا مسرور أنها ماتت على هذا النحو، هذه الروح العجوز البائسة. كانت امرأة طيبة».

قال بوارو: «لابد أنها كانت جميلة فى وقت من الأوقات». فقلت له: «أحقا كانت جميلة؟» فقال بوارو: «آه، نعم كانت جميلة دون ريب. انظر إلى قسمات وجهها والتناسق بين ملامحها وشكل الفك والذقن والتناسق فى النسب والحجم فى عظامها والاستدارة الكاملة لرأسها واتساقه مع وجهها».

وتنهد بوارو وهو يعيد غطاء القماش على الجثة الهامدة، وغادرنا المشرحة. وتحركنا فى المرحلة التالية لمقابلة الطبيب الشرعى المختص فى ذلك القسم من أقسام الشرطة.

كان الدكتور كير رجلا وقور المظهر فى منتصف العمر. كان يتكلم بشئ من الإيجاز وبشئ من الحسم فيما يقوله عندما قال لنا: «لم يتم العثور على أداة الجريمة. ومن المستحيل أن أحدد ماذا عساها أن تكون بالضبط. عصا غليظة، هراوة، كيس رملي معد للضرب المفضى إلى الموت، أى شئ من هذه الأشياء يمكن استخدامه من جانب القاتل فى هذه القضية».

قال بوارو: «هل كانت قوة جسمانية كبيرة ضرورية لتوجيه مثل هذه الضربة القاتلة؟» فحدج الطبيب بوارو بنظرة فاحصة. واستطرد بوارو ليزيد سؤاله وضوحا فقال: «أنا أقصد أن أسأل ما إذا كانت يد مرتعشة مثل يد رجل متقدم فى العمر بلغ السبعين من عمره أن توجه إلى القتيلة هذه الضربة القاتلة؟»

فقال الطبيب: «أوه نعم، هذه ممكن تماما، عندما يكون بيده ثقل كاف مثبت فى رأس أداة الجريمة، فى هذه الحالة يمكن لشخص ضعيف القوة البدنية أن يحصل على النتيجة المرجوة من ضربته الغادرة القاتلة».

قال بوارو: «من الممكن بناء على ذلك أن يكون القاتل رجلا أو أن يكون امرأة؟» وبدت الدهشة على الطبيب من السؤال وقال: «امرأة؟ إيه، حسنا، فى الحقيقة لم يخطر فى بالى أن أتصور احتمال وجود امرأة لتقترف هذه الجريمة، ولكن، بالطبع، هذا ممكن من الناحية النظرية البحتة لو تكلمنا من الناحية الفسيولوجية المحضة. ولكننى من الناحية النفسية أقول إن هذه الجريمة ليست جريمة ترتكبها

امرأة».

قال بوارو: «تماماً. تماماً ولكن من الضرورى أن ندرس كل الاحتمالات الممكنة. كيف وجدت وضع الجثة عندما وصلت لمعاينتها فى مكان الجريمة؟»

وأعطانا الطبيب وصفا تفصيليا لوضع جثة المجنى عليها عندما شاهدها لأول مرة فى ذات مكان الجريمة. فى رأيه أن المجنى عليها كانت واقفة وظهرها متجه نحو مكتبها وبالتالى كان ظهرها متجها نحو القاتل عندما جاءتها الضربة القاتلة. وكانت قد سقطت فوق كومة من البضاعة خلف المكتب وهو مكان لا يراها فيه المارة أمام المحل. وشكرنا الدكتور كير وانصرفنا.

وبعد انصرافنا من عند الدكتور كير قال: «ها أنت ذا ترى ياهستنجز أنه قد أصبحت لدينا نقطة أخرى لصالح براءة آستشر من قتل زوجته. لو كان آستشر دائم السباب والتهديد لزوجته بالقتل لكان من الطبيعى أن تحرص كل الحرص على البقاء فى مواجهته ولا تعطيه ظهرها أبدا وهو يهددها بالقتل. وبدلا من ذلك نجدها وقد ولت ظهرها للقاتل. من الواضح إذن أنها كانت تحاول أن تحضر شيئا من السجائر أو نحو ذلك لأحد الزبائن». فقلت: «هذا شئ رهيب جدا. تحضر له السلعة التى طلبها فيضربها ضربة قاتلة وهى تحضر له سلعته؟» فغمغم بوارو قائلا: «يا للمرأة المسكينة!»

ونظر بوارو إلى الساعة التى بيده ثم قال: «ليست أوفرتون على بعد أميال كثيرة من هذا المكان فيما أعتقد. هل نذهب لمقابلة ابنة أخت المرأة القتيلة؟» فقلت: «من المؤكد أن نذهب أولا إلى المحل حيث وقعت الجريمة». فقال بوارو: «أفضل أن نفعل ذلك فيما بعد، وعندى سبب لذلك».

ولم يوضح لى بوارو هذا السبب. وبعد دقائق قليلة كانت سيارة أجرة تمضى بنا فى الطريق الممتد بين مدينة لندن وأوفرتون.

وكان العنوان الذى زودنا به المفتش جلين ينطبق تمام الانطباق على منزل متوسط الحجم يقع فى مدخل الضاحية من ناحية مدينة لندن. ولبت نداء الجرس بنت جميلة كانت عيناها لا تزالان مغرورقتين بالدموع فقال لها بوارو بكل لطف وهدوء: «آه، أنا أعتقد أنك أنت الآنسة مارى دروور كبيرة الوصيفات هنا». فقالت: «نعم يا سيدى. هذا صحيح. أنا مارى يا سيدى».

فقال بوارو: «إذن ربما أستطيع أن أتكلم معك لمدة بعض الدقائق القليلة إذا لم يكن لدى سيدتك مانع من ذلك. إن الموضوع يتعلق بخالتك السيدة آستشر».

فقال مارى: «لقد خرجت سيدتى. وهى لن تمانع لو كانت موجودة فى أن أتكلم معك بشأن خالتى. أنا متأكدة من ذلك. وتستطيع أن تتفضل بالدخول يا سيدي».

وفتحت باب إحدى حجرات الاستقبال. وجلس بوارو وحدق فى وجه الفتاة ثم قال: «لقد بلغك نبأ وفاة خالتك بطبيعة الحال؟» وأومأت الفتاة برأسها، وأطلت الدموع فى عينيها من جديد وهى تقول: «فى هذا الصباح يا سيدى جاء رجال الشرطة هنا. أوه، هذا فظيع! يا لخالتى المسكينة! ويا للحياة الشاقة التى كانت تعيشها! والآن يحدث لها هذا القتل الفظيع أيضا؟! هذا شئ بالغ الفظاعة!»

قال بوارو: «ألم يطلب منك رجال الشرطة الذهاب إلى آندوفر؟» فقالت: «قالوا إننى يلزم أن أحضر التحقيق يوم الإثنين يا سيدى. ولكن لا مكان لى ألجأ إليه لو ذهبت هناك. أنا لا أتخيل أنه يمكننى الذهاب إلى محل خالتى فى الوقت الحاضر. فضلا عن صعوبة أن يستغنى أصحاب هذا المنزل عن

خدماتى. أنا لا أريد أن أزعج سيدتى أكثر مما يجب». فقال بوارو: «هل كنت تحبين خالتك يا مارى؟» فقالت: «كنت أحبها حقا يا سيدى. كانت طيبة جدا وعلى الدوام خالتى هذه. ذهبت عندها فى لندن عندما كنت فى الحادية عشرة من العمر بعد أن كانت أمى قد ماتت. وبدأت أعمل فى خدمة البيوت عندما بلغت السادسة عشرة من العمر، ولكننى كنت أذهب دائما عند خالتى فى يوم إجازتى من العمل مرة كل أسبوع. كانت تقاسى كثيرا من المتاعب من ذلك الرجل الألمانى الذى كانت تطلق عليه اسم الشيطان العجوز. لم يكن يدعها لتعيش فى سلام فى أى مكان. هذا الوحش العجوز. مصاص الدماء الإسفنجى». وهنا كانت الفتاة تتكلم بحدة.

قال بوارو: «ألم تحاول خالتك أن تحرر نفسها من هذا العذاب المستمر الذى كان يسببها لها بالطرق القانونية؟» فقالت: «أنت تدرك أنه كان زوجها، ولا تستطيع أى زوجة أن تتحرر من رباط الزوجية». وكانت الفتاة هنا تتكلم ببساطة ولكن بحسم.

قال لها بوارو: «قولى لي يا مارى: لقد كان يهددها، أليس كذلك؟» فقالت: «نعم يا سيدى، كانت الأشياء التى يقولها لها أشياء رهيبة وفظيعة، كان يقول لها إنه سيقطع رقبتها وأشياء من هذا القبيل، وكان يشتمها ويسبها بأقذع أنواع الشتائم والسباب أيضا باللغة الألمانية وباللغة الإنجليزية أيضا. ومع ذلك كانت خالتى تقول إنه كان نمطا جميلا من الرجال عندما تزوجته. من المفزع يا سيدي أن نتصور ما يمكن أن تتطور إليه أحوال الرجال».

قال بوارو: «نعم، هذا صحيح. لذلك أعتقد يا مارى أنك وقد كنت تسمعين تهديداته هذه لم تستغربي ولم تندهشي عندما عرفت ما قد حدث؟» فقالت: «أوه، ولكنني يا سيدى. أنت تدرك يا سيدى. أننى لم أعتقد فى لحظة واحدة أنه كان يقصد حقا أن ينفذ تهديداته. كنت أظن فحسب أنها نوع رديئ من أساليب التخاطب من زوج لزوجته ولا شيئ أكثر من ذلك. ولم يكن يبدو أيضا أن خالتى كانت تخاف منه. ما هذا؟ لقد شاهدته بنفسى وهو يهرب كالكلب المذعور وذيله بين رجليه عندما كانت خالتى تشتد عليه. لقد كان هو الذى يخاف منها لو شئت الحقيقة».

قال بوارو: «وبالرغم من كل ذلك كانت تعطيه مبالغ من النقود؟» فقالت: «حسنا، لقد كان زوجها، وأنت تدرك ما يعنيه ذلك يا سيدى».

قال بوارو: «نعم. المسألة كما تقولين فى حقيقة الأمر، ولكن... افترضى أنه على الرغم من كل شيئ لم يكن هو الذى قتلها؟... هل عندك أى فكرة عن شخص آخر يجوز هو الذى قتلها؟»

وحملقت الفتاة فى وجه بوارو وقالت: «ليس عندى أى فكرة عن ذلك يا سيدى. لا يبدو هذا محتملا وعلى الرغم من ذلك لماذا لا يكون ممكنا؟»

قال بوارو: «ألم يكن يوجد أى شخص كانت خالتك تخاف منه؟» وهزت مارى رأسها وهى تقول: «لم تكن خالتى تخاف من الناس. كان لسانها طلقا وحادا ولاذعا وكانت تستطيع أن تواجه أى شخص دون أى خوف منه».

قال بوارو: «ألم تسمعى منها أبدا عن وجود أى شخص يكن لها شيئا من الضغائن لأى سبب؟» فقالت: «لا، فى حقيقة الأمر يا سيدى».

قال بوارو: «ألم تتلق خالتك أى رسائل من أى شخص مجهول؟» فقالت مارى: «أى نوع من

الرسائل تقول يا سيدى؟» فقال بوارو: «رسائل من شخص مجهول. رسائل من شخص لم يوقع الخطاب باسمه، ولا يصرح باسمه فى أى جزء من الخطاب. خطاب موقع بحروف أبجدية فقط مثل ألف باء كاف». وظل بوارو يترقب إجابتها هذا السؤال باهتمام كبير، ولكن الفتاة هزت رأسها نفياً وهى مندهشة من السؤال. قال بوارو: «هل يوجد أقارب آخرون لخالتك غيرك أنت؟» فقالت: «لا أحد الآن منهم موجود فى إنجلترا يا سيدى. إنها واحدة من عشرة أشخاص مات سبعة منهم فى سن الطفولة وعاش ثلاثة فقط. خالى توم مات فى الحرب. وخالى هارى ذهب إلى أمريكا الجنوبية ولم يسمع أحد عنه شيئا منذ رحل. وماتت أمى طبعا، ولذلك لم يبق من أقربائها سواى».

قال بوارو: «هل يوجد لخالتك أى مدخرات؟ أى نقود كانت تحتفظ بها مدخرة فى مكان ما؟» فقالت مارى: «كان عندها مبلغ صغير من المال تودعه فى بنك الادخار الوطنى يا سيدى، وهو مبلغ يكفى لتجهيزها للدفن يا سيدى. ذلك ما كانت تقول لى دائما. وفيما عدا ذلك لم تكن تمتلك من النقود أو تكسب من النقود إلا بقدر ما تتطلبه حاجتها المعيشية اليومية، واحتياج شيطانها العجوز ولنا جميعا». قال بوارو بصوت خافت كما لو كان يكلم نفسه: «فى الوقت الحالى يوجد شخص فى الظلام- ولا نعرف الاتجاه الذى يوصلنا إليه- لو تتضح الأمور أكثر مما هى الآن!»

ونهض بوارو وهو يقول: «لو احتجت إليك فى أى شأن يا مارى فإننى سأكتب خطابا يصلك فى هذا العنوان». فقالت مارى: «فى حقيقة الأمر يا سيدى أنا قد سلمت إلى سيدتى مذكرة بالاعتذار عن الاستمرار فى العمل طرفها. أنا لا أحب الحياة فى الضواحى الريفية. ولقد كنت موجودة هنا لأن هذا المكان يعتبر قريبا جدا من خالتى، ولكن الآن---» وأطلت الدموع فى عينيها مرة أخرى ثم استطردت قائلة: «لا يوجد سبب لبقائى فى الخدمة هنا. ولذلك سأعود للعمل فى لندن حيث الحياة أفضل بالنسبة لى فى لندن». فقال بوارو: «أنا أرجو أنك عندما يستقر بك المقام فى لندن أن ترسلى لى عنوان إقامتك بها. خذى هذه بطاقة تحمل اسمى وعنوانى ليمكن لك الاتصال بى من أى مكان تكونين موجودة فيه».

وقطبت الفتاة جبينها وتناولت البطاقة التى كان بوارو قد مد يده إليها بها. ونظرت الفتاة فى البطاقة وقالت: «أنت إذن لا صلة لك برجال الشرطة يا سيدى؟» فقال لها بوارو: «أنا أقوم بأعمال سرية خصوصية».

ووقفت الفتاة وهى تنظر إليه فى دهشة ثم قالت: «هل يوجد شئ ما- غريب جدا- يحدث وأنا لا أعرفه يا سيدى؟» فقال لها بوارو: «نعم يا ابنتى. يوجد شئ ما- غريب جدا- وغير معروف لنا- يجرى حدوثه. وفيما بعد ربما يمكن لك أن تقدمى لنا يد العون لكشف غموضه». فقالت الفتاة: «أنا- أنا سأفعل كل شئ فى استطاعتى يا سيدى. لم يكن من العدل أن تقتل خالتى».

كان تصوير الفتاة للمسألة بالغ البساطة ولكنه كان أيضا بالغ التأثير. وبعد قليل كنا فى طريقنا للعودة إلى أندوفر.



الفصل السادس
مسرح الجريمة

كان الشارع الذى وقعت فيه المأساة يتفرع من نهاية الشارع الرئيسى. وكان دكان السيدة آستشر يقع فى منتصف هذا الشارع الفرعى على الجانب الأيمن منه.

وعندما انعطفنا لكى ندخل الشارع الجانبى الذى وقعت فيه لجريمة نظر بوارو فى ساعة يده وعرفت السبب الذى من أجله كان بوارو قد أخر زيارته لمسرح الجريمة. كانت الساعة تقريبا على وشك أن تبلغ الخامسة والنصف. ولقد كان بوارو يرغب فى أن تكون معاينته فى وقت مماثل لوقت وقوع الجريمة. ولكن لو كان ذلك هو هدفه، فلقد طاش سهمه. لقد كان الشارع الآن وبالتأكيد يختلف فى أشياء كثيرة عما كان عليه نفس الشارع عند وقوع الجريمة مساء اليوم السابق. كانت توجد محلات صغيرة مدسوسة بين المنازل التى يمتلكها أو يستأجر بعض المساكن فيها كثير من أبناء الطبقة الفقيرة. ولقد أدركت على الفور أن عددا كبيرا من الناس فى ذلك الحى الشعبي سيحومون جيئة وذهابا حول مكان الجريمة بينما أولادهم يلعبون فى مجموعات عديدة فى أرض الشارع وعلى رصيفيه الجانبيين.

وفى هذه اللحظة كان يوجد كتلة من الناس يقفون ويحملقون نحو أحد المنازل أو بالتحديد نحو أحد المحلات الموجودة بالطابق الأول من أحد المنازل. كان أولئك الناس ينظرون إلى المكان الذى وقعت فيه إنسانة دون رحمة كما لو كانوا ينظرون إلى شئ لا تنقطع منه التسلية والإثارة.

وعندما اقتربنا من المحل كان ما توقعته متحققا تمام التحقق. كان يقف أمام باب المحل المغلق رجل شرطة شاب يحاول أن يحث الناس أن ينصرفوا إلى حال سبيلهم. وكلما انصرفت مجموعة من الناس بمساعدة زميل للشرطى كنت تجد مجموعة أخرى تتكون بالتدريج بزيادة شخص أو شخصين من وقت لآخر، ليقفوا ويحملقوا فى المحل كما لو كانت نظراتهم ستخرق الجدران لكى يبصروا القاتل وراء الجدران.

وتوقف بوارو على بعد مسافة قليلة من المجموعة المتزاحمة من الناس. ومن فوق رؤوس الناس قرأ بوارو لافتة صغيرة بصوت مسموع وقد كان مكتوبا عليها: «أ. آستشر». وقال بوارو: «نعم. من الممكن أن يكون هذا هو المكان الذى تريده. هيا، دعنا ندخل يا هاستنجز». وكنت أنا مستعدا لذلك بطبيعة الحال. وشققنا طريقنا بين الزحام متوجهين نحو المحل، وأخرج بوارو التصريح بدخول مكان الجريمة الذى كان قد حصل عليه من المفتش جلين. وأومأ الشرطى برأسه موافقا على دخولنا، واستدار وفتح قفل الباب لنتمكن من الدخول. ودخلنا إلى المكان الذى كان ذلك الحشد من الناس يرغب بشدة فى أن ينظر إلى ما يوجد بداخله.

كان المحل مظلما من الداخل نظرا لإحكام قفل أى مصدر لدخول الضوء من الشارع إلى داخل المحل فيما عدا الباب. وعثر الشرطى على مفتاح الإضاءة وأضاء لنا النور الكهربى. ولكن كان مصباح الإضاءة داخل المحل ضعيفا فظلت نسبة كبيرة من العتمة داخل المحل لم يستطع المصباح أن يبددها.

نظرت حولى. المكان صغير ضيق. وكانت بعض المجلات الرخيصة معلقة وكذلك صحف الأمس،

عليها غبار الأمس. وخلف المكتب الصغير كانت توجد رفوف تصل متصاعدة حتى سقف المحل مملوءة بعلب التبغ والسلع الأخرى. وكان يوجد إناء زجاجى مملوء بالسكر وآخر مملوء بالبسكويت. دكان يشبه آلاف الدكاكين الصغيرة المتناثرة فى أحشاء شوارع الأحياء الفقيرة.

وبدأ الشرطى يشرح لنا تفاصيل الموقف الموجود أمامنا، فقال لنا: «كانت جثتها موجودة فوق كومة من البضاعة خلف هذا المكتب الصغير. الطبيب يقول إنه لا يعرف الأداة التى استخدمها القاتل فى ضربته القاتلة لها. ومن الضرورى أنه ضربها وهى تحاول أن تحضر شيئا من أحد الرفوف.»

قال بوارو: «ألم يكن فى يدها شئ ماتت وهى ممسكة به؟» فقال الشرطى: «لا يا سيدى. ولكن كانت توجد خرطوشة من السجائر ماركة البحار بجوار جثتها».

وأومأ بوارو برأسه وعيناه تدوران فى أرجاء المكان، ثم قال: «ودليل مواعيد القطارات- أين كان موضعه بالضبط؟» فقال الشرطى وهو يضع يده على مكان معين فوق سطح المكتب الصغير: «كان موجودا هنا بالضبط يا سيدى. كان مفتوحا وعلى صفحته اليمنى مواعيد قطارات أندوفر وهو مقلوب والغلاف لأعلى. يبدو أنه كان يبحث مواعيد القطارات إلى لندن. ولو كان الأمر كذلك لكان من الأرجح أنه ليس من أهالى أندوفر على الإطلاق. ولكن من الممكن طبعا أن يكون دليل مواعيد القطارات يخص شخصا آخر غير القاتل، ونسيه بمجرد المصادفة بالمحل».

سألت أنا: «ألا توجد أى بصمات للأصابع؟» وهز الشرطى رأسه بما يفيد النفى وقال: «لقد تم فحص المكان وتم فحص كل شئ فيه بحثا عن بصمات لليد يا سيدى، ولم يتم العثور على أى بصمة». فسأله بوارو: «ولا توجد بصمات على المكتب نفسه؟» فقال الشرطى: «توجد بصمات كثيرة جدا على المكتب يا سيدى متزاحمة ومتداخلة وممتزجة ببعضها بحيث نجد جزءا من بصمة ملتحما بجزء من بصمة أخرى». فقال بوارو: «ألا توجد بصمة للسيدة آستشر بين هذه البصمات؟» فقال الشرطى: «لا يزال خبير البصمات يبحث شأن البصمات ولم يصل تقريره النهائى حتى الآن يا سيدى».

وأومأ بوارو برأسه وقال: «هل كانت صاحبة المحل تسكن فى مسكن فوق المحل فى نفس هذا المنزل؟» فقال الشرطى: «نعم يا سيدى، الطريق إلى مسكنها فى خلفية المحل يا سيدى. وأرجو أن تعفينى من المجئ معك لأننى لا أستطيع مغادرة مكانى».

وذهب بوارو تجاه الباب المؤدى إلى مسكن صاحبة المحل وأنا أمشى وراءه. كان المسكن عبارة عن حجرة صغيرة جدا ومطبخ صغير ملحق بها، وكان المسكن فى جملته نظيفا وجيد الترتيب، وإن كان الأثاث بسيطا ورخيصا. وعلى الدولاب كانت توجد صور فوتوغرافية قليلة العدد. توجهت نحوها ومعى بوارو لنتأملها.

كانت الصور الفوتوغرافية ثلاث صور. كانت إحداها صورة للفتاة مارى دروور التى رجعنا من زيارتها توا. كانت فى الصورة ترتدى أجمل ملابسها وتبتسم الابتسامة المعهودة فى صور الفتيات فتجعلهن يظهرن فى الصورة كما لو كن قد اتصلن بأسباب السعادة وتخلصن من أسباب التعاسة جميعا.

وكانت الصورة الثانية صورة جرى تكبير مساحتها لامرأة ذات شعر أبيض. يحيط برقبتها فى الصورة شريط من الفراء. واعتقدت أنها صورة السيدة روز التى كانت تعمل آستشر فى خدمتها

فأوصت لها بمبلغ من المال مكنها من فتح المحل وإدارته بنفسها.

وكانت الصورة الثالثة بالية باهتة لرجل وامرأة فى سن الشباب قد تشابك ذراع كل منهما بذراع الآخر. وقال بوارو وهو يشير إلى هذه الصورة: «ربما كانت هذه هى صورة زفافها. ألم أقل لك يا هاستنجز أنها كانت جميلة فى شبابها؟»

كان بوارو محقا تماما، لم تكن الملابس المتواضعة تخفى جمال صاحبة الصورة وتناسق قسمات وجهها تناسقا جميلا. وكان من الصعب جدا أن أتصور أن الرجل العجوز الذى رأيناه متهما بقتل زوجته هو هذا الشاب الوسيم الذى تتفجر الروح العسكرية من ملامح وجهه تفجرها من ملامح أى ألمانى يخوض غمار معركة ضارية.

استرجعت فى ذهنى ملامح الرجل العجوز المتأوه، والمرأة المضروبة ضربا أفضى بها إلى الموت وهى فى سن الشيخوخة التى تكسو ملامح وجهها المتغضن وقد فارقت أيضا هذه الملامح المتغضنة، واعترتنى رجفة من جراء لمسات الزمن مع توالى الأيام والأعوام. وسمعت بوارو وهو يتمتم قائلا: «يا للمرأة المسكينة، هيا بنا يا هستنجز. لا يوجد أى أوراق هنا. ولو كانت أى أوراق موجودة فى حوزة المرأة المسكينة فلا بد أن رجال الشرطة قد أخذوها عند تفتيش مسكنها».

وعندما عدنا إلى الشارع مرة أخرى، تردد بوارو بعض الشئ وتباطأ فجأة فى المشى، ثم حث خطاه فجأة وعبر الشارع. كان فى مواجهة محل القتيلة آليس آستشر محل لبيع الخضراوات والفاكهة ومعظم بضاعته معروضة خارج المحل والقليل منها موجود داخل المحل.

وقبل أن ندخل إلى المحل أعطانى بوارو بعض التعليمات ثم سبقنى فى الدخول إلى المحل، وانتظرت أنا لمدة دقيقتين ودخلت المحل أنا أيضا لأجد بوارو يساوم من أجل شراء خَسّة واحدة. وشرعت أنا فى شراء رطل من الفراولة. وكان بوارو يتكلم مع امرأة بدينة بعد أن اتفق معها على ثمن معقول للخسة التى كان يمسك بها فى يده. وسمعته يقول لها: «حدثت جريمة قتل فى المحل المواجه لمحلكم، أليس كذلك؟ يالها من مشكلة! ماذا كان شعورك عند اكتشاف الجريمة؟»

وكان يبدو على المرأة البدينة قد تعبت من كثرة الكلام عن هذه الجريمة. ولذلك قالت: «ياليت فردا من أولئك المتجمهرين ينصرف لينصرف بعده فرد آخر. لماذا يقفون هكذا؟ ماذا يمكن أن يفعلوا؟ وعلى أى شئ يريدون أن يتطلعوا. انتهت المأساة، وقتلت المرأة. أنا أريد أن أعرف لماذا يقفون أمام المحل وقد ماتت صاحبته؟ هل يريد أحدهم أن يشترى منها أى شئ؟»

قال بوارو: «كان ذلك ممكنا بالأمس، أما اليوم فهذا هو المستحيل بعينه. صدقت يا سيدى. لقد قتلت المرأة بالأمس! هل حدث أن رأيت بالصدفة أحدا يدلف إلى داخل المحل فى وقت حدوث الجريمة، رجل طويل القامة أو رجل قصير القامة، رجل أسمر أو رجل أشقر، نحيل أو بدين، طويل الشعر أو أصلع، له لحية وشارب أم له شارب فقط وهو حليق اللحية؟ أم أنه رجل روسى؟ سمعت أنه رجل روسى!»

قالت المرأة البدينة: «ما هذا؟ رجل روسى هو الذى قتلها؟ هل أنت تقول ذلك؟» فقال بوارو: «سمعت أن رجال الشرطة قد قبضوا عليه» فقالت: «هل أنت متأكد من ذلك؟ رجل من جنسية أخرى؟» فقال بوارو: «ولم لا؟ ظننت أنك قد شاهدته الليلة الماضية وهو يدخل المحل. يشترى الناس

حاجياتهم وهم وقوف خارج المحل، أما هذا الرجل فقد دخل داخل المحل».

قالت المرأة البدينة: «حسنا، ليس عندى وقت لأراقب ما يحدث فى المحلات الأخرى، وهذه هى كل الحقيقة. المساء هو وقت شغلنا. يوجد أناس يشترون خضراواتهم وفاكهتهم وهم عائدون إلى منازلهم. رجل طويل أشقر له ذقن- لا- أنا لا أستطيع أن أحدد أوصافا لأى شخص دخل محلا آخر غير محلنا فى الليلة الماضية أو أى ليلة على الإطلاق. أنا دائما مشغولة فى محلنا فى هذا الوقت من المساء كل يوم».

واندفعت أنا أقول: «معذرة يا سيدى. أعتقد أنك لم تصلك أخبار صحيحة. كان الرجل قصير القامة أسمر اللون هو ذلك الرجل الذى دخل المحل فى باكورة مساء الأمس».

واحتدمت مناقشة شائقة اشترك فيها زوج المرأة البدينة وصبى له صوت حاد النبرات. كثير من الرجال الذين كانت قامتهم قصيرة مروا بالمحل واشتروا منه بعض الأشياء. وأكد الصبى وقوف رجل طويل أشقر أمام المحل، ولكنه لم يشتر أى شئ.

وأخيرا دفعنا ثمن مشترياتنا، ولم نتحقق من صحة أى معلومات من المعلومات المتضاربة التى أثرناها. وعندما مشينا فى الشارع قلت: «وما الغرض من كل هذا؟» فقال بوارو: «مجرد دردشة القصد منها هو التأكد من عدم وجود شخص أجنبى الملامح بالقرب من المحل وقت حدوث الجريمة. وعندما نتأكد من انتفاء إحدى الحقائق فهذا بحد ذاته حقيقة من الحقائق».

قلت: «ألم يكن من الممكن أن تسأل سؤالا صريحا محددا عما تريد أن تتأكد منه دون الأكاذيب التى أفرطت فى قولها عن الحادث؟» فقال بوارو: « لكن لا يا صديقى. لو سألت ببساطة سؤالا مباشرا كما تقول لما حصلت على أى إجابة. أنت إنجليزى ويبدو لى أنك لا تعرف طبائع الإنجليز ولا رد فعلهم بشأن الأسئلة المباشرة. إن المقاومة فى إعطاء المعلومة عن السؤال المباشر هى المسلك الذى لا يتغير لدى الإنجليز. لو سألت أولئك الناس سؤالا مباشرا لكان صمتهم مثل صمت المحارة. ولكن عندما نطلق أقوالا وتعارضها أنت بأقوال أخرى تنفتح شهية الإنجليز للكلام والمناقشة ومحاولة تمحيص الأقوال للوصول إلى الحقيقة وتنفك عقدة ألسنة الإنجليز. إننا قد عرفنا أن هذا الوقت من النهار وقت مزدحم بالعمل وبحركة السير على الأقدام فى هذه الشوارع الخلفية. إن القاتل قد اختار الوقت المناسب لاقتراف جريمته. فى وقت الظهيرة مثلا يكون عدد الناس الذين يمشون بالشارع قليلا، ويكون من السهل معرفة ملامحهم لعدم انشغال أصحاب المحلات الأخرى بكثرة الزبائن. لقد عرف القاتل كيف يختار الوقت المناسب لاقتراف الجريمة يا هستنجز».

وسكت بوارو قليلا ثم قال: «أليس لديك أى درجة من درجات حسن التصرف يا هستنجز؟ قلت لك:

اشتر شيئا متواضعا وتدخل لتشترى رطلا من الفراولة. شراء الفراولة وبدلة فخمة أيضا يكفلان أن تثور الشكوك فى رؤوسهم وأن يشعروا بالخطر الشديد. ربما ظنوك مدير الأمن العام». وشعرت أن هذا كان صحيحا. وقمت على الفور بإهداء رطل الفراولة لأول صبى قابلنى، وأضاف بوارو إهداء الخسة إلى نفس الصبى المندهش.

ومشينا خطوات قليلة. ورأينا لافتة مكتوب عليها»للإيجار» على يمين المنزل الذى يوجد فيه محل

السيدة آستشر، وفى مقابلة بيت أسدلت الستائر على نوافذه. وقصد بوارو مدخل ذلك البيت ومشيت وراءه. لم يكن يوجد جرس. وأخذ بوارو يقرع الباب بقطعة من النحاس كانت مثبتة مدلاة من الباب. وبعد شئ من التأخير فتح صبى صغير الباب، وقال بوارو: «مساء الخير. هل أمك موجودة؟» وقال الصبى: «نعم؟ لماذا؟» وتطلع إلينا الصبى بشئ من الدهشة وعدم الترحيب. ثم استدار الصبى إلى داخل البيت وهو يقول بأعلى صوته: «يا أمى، بعض الناس يريدونك».

وظهرت امرأة حادة الملامح فى أعلى السلم وبدأت فى النزول، وهى تقول»لا فائدة من إضاعة الوقت-» وعاجلها بوارو بقوله: «مساء الخير يا سيدتى. أنا من هيئة تحرير صحيفة فليكر المسائية. أنا أرغب فى إقناعك بقبول خمسة جنيهات فى مقابل حديث ننشره فى جريدتنا عن جارتك المرحومة السيدة آستشر».

وماتت الكلمات القاسية اللهجة فوق شفتى المرأة. وأخذت تسوى شعرها بيديها، وتشد أطراف القميص الذى كانت ترتديه فوق ثيابها لتزيل بعض الكرمشة منه. وقالت»تفضل بالدخول من فضلك. جهة اليسار. ألا تتفضل بالجلوس يا سيدى؟»

وكانت الحجرة الصغيرة مكتظة بالأشياء المختلفة. ولكننا نجحنا فى أن نجد لنا مكانا نجلس فيه فوق كنبة بالغة الصلابة. وقالت المرأة: «يجب أن تلتمس لى شيئا من العذر يا سيدى. أنا جد متأسفة لأننى تحدثت بحدة منذ قليل. ولكنك لا تستطيع أن تدرك مدى التعب الذى أعانيه من كثرة مقابلة الناس الذين يدقون الباب يريدون بيع أشياء مختلفة الأنواع لى... هذا يريد أن يبيع لى كذا وذاك يريد أن يبيع لى كيت،وأنا لا أريد شراء أى شئ من أى واحد منهم. ما أرغب فى شرائه أنزل إلى الشارع وأشتريه من أحد المحلات، ولكنهم لا يعرفون ذلك، وأنا لا أعرف من الذى يشترى منهم الأشياء التى يدقون الأبواب ويعجزون أصحابها لكى يعرضوا على الناس شراء أشياء لا يحتاجون إليها. ويقولون لى: خذى يا سيدة فولر هذا المسحوق لتنظيف الملابس أو هذا المسحوق لتنظيف الأوانى أو هذه الجوارب أو هذا المنديل أو هذه الزجاجة من الكولونيا..»

وأمسك بوارو باسمها وقال لها: حسنا يا سيدة فولر، آمل أن تقومى بما طلبته». فقالت: «أنا متأكدة أننى لا أعرف---»

وفى هذه اللحظة أخرج بوارو ورقة نقد فئة خمسة جنيهات ورفعها أمامها بيده فقالت: «أنا أعرف السيدة آستشر بطبيعة الحال، ولكن بشأن كتابة أى شئ--» وأكد بوارو أنه لن يكتب أى شئ. سيسألها شفويا ثم يقوم هو بالكتابة بعد انصرافه عندما تنهى المقابلة. وعندئذ تشجعت السيدة فولر وانطلقت تتكلم فى دردشة متحمسة وتقول: «كانت السيدة آستشر منطوية على نفسها. لم تكن اجتماعية تحرص على العلاقات الودية مع جيرانها. وكان عندها كمية من المتاعب- المسكينة.كان كل الناس يعرفون عنها ذلك. والحق يقال أن فرانز آستشر كان يلزم أن يحبس منذ سنوات. كانت السيدة آستشر تخاف منه. كانت تعطيه كل ما تستطيع. ولكنه كان كثير المطالب منها. وكنت أنا أقول لها: إنه فى يوم من الأيام سيفعلها هذا الرجل معها، ولقد فعلها معها. ألم يفعلها؟ وكانت فى المنزل المقابل لنا ولم نسمع أى صوت».

وتمكن بوارو بعد طول انتظار أن يوجه لها سؤالا عندما توقفت عن الكلام لتلتقط أنفاسها فقال لها:

« ألم تستلم السيدة آستشر أى خطابات غريبة؟ خطابات مرسلها غير معروف مثلا؟ خطابات بدون توقيع أو خطابات موقعة بالحرف أ.ب.ك؟» وللأسف الشديد أجابت السيدة فولر بالنفى وقالت: « أنا أعرف هذا الشئ الذى تتكلم عنه- الخطابات المجهولة. خطابات مليئة بكلامات يخجل الإنسان ويحمر وجهه عندما يقولها. حسنا، أنا لا أعرف. وأنا غير متأكدة ما إذا كان فرانز آستشر يدأب على كتابة هذا النوع من الخطابات. إن السيدة آستشر لم تكن تخبرنى بذلك لو أنه فعل ذلك. ما هذا؟ هل هذا دليل أبجدى لمواعيد القطارات؟ لا، أنا لم أشاهد عندها مثل هذا الدليل. وأنا متأكدة أنه لو كان عند السيدة آستشر واحد من هذا النوع لكنت قد عرفت بوجوده عندها. أننى لم أكن أعرف أنها ماتت حين جاءت ابنتى إدى وقالت: يا ماما، يوجد رجال شرطة عددهم كبير فى المنزل المجاور لنا. وتنبهت بعدئذ لما كان يحدث. وعندما سمعت بموتها قلت: إنها لم يكن من الصواب أبدا أن تظل فى المحل وفى المسكن بمفردها. كان من الضرورى أن تقيم ابنة أختها معها. الرجل وهو عربيد يمكن أن يكون مثل الذئب الجائع. ولم يكن زوجها يقل وحشية عن أى وحش من الوحوش. وقد حذرتها. قلت لها أنه سيعملها معها وقد فعلها معها!، أنت تستطيع أن تدرك ما يمكن أن يفعله الرجل العربيد وجريمة القتل هذه دليل على ذلك قال بوارو: « ألم يشاهد أحد هذا الرجل آستشر يقترب من المحل قبل وقوع الجريمة مساء الأمس؟» فقالت: « من الطبيعى أنه لم يكن ليعلن عن وجوده». ولكن السيدة فولر اضطرت إلى الأعتراف بأنه لا يوجد مدخل خلفى لمسكن السيد آستشر وأن السيد آستشر كان معروفا جيدا لدى كل سكان الشارع ولكنها استدركت قائلة: « ولكنه لم يشأ أن يكون قدومه مكشوفا فى المرة الأخيرة وقام بالتخفى بطريقة أو أخرى».

وظل بوارو يطيل فى الحوار معها بعض الوقت، وعندما اكتشفت أنها قالت كل ما لديها أكثر من مرة أنهى المقابلة وأعطاها مبلغ الجنيهات الخمسة.

وعندما نزلنا إلى الشارع قلت له: « خمسة جنيهات ثمن باهظ لدردشة السيدة فولر يا بوارو». فقال بوارو: «حتى الآن، هذا ثمن باهظ». فقلت له: «هل تعتقد أنها تعرف أكثر مما قالت؟» فقال بوارو: « يا صديقى، نحن فى وضع غريب بالغ الصعوبة. نحن لا نعرف أى أسئلة لكى نسأل. إننا مثل أولاد صغار يلعبون لعبة أن يمسك أحدهم بآخر فى الظلام الدامس. إننا نمد أيدينا مثلهم أمام صدورنا ونتحرك ببطء شديد. هيا بنا نتحسس طريقنا إلى المفتش جلين».

الفصل السابع

السَّيِّدان



كان المفتش جلين يبدو مكتئبا. كان قد قضى طوال فترة ما بعد الظهيرة يجمع معلومات عن الرجال الذين تصادف وجودهم بمحل السجائر ليعمل قائمة بأسمائهم.

واستفسر منه بوارو قائلا: «ولم يشاهد أى شخص أى شخص؟» فقال المفتش جلين: «أوه، لقد شوهد بعض الأشخاص: ثلاثة رجال كل منهم طويل القامة ومظهر كل منهم مريب- أربعة رجال كل

منهم قصير القامة وله شارب كث- ثلاثة رجال يمتازون بالسمنة- كلهم غرباء عن المنطقة- وكلهم، لو كان يجوز لى أن أصدق شهادة الشهود سحنة كل منهم مريبة! وأنا أعجب لماذا لم يشاهد أحد عصابة من الرجال الملثمين ومعهم مسدسات يشهرونها فى وجوه أولئك الشهود».

وابتسم بوارو وهو يقول: «هل ذكر أحد الشهود أنه قد رأى ذلك الرجل آستشر؟» فقال المفتش جلين: «لا، لم يفد أى شاهد هذه الإفادة. وهذه نقطة لصالح آستشر. ولقد أخبرت مدير الأمن أن هذه القضية يجب أنت تدخل فى نطاق عمل إدارة سكوتلانديارد نفسها. إننى لا أعتقد أنها جريمة محلية». فقال بوارو بصوت حزين: « أنا أتفق معك تماما». فقال المفتش جلين: « أنت تدرك يا سيد بوارو أن هذه مهنة قذرة، مهنة قذرة. أنا لا أحبها...»

وقمنا بإجراء مقابلتين قبل عودتنا إلى البيت. كانت المقابلة الأولى مع السيد جيمس بارتريدج الذى كلن يفترض أنه آخر رجل شاهد السيدة آستشر وهى لا تزال على قيد الحياة. كان قد اشترى منها شيئا فى الساعة٥,٣٠.

وكان السيد بارتريدج رجل ضئيل الجسم، يعمل كاتبا فى أحد البنوك، ويضع نظارة فوق عينيه، وكان جاف الطباع، قليل الكلام. وكان يقيم فى منزل صغير نظيف وضئيل الحجم مثل صاحبه.

قال السيد بارتريدج وهو يقرأ بطاقة بوارو: الس. السيد بوارو- من المفتش جلين؟ ماذا أستطيع أن أفعل لك يا سيد بوارو؟»

قال بوارو: «لقد عرفت أنك يا سيد بارتريدج كنت آخر شخص شاهد السيدة آستشر وهى لا تزال على قيد الحياة». ووضع السيد بارتريدج إصبعه فى منتصف نظارته ونظر إلى بوارو كما لو كان ينظر إلى أحد الشيكات المشكوك فيها وقال: «هذه مسألة فيها كلام وتحتمل النقاش لأنها غير مؤكدة يا سيد بوارو. يجوز أن يكون أناس آخرون قد اشتروا أشياء من السيدة آستشر بعد أن اشتريت أنا من محلها شيئا يلزمني».

قال بوارو: «لو كان ذلك صحيحا، فلم لم يتقدم أحدهم إلى الشرطة بما يفيد ذلك مثلما فعلت أنت». فقال السيد بارتريدج: «بعض الناس يا سيد بوارو ليس لديهم إحساس بالواجب الاجتماعى». ونظر إلينا نظرة ثاقبة من وراء زجاج نظارته.

قال بوارو: «هذا صحيح، أما أنت يا سيد بارتريدج فقد تطوعت للذهاب إلى الشرطة بكامل إرادتك؟» فقال بارتريدج: «بالتأكيد أنا فعلت ذلك بكامل إرادتى دون إجبار. بمجرد أن سمعت عن الحادث المروع أدركت أن إفادتى يجوز أن تكون ذات فائدة للشرطة وذهبت إليهم بمحض إرادتى».

قال بوارو بجدية ووقار: «هذه روح طيبة جدا. وأرجو أن تسمح بأن تعيد أقوالك على مسامعى.» فقال بارتريدج: «بكل سرور. لقد كنت عائدا إلى هذا المنزل فى الساعة٥,٣٠ بالتحديد___» فقال بوارو: «عفوا، وكيف عرفت أن ذلك كان هو الوقت بالتحديد؟» فقال: «دقت ساعة البنك، ونظرت فى ساعة يدى، وجدت أن ساعتى تؤخر دقيقة واحدة عن ساعة البنك. وكان ذلك بالضبط عندما كنت أهم بالوقوف أمام محل السيدة آستشر».

قال بوارو: «هل تعودت أن تشترى أشياء من ذلك المحل؟» فقال»: كنت أشترى منها أشياء كثيرة إلى حد ما. محلها فى طريق عودتى من العمل. وكنت أشترى منها مرتين فى الأسبوع أوقيتين من دخان

ماركة كتون مايلد».

قال بوارو: « هل كنت تعرف السيدة آستشر معرفة وثيقة؟هل عرفت شيئا عن ظروف معيشتها أو تاريخ حياتها؟» فقال: «لا شئ من ذلك. لا شئ أكثر من أن أشترى منها ما كنت أريده، وربما بعض الكلمات القليلة عن حالة الطقس».

قال بوارو: «هل تعرف شيئا عن زوجها العربيد وتهديداته لها؟» فقال: «لا، لا أعرف شيئا من ذلك».

قال بوارو: «أنت كنت تراها مرات كثيرة، هل لاحظت فى المرات الأخيرة أى تغيرات فى طباعها أو كلامها أو ملامح وجهها مساء الأمس؟ هل كانت تبدو منزعجة أو خائفة أو قلقة على غير عادتها؟» فقال: «بقدر ما استطعت ملاحظته كانت تبدو تماما كالمعتاد».

ونهض بوارو واقفا وهو يقول: «أشكرك يا سيد بارتريدج لتفضلك بإجابة هذه الأسئلة.هل عندك أى دليل لمواعيد القطارات مرتب ترتيبا أبجديا؟» فقال: « يوجد دليل أبجدى فوق الرف الذى وراءك».

وكان دليل مواعيد القطارات المرتب ترتيبا أبجديا موجودا مع دليل آخر مرتب حسب وجود المحطات على خطوط السكة الحديد مع كتب أخرى تتعلق بأعمال البنوك.

وتناول بوارو دليل مواعيد القطارات المرتب ترتيبا أبجديا وتظاهر بالبحث عن موعد قطار ثم شكر السيد بارتريدج وانصرفنا.

وكانت مقابلتنا الثانية مع السيد ألبرت ريدل الذى كان نمطا مختلفا كل الاختلاف من حيث الطباع وكيفية التفاهم مع الآخرين. كان يعمل فى صناعة الأطباق الخزفية. وتحدثنا إليه بينما كانت زوجته ذات الملامح الحادة منهمكة فى العمل وكان كلبه لا يكف عن النباح وذلك بالإضافة إلى الروح العدائية الواضحة فى لهجة السيد ريدل نفسه.

كان رجلا عملاقا ضخم الجسم صغير العينين عريض الوجه. كان يأكل فطيرة محشوة باللحم ويشرب كوب شاى أسود اللون. ونظر إلينا نظرة غاضبة أطلت علينا من فوق كوب الشاى الذى كان يرشف منه الشاى بصوت مسموع. وزمجر قائلا: « لقد قلت كل ما أستطيع قوله مرة، ألم أفعل ذلك؟ وعلى كل حال ماذا تريدان منى؟ قلت ما عندى لرجال الشرطة. فعلت ذلك. والآن هل يلزم أن أكرر ما قلته لرجلين من الغرباء؟»

ونظر بوارو نحوى نظرة تشي بالحيرة ثم قال له: «فى الحقيقة أنا قلبى معك. ولكن ماذا يمكن لك أن تفعل؟ إنها جريمة قتل. أليست هى جريمة قتل؟ من الضرورى أن يهتم بها الناس كل الاهتمام».

وعندئذ قالت له زوجته: «من الأفضل أن تقول للسيد كل ما تريده يا برت».فزأر الرجل العملاق وهو يقول لها: «أغلقى أنت فمك يا امرأة».

وعندئذ قال له بوارو بعفوية: «إنك لم تذهب إلى الشرطة وتدلى إليهم بأقوالك بمحض إرادتك، أليس كذلك؟» فقال: «ولماذا أذهب أنا إليهم؟ ليس هذا شأنا يخصنى؟.

قال بوارو: «المسألة تتعلق بالرأى العام وبالصالح العام- توجد جريمة قتل- ورجال الشرطة يريدون أن يعرفوا- أنا نفسى أعتقد أنه كان يحسن بك أن تتقدم من تلقاء نفسك إلى رجال الشرطة وتدلى لهم بكل ما تعرفه». فقال: «عندى شغلى الذى أعمله. أنا لا أذهب إلى أى مكان آخر من أجل شئ لا

يخصنى على حساب الوقت اللازم لعملى».

قال بوارو: «ولكن الذى حدث فعلا هو أن الشرطة حصلوا على اسمك باعتبار أنك شخص دخل عند السيدة آستشر وجاءوا إليك. هل اقتنعوا بما قلته لهم؟» فقال: «ولماذا لا يقتنعون؟ ما الذى تحاول الوصول إليه يا سيد؟ ليس لدى أى شخص دليل ضدى لا لا. كل الناس يعرفون من فعل ذلك بها. إنه زوجها».

قال بوارو: «ولكنه لم يأت إلى الشارع فى ذلك المساء، وأنت الذى ذهبت عندها فى ذات المساء». فقال: «هل أنتَ تحاول أن تلصقها بى؟ هل تحاول ذلك؟ حسنا، إنك لن تنجح فى ذلك. ما السبب الذى يجعلنى أفعل ذلك؟ هل تعتقد أننى أحصل على علبة دخان من وراء هذا العمل البشع؟ هل تعتقد أننى مجنون سفاك الدماء؟ هل تعتقد أننى--؟»

ونهض عن مقعده متحفزا كما لو كان سيهجم علينا، وصاحت زوجته تقول له: «برت. برت. لا تقل هذه الأشياء. برت- سيظنون-»

وعندئذ قال بوارو: «اهدأ يا سيد. أنا أطلب منك فقط ما تعرفه عندما ذهبت عندها آخر مرة. وعندما ترفض أن تقول لنا أى شئ عن ذلك فأنا أعتبر أن هذا شئ غريب على نحو ما». فقال: «ومن الذى قال إننى أرفض أن أقول؟. إننى لا أعبأ بهذا». وجلس فى مقعده.

قال بوارو: «هل كانت الساعة هى الساعة السادسة عندما كنت عندها فى المحل؟» فقال: «هذا صحيح. ربما بعد الساعة السادسة بدقيقة أو دقيقتين. كنت أريد علبة من سجائر جولد فليك. ودفعت الباب وفتحته_»

قال بوارو: « كان الباب مغلقا؟» فقال: «هذا صحيح. ظننت المحل مغلقا، وهذا جائز، ولكن المحل لم يكن مغلقا. دخلت، ولم يكن أحدا موجودا بالمحل. جعلت أضرب بيدى على المكتب وانتظرت قليلا. ولم يأت أحد. ولذلك خرجت من المحل. هذا هو كل ما هنالك. وتستطيع أن تضع ما قلته لك فى كوب ماء وتشربه».

قال بوارو: «ألم تشاهد الجثة بجوار المكتب؟» فقال: «لا. الإنسان لا يستطيع أن يراها إلا لو كان ذاهبا للبحث عنها. هذا جائز فى هذه الحالة».

قال بوارو: « هل كان دليل بمواعيد القطارات موجودا على المكتب؟» فقال:نعم وكان مقلوبا. وجال بخاطرى أن المرأة قد وضعته لتلحق بأحد القطارات، ونسيت أن تغلق المحل». قال بوارو: «ألم تتصفح دليل القطارات؟» فقال: « لم ألمسه. فعلت ما قلته لك فقط».

قال بوارو: «وأنت لم تشاهد أى شخص داخل المحل أو بالقرب منه عندما دخلت أنت؟» فقال: «لم أشاهد أى شخص. وما أقوله الآن هو: لماذا تتحرش بى؟» فقال بوارو: «لا أحد يتحرش بك يا سيد- حتى الآن. طاب مساؤك يا سيد».

وترك الرجل فاغر الفم وخرجت أنا وراء بوارو. وعندما أصبحنا فى الشارع نظر بوارو فى ساعته ثم قال: «لو أسرعنا فى المشى يا صديقى، ربما نلحق قطار الساعة٧,٢٠ فلنسرع.

الفصل الثامن
خطاب ثان



قلت: «حسنا؟»

كنا نجلس بمفردنا فى عربة من عربات الدرجة الأولى بالقطار. وكان القطار قد غادر محطة أندوفر توًا.

قال بوارو: «الجريمة ارتكبها رجل متوسط الطول، أحمر الشعر، ويوجد حول فى عينيه اليسرى. وهو يعرج عرجا خفيفا فى قدمه اليمنى. وتوجد شامة تحت إبطه».

صحت قائلا له: «يا بوارو، ما هذا الذى تقول؟ هل تهزأ بى؟» فقال بوارو: «يا صديقى، أنت تنظر إلَى نظرتك إلى كلب وفى ولا تتحمل منى أن أقول لك بضع كلمات على طريقة شرلوك هولمز! والآن أقول لك الحقيقة. أنا لا أعرف كيف يبدو القاتل على الإطلاق، ولا أعرف عنوانه، ولا أعرف كيف تمسك به».

قلت: «لو كان القاتل قد ترك شيئا بسيطا نستطيع أن نستدل منه عليه لكان معنا مفتاح يفتح مغاليق هذه القضية». إن المفتاح هو الشئ الذى يشغلك دائما. يا للأسف، لا أمل! إنه لا يدخن سيجارة ويترك الرماد أو بقيتها فى مكان الجريمة. وهو لم يمش فوق الرماد بحذائه الذى يوجد بنعله مسامير من نوع معين. لا أمل، إنه ليس قاتلا مريحا إلى هذا الحد. ولكن عندك على الأقل يا صديقى دليل مواعيد القطارات المرتب ترتيباً أبجديا. هذا هو المفتاح الوحيد الموجود فى القضية!»

قلت: «هل تظن أنه تركه سهوا منه خطأ؟» فقال بوارو: «بالطبع لا. لقد تركه عامدا متعمدا. البصمات تقول ذلك». فقلت: «ولكن لم تكن توجد عليه أى بصمات». فقال بوارو: «هذا هو ما أردت أن أجعلك تقوله. ماذا كانت الليلة الماضية؟ كانت ليلة حارة الجو من ليالي شهر يونيو. هل يمشى رجل فى الشارع وهو يرتدى قفازا فى جو ليس جوا باردا؟ مثل هذا الرجل يلفت الأنظار بسهولة. وبناء على ذلك، وحيث إنه لا توجد بصمات على دليل مواعيد القطارات المرتب أبجديا، فمن الضرورى أنه قد أزالها بعناية فائقة وترك لنا الدليل بدون أى بصمات. الرجل البرئ لم يرتكب الجريمة ويحتمل أن يكون قد نسيه يستحيل أن يهتم بأن يزيل البصمات بعناية. ولذلك فإن القاتل الذى يهمنا شأنه قد تركه عامدا متعمدا عن قصد وسبق إصرار. وفيما عدا هذه الملاحظة لا يعتبر مفتاحا للجريمة كما تريد أنت أن يكون المفتاح. ولكن شخصا من الأشخاص قد أحضره، وقد تعمد أن يتركه وراءه. وربما كان ذلك بعض الجدوى».

قلت: «هل تعتقد أن تعرف شيئا من هذه الناحية؟» فقال بوارو: «بصراحة يا هاستنجز أنا لست متفائلا. هذا الرجل المجهول الهوية يفخر فى قرارة نفسه بنفسه ويعتد كثيرا بقدراته الفذة على ارتكاب جريمة لا يستطيع أحد أن يناله بعد ارتكابه لها. إنه يعتد كثيرا بذكائه وقدراته فى هذا الصدد. إنه لم يكتف بأن يتحدى رجال الشرطة، بل أراد أيضا أن يتحدانى فأرسل إلى خطابا ليشركنى فى التحدى وليس من المحتمل والحال هى هذه أن يترك وراءه آثارا تدل على حقيقة شخصيته».

قلت: «ولهذه الأسباب لا يمكن أن يعتبر دليل مواعيد القطارات المرتب أبجديا دليلا يقود إلى معرفتنا به؟» فقال بوارو: «ليس بالمعنى الذى تقصده». فقلت: «بأى معنى إذن؟»

ولم يجب بوارو على الفور، وبعد لحظات من التفكير قال ببطء شديد» الإجابة هى نعم. يمكن أن يفيدنا هذا الدليل على نحو غير مباشر. يواجهنا فى هذه القضية شخصية مجهولة لنا تماما. إنه فى الظلام ويحرص كل الحرص على أن يظل فى الظلام ولكن وبحكم طبيعة الأمور يستحيل أن يتفادى إلقاء الضوء على نفسه بنفسه. هذا هو ما أتوقعه منه بالغا ما بلغ حرصه. بمعنى من المعانى نحن لا نعرف عنه أى شئ. أنا أرى شخصيته تتخذ شكلا ضبابيا. رجل يطبع كلمات خطاباته طباعة أنيقة- يشترى نوعا فاخرا من الورق- رجل يحتاج بشدة أشياء تزيد شخصيته احتراما. أنا أتخيله مثل طفل ذكى يتجاهل أهله شخصه وقدراته، وهو يريد أن يلفت أنظارهم إلى ذكائه. إننى أراه يشب عن الطوق مثقلا بالشعور بالدونية والانحطاط ومثقلاً بالشعور بالظلم وعدم تقدير الآخرين لقدراته العقلية... أنا أرى هذا الدافع الداخلى لديه ليتأكد من قدراته العقلية، لكى يستيقن من ذكائه ومن أنه الأقوى ذكاء، أقوى ذكاء من كل الناس ومن أذكى الأذكياء، أقوى من كل الأحداث، وأقوى من كل الظروف، يسحق الأحداث والظروف سحقا ليزداد إعجابا بذكائه واعتدادا بقدراته. ولا تزال المباراة مستمرة، ولا يزال القطار يتحرك...»

قلت: «هذا مجرد تحليل نفسى عقلى نظرى، وهو لا يعطيك مساعدة فعلية». فقال بوارو: «أنت تفضل إنهاء المباراة بسرعة يا هاستنجز. رماد السيجارة، يدوسه القاتل بحذائه الذى توجد به مسامير من نوع معين! ولكننا نستطيع أن نسأل أنفسنا بعض الأسئلة العملية مثل: لماذا يصر القاتل على أن يترك وراءه دليل مواعيد القطارات المرتب ترتيبا أبجديا بالذات؟ لماذا لم يترك شيئا آخر سواه؟ لماذا قتل السيدة آستشر بالذات؟ لماذا اختار ضحيته من أندوفر بالذات؟

قلت: «كان ماضى حياة المرأة عاديا وفى غاية البساطة. لقد كانت مقابلتنا لهذين الرجلين مخيبة للأمل تماما. لم يفض إلينا أى منهما بشئ ذى قيمة فى ماضى حياة المرأة ومناشطها. لم يقولا لنا أى شئ لم نكن نعرفه». فقال بوارو: «أقول لك الحق، أنا لم أكن أنتظر منهما شيئا على الإطلاق. ولكننا يلزمنا أن نفحص كل شئ. ولم يكن هنالك بد من أن نقابل رجلين يعتبرهما رجال الشرطة من شهود جريمة القتل».

قلت: «هل أنت بالتأكيد لم تكن تعتقد_» فقال بوارو: «توجد على الأقل إمكانية أن يكون القاتل مقيما فى أندوفر أو بالقرب منه أو يمر طريقه بها ليلمح السيدة آستشر بالمحل أكثر من مرة ويلمح اسمها مكتوبا فوق واجهة المحل. وهذه هى إجابة سؤالنا الذى يقول: لماذا أندوفر؟ حسنا، يوجد رجلان كانا موجودين بالمكان فى ساعة الذروة ويمكن أن يكون أحدهما قد فعلها، ولا يوجد شئ يؤكد أن أحدهما ليس هو القاتل». فقلت: «ربما كان القاتل هو ذلك الشخص المتوحش الطباع الضخم الجسم ريدل». فقال بوارو: «أنا أميل إلى إبراء ريدل من الاتهام. إنه عصبى مندفع ونفسيته غير مرتبة أو متماسكة ولا يمكن أن يقترف جريمة ولا يترك أى دليل». قلت: «ولكن عصبيته واندفاعه وانعدام الترتيب فى مشاعره-» فقال بوارو: «طبائعه مختلفة تماما عن سمات شخصية الرجل الذى حرر لنا الخطاب الموقع بحروف أ.ب.ك. إن الحذر والثقة الشديدة بالنفس هما الخاصيتان اللتان يلزم أن تتوافر فى شخصية

القاتل وهما غير متحققتين فى شخصية ريدل».

قلت: «أنت تبحث عن شخص يعتمد على إظهار ذكائه فى اقتراف الجريمة؟» فقال بوارو: «من الممكن أن يكون هذا الشخص هو الذى أبحث عنه. وأعتقد أن بعض الناس من هذا الطراز، تحت ضغط حالة عصبية شديدة، وعلى نحو خارج عن إرادتهم يتصفون بكثير من الغرور وبالشعور بالرضا عن أنفسهم».

قلت: «ألا تعتقد أن السيد بارتريدج الضئيل الجسم تنطبق عليه--؟» فقال بوارو: «إنه أقرب إلى هذا النمط من أنماط الشخصية. إنه يتصرف كما يمكن أن يتصرف كاتب الخطاب الذى وصلنى. يذهب فورا من تلقاء نفسه إلى الشرطة- يدفع بنفسه إلى المقدمة- يستمتع ويفخر بذلك».

قلت: «هل تعتقد بحق--؟» فقال بوارو: «لا يا هاستنجز. أنا أعتقد شخصيا أن القاتل قد جاء من مكان آخر غير أندوفر. ولكننا لا ينبغى أن نترك أى منعطف من المنعطفات دون أن نبحث فيه بكل عناية. وعلى الرغم من أننى أشير إلى القاتل دائما باعتبار أنه رجل أو استخدم ضمير المفرد الغائب المذكر»هو»، فلا ينبغى أن نغفل يا هاستنجز أن تكون القاتلة امرأة من النساء أن تكون»هى» التى ارتكبت الجريمة. يلزم أن ندرس كل الاحتمالات يا هاستنجز». فقلت: «بالتأكيد لا يحسن أن نهمل دراسة أى احتمال».

قال بوارو: «إن طريقة القتل تدل على رجل، ولكن النساء يغلب عليهن كتابة الرسائل المجهولة. يجب ألا ننسى ذلك».

سكت قليلا ثم قلت: «وماذا ستفعل بعد هذا؟» فقال بوارو: «أنت رجل نشيط لا تحب التوقف عن العمل». فقلت: «لا، ولكن، ماذا ستعمل؟» فقال بوارو: «لا شئ». قلت: «لا شئ؟» فقال بوارو: «هل أنا ساحر؟ هل أنا مشعوذ؟ ماذا تريدنى أن أفعل؟»

وعندما أدرت المسألة فى ذهنى لم أستطع أن أجيب عن أسئلته على الإطلاق. وعلى الرغم من ذلك شعرت أننا يجب أن نعمل شيئا ولا نظل قابعين فى أماكننا والمجرم حر طليق الحركة يستطيع أن يفعل ما يشاء، فقلت: «يوجد الدليل المرتب ترتيبا أبجديا، وتوجد الورقة التى دون عليها خطابه، ويوجد مظروف الخطاب--»

قال بوارو: «فعلنا كل ما يمكن عمله بصدد هذه الأشياء. الدليل الأبجدى فى حوزة رجال الشرطة- اطلعوا على الخطاب- اطلعوا على مظروف الخطاب. ولو أمكن الوصول إلى أى شئ من خلال هذه الأشياء فلا تخش شيئا سوى أنهم لن يصلوا إلى أى شئ».

وهدأت.

وفى الأيام التالية لم أجد أن بوارو يحب أن يسمع كلمة واحدة عن هذه القضية. وعندما كنت أحاول معاودة الكلام عنها كان بوارو يكتفى بأن يشيح بيده عازفًا عن أى كلام بشأنها...

كنت أخشى أن أكون أنا الذى قللت حماسه للعمل فى هذه القضية. بشأن جريمة قتل السيدة آستشر كان بوارو قد أعلن عن فشله بوضوح. كان الشخص الذى رمز إلى اسمه بالحروف أ.ب.ك قد تحداه، وكان أ.ب.ك. قد ربح التحدى دون جدال من بوارو. وكان صديقى بوارو الذى تعود على إحراز الانتصارات المتوالية فى معالجة أصعب القضايا متأثرا أبلغ التأثر بفشله فى معالجة هذه القضية إلى

حد كبير لدرجة أنه لم يكن يحتمل الآن أى مناقشة أو أى تلميح لهذه القضية. وربما كان رجل عظيم مثله متمكنا فى عمله يستحق شيئا من العطف، ولكن بوارو لم يكن واحدا من الناس الذين يدير رؤوسهم اطراد النجاح على كل حال. كان بوارو قد تعود على النجاح وآن له الآن أن يذوق طعم الفشل لأول مرة. وكانت آثار ضئيلة من آثار الفشل تبدو فى تصرفاته فى الآونة الأخيرة هذه الأيام.

وإذا كنت متفهما لهذه الحقائق، احترمت الضعف الذى اعترى قدرات صديقى فى الأيام الأخيرة، وتوقفت تماما عن أن أشير إلى قضية السيدة آستشر بكلمة واحدة. وكنت أقرأ ما تكتبه الصحف عن هذه الجريمة. وكان موجزا جدا ودون أى إشارة إلى دليل القطارات المرتب ترتيبا أبجديا، ودون أى إشارة إلى الخطاب الموقع بالحروف الثلاثة الأولى من الأبجدية الإنجليزية. كانت الجريمة قد حظيت باهتمام قليل من الصحافة من حيث إن المجرم كان مجهولا تماما، والصحافة عادة لا يهمها من الجرائم إلا ملاحقة مرتكبيها ومعرفة ظروفهم ودوافعهم. وعند عدم العثور على المجرم تكون الدائرة مغلقة أمام الصحافة، ولذلك تجاوزت الصحافة بسرعة خبر جريمة قتل امرأة عجوز فى شارع جانبى ولم يتم العثور على القاتل إلى أحداث أخرى وجرائم أخرى أحفل بالإثارة وأكثر وضوحا فى التفاصيل.

وفى الحقيقة، خبت جذوة الاهتمام بهذه الجريمة فى نفسى أنا أيضا، وربما كان ذلك لأننى لم أكن أرغب فى حقيقة الأمر أن أبدى أي اهتمام بقضية فشل صديقى بوارو فى التصدى لها حتى جاء يوم الخامس والعشرين من شهر يوليو فأيقظ الجريمة النائمة من سباتها العميق.

لم أكن قد رأيت بوارو منذ يومين حيث كنت ذهبت إلى يوركشاير لقضاء العطلة. ورجعت يوم الإثنين بعد الظهر، وكان الخطاب قد وصل إلى بوارو فى بريد الساعة السادسة. ولا زلت أذكر حالة تنفس بوارو اللاهثة وهو يفض الغلاف المتميز لذلك الخطاب وهو يقول: «لقد جاء». وحملقت فيه وأنا لا أدرك ما يعنيه، وقلت: «ما الذى قد جاء؟» فقال بوارو: « الفصل الثانى من قضية أ.ب.ك.

وظللت لمدة دقيقة أكاد لا أفهم شيئا إذ كانت هذه القضية قد خرجت تماما من آفاق ذاكرتى. فأعطانى بوارو الخطاب وقال لى: «اقرأ» وقرأت الخطاب كما يلى:

عزيزى السيد بوارو– حسنا، ما رأيك فيها؟ إنها لعبتى الأولى فيما أعتقد. مضت قضية أندوفر مسجلة انتصار لصالحى. ألم يحدث ذلك؟ ولكن الإثارة قد بدأت فقط. دعنى ألفت انتباه سيادتكم إلى منطقة بيكس هيل على البحر. والتاريخ هو يوم ٢٥ من الشهر الجارى. ما أبهج الوقت الذى نستمتع به!

المخلص: أ.ب.ك

صحت قائلا: «يا إلهى! ما هذا يا بوارو؟ هل يعنى هذا أن صديقنا هذا سيشرع فى ارتكاب جريمة جديدة؟» فقال بوارو: «بالطبع يا هاستنجز. ماذا كنت تتوقع منه غير ذلك؟ هل اعتقدت أن قضية أندوفر جريمة واحدة منفصلة؟ ألا تتذكر قولى إن هذه البداية؟» قلت: «ولكن هذا فظيع!» فقال بوارو: «نعم. هذا فظيع. وهذا هو سبب حزنى الدفين». فقلت: «نحن نواجه مجرما مجنونا سفاكا للدماء قاتلا يكرر جرائم القتل». فقال بوارو: «نعم. بالضبط. وهذا هو وجه الخطورة فى الكارثة التى نواجهها».

كان هدوء بوارو وهو يتكلم أكثر تعبيرا من أى تصريحات بطولية يمكن أن يفاخر بها شخصاً آخر. كان بوارو مهموما بشدة. وكنت أنا أدرك جيدا معنى ونتائج أن يكون بوارو مهموما بشدة. وأعدت إليه

الخطاب وقد اعترانى رجفة خفيفة لم أستطع أن أحول دون ظهور آثارها. اهتز جسمى على الرغم منى.

وطلع علينا صباح اليوم التالى ونحن موجودون فى اجتماع للقوى العظمى من رجال الشرطة: مدير أمن سوسكس- مدير مساعد الأمن العام- المفتش جلين من شرطة أندوفر- المفتش كارتر من شرطة سوسكس- المفتش جاب- مفتش شرطة شاب اسمه كروم- الدكتور ثومبسون من المختصين فى علوم الإجرام وعلم النفس الإجرامى. كان الخطاب الثانى موضوعا على المنضدة، ولاحظ أحدهم أنه عليه خاتم بريد هامبستن، ولكن بوارو قال إنه لا أهمية لذلك لأن أى شخص لا يقيم فى هامبستن يستطيع أن يذهب ويلقى خطابا فى أحد صناديق البريد دون أن يكون من قاطنى هامبستن.

وتمت مناقشة المسألة إلى أبعد حد ممكن. وكان الدكتور ثومبسون رجلا لطيفا فى منتصف العمر، لم يتعمد على الإطلاق أن يستخدم اصطلاحات علمية معقدة على الرغم من شهرته كرجل متبحر فى علوم الجريمة.

وقال مساعد مدير الأمن العام: « لا شك أن الخطابين كتبهما شخص واحد. وهذا هو مكمن الخطورة. الخطابان كلاهما كتبهما شخص واحد».

قال بوارو: «ونستطيع أن نطمئن إلى أن هذا الشخص هو الذى ارتكب جريمة أندوفر».

قال مساعد مدير الأمن: «هذا صحيح تماما. وقد وصلنا الآن تحذير عن جريمة أخرى موجودة فى جدول جرائم المجرم وقد حدد لارتكابها يوم ٢٥ من الشهر الجارى، وهو يوم بعد غد- والمكان هو بيكس هيل- ما الخطوات العملية التى يمكن لنا أن نتخذها؟ حسنا، يا كارتر، ماذا تقول فى ذلك؟»

قال المفتش كارتر: «هذا موقف صعب يا سيدى. لا يوجد أقل إشارة أو أصغر دليل يدل على شخصية الضحية المستهدفة. ولو تكلمت بصراحة لا يسعنى سوى أن أكرر السؤال لنفكر فيه جميعا وهو: ما الخطوات التى نستطيع أن نتخذها؟»

قال بوارو بصوت خافت: «مجرد اقتراح». واستدارت كل الوجوه نحو بوارو فقال: «أنا أعتقد أن لقب الضحية القادمة يبدأ بحرف الباء». فقال المفتش كارتر: «ربما كان هذا شيئا له قيمة وله دلالة، ولكن ماذا نفعل به؟»

قال الدكتور ثومبسون: «عقدة الترتيب الأبجدى». فقال بوارو: «أنا أقترح هذا الاقتراح كمجرد احتمال بطبيعة الحال. ولقد خطر بذهنى هذا الاحتمال عندما لاحظت اسم السيدة آستشر مكتوبا فوق واجهة المحل الذى كانت تديره. وعندما وجدت الخطاب الثانى يشير إلى بيكس هيل كمكان للجريمة القادمة خطر فى ذهنى إن اسم الضحية يحتمل أنه سيكون مبدوء بحرف الباء كما كان اسم المكان أندوفر واسم الضحية الأولى آستشر كلاهما مبدوء بحرف الألف، وذلك اتباعا من المجرم لتسلسل الحروف الأبجدية فيما أرجح».

قال الدكتور ثومبسون: «هذا ممكن جدا. ومن ناحية أخرى يجوز أن يكون وجود حرف الألف فى اسم السيدة آستشر مجرد مصادفة. ويجوز أن تكون الضحية التالية أيضا امرأة عجوز تدير محلا صغيرا للبقالة. تذكروا أننا نتعامل مع مجرم مجنون. إنه لم يقدم لنا أى دليل على دوافعه لارتكاب الجريمة».

قال المفتش كارتر: «وهل يلزم القاتل المجنون وجود دافع إلى القتل يا سيدى.؟» فقال الدكتور ثومبسون: «بالطبع عنده الدافع على نحو ما، وإلا لم تقع جريمة القتل. المنطق الجامد المتحجر سمة من

سمات حالات الجنون الحادة. ربما تجد رجلا تسيطر عليه فكرة أن يقتل الناس من بين المحامين. وربما تجد قاتلا لا يختار ضحاياه إلا من بين الأطباء. ونحن الآن بصدد قاتل يختار ضحاياه من بين السيدات المتقدمات فى العمر اللاتى يصادفهن فى محلات بيع السجائر. ويوجد سبب قهرى يدفع المجنون إلى ذلك. ولا ينبغى أن نغفل أهمية التفسير الأبجدى لمسلك المجرم. ربما كانت بيكس هيل بعد أندوفر ليست مجرد مصادفة».

قال مساعد مدير الأمن: «نستطيع أن نتخذ بعض الاحتياطات بناء على ذلك يا كارتر. جهز قائمة بالأشخاص الذين تبدأ أسمائهم بحرف الباء، وقائمة أخرى بأسماء النساء اللاتى يعملن فى محلات بيع السجائر فى منطقة بيكس هيل وكذلك محلات بيع الصحف. وخصص مراقبا واحدا لكل منها. أنا لا أعتقد أنه يوجد شئ آخر يمكن لنا أن نفعله أكثر من ذلك. وبالطبع يلزم عمل التحريات اللازمة عن الأشخاص الغرباء الذين يصلون إلى هذه المنطقة».

وكان صوت أنين المفتش كارتر مسموعا بوضوح لاضطراره إلى القيام بكل هذه الأعباء الثقيلة التى يمكن أن يشغل عددا من الرجال يبلغ خمسة أمثال عدد الرجال الذين يعملون بالفعل تحت قيادته، وأخيرا قال المفتش كارتر: «مع عطلات المدارس وبدء الإجازات يزدحم المكان فى هذه المنطقة بالناس الذين لم يكن يراهم أحد من قبل. بدءا من هذا الأسبوع».

قال مساعد مدير الأمن: «يجب أن نعمل أقصى ما فى استطاعتنا». وقال المفتش جلين: « وأنا سأراقب الناس المتصلين بجريمة السيدة آستشر، الشاهدان بارتريدج وريدل والسيد آستشر نفسه، ولو غادر أحدهم منطقة أندوفر سنتتبعه».

وانفض الاجتماع

وبينما كنا نمشى بمحاذاة النهر قلت: « يا بوارو، ألا يمكن منع هذه الجريمة الثانية بأى وسيلة؟» وأدار بوارو وجهه المثقل بالهموم وقال: «إن عقلانية مدينة كبيرة تغص بالرجال العقلاء تقف فى المواجهة ضد رجل واحد غير عاقل. أخشى أنه لا يمكن عمل شئ فى الوقت المناسب يا هاستنجز. أخشى ذلك بشدة. تذكر النجاح المستمر الذى يمكن أن يحرزه مجرم مجنون». قلت: «هذا فظيع!»

قال بوارو: «الجنون يا هاستنجز، الجنون شئ مخيف... أنا خائف يا هاستنجز، أنا خائف».



الفصل التاسع
جريمة بيكس هيل

لا زلت أذكر كيف أوقظت من النوم صباح يوم الخامس والعشرين من شهر يوليو. من الضرورى أن ذلك كان فى حوالى الساعة السابعة والنصف. كان بوارو يقف بجانبى يهز كتفى بكل لطف. وكانت نظرة منى إلى وجهه قد أطارت نصف الوعى منى على الرغم من أننى كنت قد صحوت من النوم بكل مشاعرى.

وقلت وأنا أستوى جالسا بسرعة: «ما الأمر؟» وجاءت إجابته بسيطة جدا فى ثلاث كلمات وراء

الهول الكبير إذ أجاب بوارو عن سؤالى بقوله: «لقد وقعت الواقعة». فقلت له: «ماذا؟ هل تعنى-- ولكن اليوم هو الخامس والعشرون». فقال بوارو: «وقعت الجريمة الليلة الماضية- أو بالأصح فى الساعات الأولى من هذا اليوم». وعندما عدت من دورة المياه بسرعة حكى لى بوارو باختصار موجز ما سمعه بالتليفون قبل أن يوقظنى من النوم فقال: «تم العثور على جثة الشابة على شاطئ البحر فى منطقة بيكس هيل. وتم التعرف علي شخصيتها باعتبار أنها هى إليزابيث بارنارد، عاملة فى إحدى المقاهى كانت تعيش مع والديها فى منزل صغير بالقرب من الشاطئ. وحدد التقرير الطبى وقت الوفاة باعتبار أنها تمت فيما بين الساعة ١١,٣٠ والساعة الواحدة بعد منتصف الليل».

قلت: «هل تأكدوا أن هذه الجريمة قد ارتكبها نفس المجرم الذى ارتكب جريمة قتل السيدة آستشر؟» فقال بوارو: «وجدوا دليلاً أبجديا لمواعيد القطار مفتوحا على الصفحة التى توجد فيها محطة بيكس هيل تحت الجثة».

ارتجفت

قلت: «هذا مرعب!» فقال بوارو: «انتبه يا هاستنجز. أنا لا أريد مأساة أخرى فى مسكنى!» كنت قد جرحت ذقنى وأنا أقوم بحلاقتها، فأخذت أجفف الدم بمنشفة وسألت بوارو: «وما خطتنا فى العمل؟» فقال بوارو: «ستصلنا سيارة بعد لحظات. سأحضر لك قدحا من القهوة تشربه بسرعة حتى لا تتأخر».

وبعد عشرين دقيقة كنا بداخل سيارة شرطة تنهب بنا الأرض عبر نهر التيمس لنخرج من نطاق مدينة لندن تماما ونبتعد عنها بسرعة كبيرة. وكان معنا المفتش كروم الذى كان حاضرا معنا فى اجتماع القوى العظمى للشرطة، وكان هو المختص بمعالجة هذه الجريمة بشكل رسمى.

كان المفتش كروم طرازا آخر غير طراز المفتش جاب كان كروم أكثر شبابا، وكان يميل إلى الإقلال من الكلام، كان من طراز أرقى. كان تلقى قسطا أكبر من التعليم، وكان قد قرأ كثيرا من الكتب المتنوعة الثقافة. وكان من وجهة نظرى مزهوا بنفسه إلى حد كبير. وكان قد اكتسب شيئا من الشهرة لنجاحه فى التصدى لسلسلة من جرائم قتل الأطفال. عندما بذل جهودا موفقة أفضت إلى القبض على الجانى فى جرائم قتل الأطفال التى كانت تشغل الناس فى الشهور القليلة الماضية.

كان من الواضح أنه شخص مناسب لكى تعهد إليه سلطات الشرطة بالإشراف على هذه القضية، ولكنه كان يبدو غير مكترث بها بدرجة كافية. وكان فى طريقة تعامله مع بوارو شئ من الاعتراف بأبوة بوارو، وذلك لتقدم عمر بوارو مع شئ من الاعتزاز بقدراته الشخصية كمفتش يشغل وظيفة مرموقة فى جهاز الشرطة.

قال المفتش كروم: «لقد تحدثت حديثا طويلا مع الدكتور ثومبسون. إنه مهتم اهتماما كبيرا بالجرائم المتتالية الحدوث يقوم بها مجرم واحد. إنها تنتج عن أنواع من الخلل العقلى. ومن وجهة نظرى كشرطى رسمى محترف لا أستطيع أن أهضم التفاصيل العلمية الدقيقة التى يهتم بها فى العادة علماء الطب المتخصصون فى دراسة الجرائم. وحقيقة الأمر كانت آخر قضية تصديت أنا لها، ولا أعرف ما إذا كنت أنت قد قرأت عنها أم لا؟ وهى قضية مابل هومر أو قضية بنت ماسويل هيل، كان ذلك الرجل مابل رجلا غير عادى فما أطواره. وكان من المدهش أنه لم يكن يوجد أى مبرر لتوجيه الاتهام إليه فى هذه القضية. وكانت تلك هى الجريمة الثالثة له أيضا!. ولقد كان يبدو مظهره وسلوكه كما لو كان رجلا

سويا مثلك ومثلى تماما. ولكن هنالك اختبارات مختلفة- ومصائد كلامية- أنت تعرف أن هذه أساليب حديثة جدا بطبيعة الحال. ولم يكن يوجد شئ من ذلك فى أيامك أنت يا عزيزى بوارو. ويكفى أن نتكلم مع الشخص حتى يستسلم على الفور. يستسلم ذات اليمين، أو يستسلم ذات اليسار، المهم أنه يستسلم بالضرورة».

قال بوارو: «كان ذلك يحدث فى بعض أيامنا نحن أيضا». فنظر إليه المفتش كروم كما لو كان قد فطن إلى أن بوارو لا يعجبه أن يجعله منتسبا إلى جيل مضى ولا يعرف شيئا عن مستحدثات العصر والتى أفضى إليها التقدم البشرى، فقال: «آه، نعم؟»

وساد الصمت بينهما على إثر هذه المواجهة الهجومية من الحاضر للماضى. وعندما كانت السيارة تجرى بنا عبر بلدة نيوكروس قال المفتش كروم: « لو كنت تريد أن تسألنى عن أى شئ فى القضية تفضل بأى سؤال». فقال بوارو: «أعتقد أنه لم تصلك أية حقائق تتعلق بالبنت المقتولة؟» فقال كروم: «كانت فتاة فى الثالثة والعشرين من عمرها تعمل جرسونة فى مقهى جينجر كات».

قال بوارو: «لست أسأل عن هذا! إننى أسأل ما إذا كانت جميلة». فقال المفتش كروم: «ليس عندى معلومات فى هذا الصدد». وكانت الدهشة تعلو وجه المفتش كروم عندما قال بوارو: «ألا يبدو لك هذا الاعتبار مهما؟ ولكنه بالنسبة للمرأة يعتبر مهما جدا. إنه يحدد مصيرها!» وساد الصمت مرة أخرى. ولم تنقشع سحابة الصمت إلا عندما قال بوارو عند وصولنا محطة الشجيرات السبع: «هل تم إخبارك بأى وسيلة عن الطريقة التى أزهقت بها روح الفتاة القتيلة؟» فقال المفتش كروم باقتضاب: «خُنِقَتْ بحزامها وهو مصنوع من مادة طرية مجدولة فيما علمت». وعندئذ قال بوارو: «آه ها! ها نحن أولاء قد حصلنا فى النهاية على معلومة محددة. هذا يدلنا على شئ محدد، أليس كذلك؟» فقال المفتش كروم ببرود شديد: «لم ألحظ أى أهمية لمثل هذه المعلومة».

وكنت أنا قد ضقت ذرعا ببرود لهجة كلام المفتش كروم وأحببت أن أوضح له قيمة ودلالة المعلومة التى قال هو إنه لا معنى ولا دلالة لها فقلت: «إن هذا يوضح لنا على الأقل مدى وحشية وقسوة عقلية هذا القاتل».

وحدجنى بوارو بنظرة لم أستطع أن أدرك مدى عمقها، نظرة بدت لى كما لو كانت تقول لى أنه لا يحسن بى مطلقا أن أستعرض قدراتى فى إبداء الملاحظات الغبية أمام الغرباء مع أمثال المفتش كروم.

وقبعت بعد هذه النظرة فى ركن من أركان الصمت التام.

وعندما وصلنا إلى بيكس هيل، كان فى استقبالنا المفتش كارتر ومعه مفتش آخر حسن الوجه، يبدو الذكاء على ملامحه اسمه كيلسى الذى كان موجودا ليكون مساعدا دائما للمفتش كروم.

وقال المفتش كارتر: «ستحتاج أن تعمل تحرياتك يا كروم، ولذلك أعطيك فقط رؤوس الموضوعات، وتستطيع أنت أن تبدأ منها وتذهب حيث تشاء». وقال المفتش كروم: «أشكرك يا سيدى».

قال المفتش كارتر: «قمنا بتفجير نبأ الجريمة أمام أبيها وأمها. وكان الخبر صدمة رهيبة لهما بطبيعة الحال. وتركتهما لكى يفيقا قليلا من هول الصدمة؛ ولذلك تستطيع أن تبدأ من نقطة البداية هناك».

قال بوارو: «هل يوجد آخرون فى هذه الأسرة؟» وأومأ كارتر برأسه بما يفيد الإجابة بالإيجاب، وقال: «لها أخت. تحترف الكتابة على الآلة الكاتبة فى لندن. ولقد اتصلنا بها لنستدعيها.

وقال المفتش كروم: «هل أمكن الاستفادة من دليل مواعيد القطارات المرتب ترتيبا أبجديا هذه المرة؟ هل توجد عليه أى بصمة هذه المرة؟» فقال المفتش كارتر: «إنه هناك، ولا توجد عليه بصمة واحدة. وهو مفتوح على الصفحة التى يوجد فيها اسم محطة بيكس هيل هذه المرة. إنه نسخة تم شراؤها حديثا، ولم تستعمل بكثرة. وهى لا تباع فى أى محل من المحلات الموجودة هنا. لقد تأكدت من عدم وجود هذا الصنف فى كل المكتبات هنا».

قال المفتش كروم: «من الذى اكتشف الجثة يا سيدى؟» فقال المفتش كارتر: «الكولونيل جيروم. إنه يحب الاستمتاع بنسائم الصباح المبكر. كان قد خرج مع كلبه فى حوالى الساعة السادسة صباحا.ومضى إلى ناحية كودن ومنها وصل الشاطئ. شم الكلب رائحة وانطلق فى اتجاهه. ونادوا الكولونيل. ولم يعد إليه الكلب واستمر منطلقا إلى الأمام لا يستجب لأى نداء كعادته. انتبه الكولونيل إلى أنه لابد من وجود شئ ما. ومضى يمشى فى إثر الكلب. لقد تصرف بطريقة مناسبة. لم يلمس الجثة ولم يلمس أى شئ، واتصل بنا».

قال كروم: «وكان وقت الوفاة هو حوالى منتصف الليلة الماضية؟» فقال كارتر: «فيما بين منتصف الليل والساعة الواحدة بعد منتصف الليلة الماضية».

قال بوارو: «فيما بين منتصف الليل والساعة الواحدة. هذا مؤكد بطريقة لطيفة جدا. إن الجوكر المجنون رجل يفى تماما بكلمته. عندما يقول يوم الخامس والعشرين من الشهر الجارى فهو الخامس والعشرين من الشهر الجارى، ولو كان يوم الخامس والعشرين من الشهر الجارى لم يبدأ إلا منذ دقائق قليلة».

وأومأ كروم برأسه وقال: «هذا يدل على أن ذهنه سليم تماما. إنه يعرف الأيام بدقة كافية. ويحكم خطة الإفلات من الجريمة إحكاما دقيقا. إنه ذكى جدا. ولكن الجنون الخطير يتمثل فى أن ذكاءه يتجه نحو الجريمة. ألم يشاهد أحد أى شئ يمكن أن يساعدنا؟»

قال كارتر: «لم يصلنا حتى الآن شئ. ولكن الوقت لا يزال أمامنا. وعما قريب سيحضر إلينا كل الناس الذين شاهدوا فتاة ترتدى ملابس بيضاء وتمشى مع أحد الرجال. وكما أتخيل أنا المسألة، فلقد شاهد كثير من الناس كثيرا من الفتيات اللاتى كن يرتدين ملابس بيضاء ويمشين مع كثير من الرجال. إنها قضية لذيذة. مباركة جهودكم فيها. قلبى معكم يا سادة».

قال المفتش كروم: «حسنا يا سيدى، من الأفضل أن أبدأ فى العمل. يوجد المقهى الذى كانت تعمل به المجنى عليها، ويوجد منزل المجنى عليها. من الأفضل أن أذهب إلى هذين المكانين. ويستطيع المفتش كيسلى أن يأتى معى».

قال كارتر: «وبوارو؟» انحنى بوارو وهو يقول: «سأصحبك». وبدا لى آنئذ أن المفتش كروم قد بدت على وجهه أمارات الضيق والتبرم كما لو كان يزعجه أن يزاحمه بوارو فى عمله المناط به، بينما زمجر المفتش كيسلى الذى لم يكن قد رأى بوارو أبدا من قبل. وكان سوء الحظ أن الناس الذين لا يعرفون صديقى بوارو معرفة حقيقية تحيط بمدى قدراته وعبقريته كانوا دائما ينظرون إليه كما لو كانت نكتة انطلقت لتتجسد فى جسمه النحيل وشاربه الكث.

وقال المفتش كروم: «أود أن أسأل قبل أن تذهب إلى العمل: ماذا بشأن ذلك الحزام الذى شنقت به

المجنى عليها؟» يقول السيد بوارو: «إنه يمكن أن يكون دليلا له قيمة فى القضية، وأعتقد أنه يجب أن تراه». فقال بوارو: «كلا، إنك لم تفهم قصدى». قال كارتر: «لن تجد أى شئ فيه. لم يكن حزاما من الجلد. يجوز أن يحمل بصمات القاتل لو كان مصنوعا من الجلد. إنه مجرد حزام سميك من الحرير المشغول بالإبرة. نموذجى للاستخدام فى الجريمة».

ارتجفت.

قال كروم: «حسنا، من الأفضل أن ننطلق».

وانطلقنا.

قمنا أولا بزيارة مقهى جينجر كات. كان المقهى يطل على البحر على النمط المعتاد للمقاهى التى تقدم الشاى كمشروب أساسى. به مناضد صغيرة مغطاة بأغطية برتقالية اللون أيضا، وكراسى من الخيزران غير مريحة تماما وعليها وسائد برتقالية اللون أيضا. كان مكانا لتقديم قهوة الصباح، والأنواع المختلفة من الشاى، وعصائر الفواكه وبعض الأطعمة الخفيفة كالبيض والبطاطس، وأطباق المكرونة.

كانت قهوة الصباح هى المشروب السائد آنذاك. واقتادتنا مدير المقهى بسرعة إلى ركن من أركان المقهى.

قال لها المفتش كروم: «الآنسة- ميريون؟» فقالت باهتمام واضح: «هذا هو اسمى.هذه مهنة تجعل اسم المشتغلة بها على كل لسان.مهنتنا ذات أعباء كثيرة. أنا لا أدرى مدى تأثير هذه الأعباء الكثيرة على مهنتنا هذه».

كانت الآنسة ميريون امرأة نحيلة القوام فى حوالى الأربعين من العمر، وكان شعرها قرنفلى اللون يتناسب مع الاسم الذى اختارته للمقهى كما لو كانت قد جعلت لون شعرها اسما للمقهى. وكانت أصابع يديها تعبث ببعض الحلى المقلدة المتدلية فوق ملابسها.

قال لها المفتش كيسلى: «تنتظرك مفاجأة، سنعطلك قليلا عن تقديم الطلبات للزبائن». فقالت: « هذا شئ مقلق. حقا مقلق. إنه يجعلنى يائسة من الطبيعة البشرية». فقال لها المفتش كيسلى: « ماذا تستطيعين أن تقولى عن البنت التى ماتت يا آنسة ميريون؟» فقالت بحسم ووضوح: « لا شئ، لا شئ على الإطلاق».

قال: « منذ متى كانت تعمل هنا؟» فقالت: « هذا هو الصيف الثانى». قال: « هل كنت راضية عن عملها بالمحل؟» فقالت: « كانت عاملة مقهى لا بأس بها. كانت سريعة وملبية لمتطلبات عملها». قال بوارو: « هل كانت جميلة الشكل؟» فنظرت إليه الآنسة ميريون نظرة طويلة كما لو كانت تفكر فى مغزى السؤال وقالت: « كانت فتاة لطيفة ونظيفة وحسنة المظهر».

قال المفتش كروم: « فى أى وقت بالضبط انصرفت من العمل بالمقهى فى الليلة الماضية؟» فقالت الآنسة ميريون: « فى الساعة الثامنة. نغلق المحل فى الساعة الثامنة. نحن لا نقدم وجبات عشاء. لا توجد طلبات لوجبات عشاء. الناس يتناولون وجبات العشاء فى مساكنهم.يواصل الناس المجئ هنا حتى الساعة السابعة مساء،وربما جاء بعضهم بعدها بقليل.ولكن ساعة الذروة هنا الساعة السادسة والنصف».

قال المفتش كروم: « هل ذكرت لك شيئا عن كيفية قضائها للسهرة بعد انتهاء العمل؟» فقالت: «

بالتأكيد لم تذكر أى شئ عن ذلك، وأنا لا أهتم بذلك إطلاقا». فقال: « ألم يحضر أحد إلى المقهى ويصطحبها معه بعد انتهاء العمل؟» فقالت: « لا». فقال: «هل كانت تبدو بحالتها الطبيعية عند انصرافها من العمل؟ ألم تكن فى عجلة من أمرها أو فرحانة فرحا واضحا أو متوترة المشاعر أو عصبية المزاج؟» فقالت: « لا أستطيع فى الحقيقة أن أقول شيئا محددا». فقال: « كم عدد العاملات بالمقهى؟» فقالت: « عاملتان فى العادة، وربما عاملتان يلزم إضافتهما بعد يوم ٢٠ يولية حتى نهاية شهر أغسطس».فقال: « ولكن اليزابيث برنارد من العاملات المستديمات أم أنها من العاملات مؤقتا؟» فقالت: « الآنسة برنارد كانت تعمل باستمرار». فقال: « ومن العاملات المستديمة الأخرى؟» فقالت: « الآنسة هيجلى. إنها فتاة شابة لطيفة جدا». فقال : « هل كانت صديقة الآنسة برنارد؟» فقالت: « أنا لا أعرف فى الحقيقة مدى الصداقة بينهما:. فقال: « ربما نحتاج أن نتكلم معها». فقالت: « الآن». فقال: « الآن من فضلك». فقالت: « سأرسلها إليكم. وأرجو أن لا تعطلوها عن العمل كثيرا. توجد طلبات كثيرة من أجل تقديم قهوة الصباح».

وغادرت الآنسة ميريون النحيلة القوام القرنفلية الشعر المكان. وقال المفتش كيسلى: « رائع جدا» وأخذ يقلد طريقتها فى الكلام وهى تقول: « أنا لا أعرف في الحقيقة...»

وجاءت عندنا فتاة مكتنزة الجسم، محمرة الخدين، لاهثة الأنفاس وهى تقول: « الآنسة ميريون أرسلتنى إليكم». فقال المفتش كيسلى: « الآنسة هيجلى؟» فقالت: « أنا.»فقال : « هل تعرفين إليزابيث برنارد؟» فقالت: « أوه، نعم. كنت أعرف بيتى. أليس هذا شيئا فظيعا؟ إنه شئ فظيع جدا.إنه شئ فظيع جدا. لا أستطيع أن أصدق ذلك! وكنت أنا أقول: لا يبدو هذا حقيقيا. بيتى! أقصد بيتى برنارد التى كانت هنا على الدوام. أنا أظن أنها ستصحو وستحضر هنا... أما كونها مقتولة فأنا لا أستطيع أن أصدق ذلك... لكنها الحقيقة- حسنا، أنتم تعرفون أن ما أقصده هو أنها لا تبدو حقيقة».

وسألها المفتش كروم: « هل كنت أنت تعرفين الفتاة معرفة جيدة؟» فقالت: « حسنا، لقد عملت هنا مدة أطول منى. أنا جئت للعمل اعتبارا من شهر مارس وهى كانت تعمل هنا منذ العام الماضى. كانت هادئة إلى حد ما.لو كنت تدرك قصدى. أنا لا أقصد أنها كانت هادئة تماما. كان بداخلها قدر كبير من الظرف والمرح. ولكنها لم تكن تمرح كثيرا. كانت هادئة وكانت ذات شقاوة لو كنت تدرك ما أقصده».

لقد اعتبرت أنا أن المفتش كروم كان صبورا جدا لكى يتمالك هدوءه وهو يسمع عبارات مثل إن الفتاة المجنى عليها كانت هادئة وذات شقاوة وهو يحقق فى جريمة قتل بشعة. كانت أقوال الآنسة هيجلى مثيرة للجنون. كانت تقول شيئا وتقول نقيضه وتكرر ما تقول مرات عديدة. وكانت المحصلة النهائية لأقوالها هزيلة جدا.

لم تكن علاقتها بالمجنى عليها علاقة صداقة حميمة. ويبدو أن الآنسة برنارد كانت تعتبر نفسها أفضل فى العمل من الآنسة هيجلى وأكثر منها أقدمية. كانت علاقتهما ودية أثناء وقت العمل. وبعد انتهاء العمل لم تكن إحداهما ترى الأخرى على الإطلاق.

وكان للآنسة إليزابيث برنارد زميل وهو موظف شاب فى شركة كورت آند برونسكل. كان يعمل كاتبا فى الشركة. ولم تكن هى تعرف اسمه، ولكنها تعرف شكله جيدا. إنه وسيم المظهر، وسيم جدا،

وملابسه لا بأس بها. وكان من الواضح أن الغيرة كانت تدب فى قلب الآنسة هيجلى.

وأفادت الآنسة هيجلى أن الآنسة إليزابيث برنارد لم تطلع أى إنسان على كيفية قضائها للسهرة بعد انتهاء العمل،ولكن الآنسة هيجلى كانت تعتقد أنها لابد أن تكون قد قابلت زميلها. كانت ترتدى فستانا أبيض اللون جميلا جدا وحسب آخر موضة.

وتم أخذ أقوال العاملات الأخريات دون الحصول على شئ مجد. لم تقل بيتى برنارد أى شئ لأى زميلة لها عن خطتها فى قضاء السهرة، ولم تشاهدها إحداهن على شاطئ بيكس هيل طوال المساء.



الفصل العاشر
عائلة برنارد

كان والدا الآنسة إليزابيث برنارد يقيمان فى بيت صغير يقع ضمن حوالى خمسين منزلا من المنازل الحديثة البناء على طرف المدينة المتاخم للبحر يطلق عليه اسم ليلاندودنو. وكان السيد برنارد رجلا بدينا فى حوالى الخامسة والخمسين من العمر، ولاحظ اقترابنا فقابلنا عند مدخل المنزل، وقال: «تفضلوا يا سادة».

وبادره المفتش كيلسى بقوله: «هذا هو المفتش كروم من سكوتلانديارد يا سيدى. لقد جاء لكى يساعدنا فى هذه القضية».

قال السيد برنارد وقد شاع الأمل فى نبرات صوته: «سكوتلانديارد؟ هذا شئ طيب. هذا القاتل الجبان يجب أن يشنق ويصلب مقلوبا. ابنتى الصغيرة المسكينة!...» وغطت سحابة من الحزن ملامح وجهه.

قال المفتش كيلسى: «وهذا هو السيد بوارو من لندن أيضا و...» فقال بوارو: «الكابتن هاستنجز.». فقال برنارد بتلقائية: «أنا مسرور أن أقابلكم يا سادة. تفضلوا. أنا لا أعرف ما إذا كانت زوجتى الحزينة قد صحت من النوم أم لا. كنت أريد أن تقدم لكم شيئا. إنها محطمة القلب تماما».

وعلى كل حال، بمجرد أن دخلنا حجرة الاستقبال الصغيرة، كانت السيدة برنارد قد صحت وحضرت عندنا. كان من الواضح أنها كانت تبكى بمرارة، وكانت عيناها محمرتين وتمشى كما لو كانت الصدمة المحزنة قد أفقدتها التوازن والإحساس بنفسها.

قال لها السيد برنارد: «ماذا؟ كيف الحال؟ أنت أفضل، أليس كذلك؟» وربت السيد برنارد على كتف زوجته واهتم بمساعدتها فى الجلوس على أحد المقاعد وهو يقول لها مشجعا ومواسيا: «كان مدير الأمن قد أولانا كثيرا من العطف. بعد أن فجر لنا الخبر المحزن قال لنا: «إنه سيؤجل أى أسئلة إلى وقت آخر عندما نفيق من الصدمة الأولى للخبر». فقالت السيدة برنارد: «إنه خبر قاس جدا. أقسى خبر فى الوجود. إنه أقسى خبر سمعته فى حياتى».

كانت الكلمات تتداخل، وتذكرت أن العائلة تحمل اسم برنارد وهو اسم من الأسماء الشائعة فى إقليم ويلز.

قال المفتش كروم: «إن الخبر مؤلم لكم ولنا جدا يا سيدتى. ونحن متعاطفون معكم تماما. ولكننا نحتاج لمعرفة كل الحقائق حتى يمكن لنا أن نعمل بسرعة من أجل أن ينال الجانى ما يستحقه من عقاب».

وأومأ السيد برنارد موافقا بحماس على ذلك وقال: « هذا معقول. هذا ضرورى». فقال المفتش كروم: «أنا علمت أن ابنتك كانت فى الثالثة والعشرين من عمرها، وكانت تعيش معكم فى هذا المنزل، وكانت تعمل فى مقهى جينجر كات. هل هذا صحيح؟» فقال برنارد: «صحيح تماما».

قال كروم: «أنشئت المنازل فى هذه المنطقة حديثا. أين كنتم تقيمون قبل مجيئكم إلى هنا؟» فقال برنارد: «كنت فى صناعة الحديد فى جيننجتون. وأحلت إلى التقاعد منذ عامين. وكنت أريد دائما أن أسكن فى منزل قريب من البحر». قال كروم: «لك ابنتان؟» فقال برنارد»: «نعم. ابنتى الكبيرة تعمل فى مكتب فى لندن».

قال كروم: «ألم تنزعج عندما تأخرت ابنتك فى العودة إلى المنزل الليلة الماضية؟» فقالت السيدة برنارد: «لم نعرف أنها تأخرت. أبوها وأنا ننام مبكرا. موعد نومنا هو الساعة التاسعة. ولم نعرف أن بيتى لم تعد إلى البيت حتى جاء ضابط الشرطة وقال وقال». وانخرطت فى البكاء.

قال كروم: «هل كانت ابنتكم معتادة أن تعود إلى البيت فى وقت متأخر كل ليلة؟» فقال برنارد: «أنت تعرف طبيعة حياة وعمل البنات فى هذه الأيام يا سيادة المفتش. لقد تحررن. وفى أمسيات الصيف لا يعدن مبكرا إلى المنزل. وعلى كل حال، كانت ابنتنا تعود إلى المنزل قبل الساعة الحادية عشرة بانتظام».

فقال كروم: «وكيف كانت تدخل المنزل؟ هل تتركون الباب مفتوحا حتى تدخل هى فتغلقه؟» فقال برنارد: «كنا نترك لها المفتاح تحت السجادة الصغيرة الموجودة أمام الباب. هذا هو ما كنا نفعله».

قال كروم: «يشاع أن ابنتكم كانت مخطوبة على وشك الزواج؟» فقال برنارد: «المسألة لم تعد الشكل الرسمى للخطوبة فى هذه الأيام». وقالت السيدة برنارد: «اسمه هو دونالد فريزر. لقد أحبته. أحبته جدا. المسكين! سيكون هذا الخبر صدمة كبيرة له. لست أدرى ما إذا كان قد عرف الخبر الآن».

قال كروم: «عرفت أنه يعمل موظفا فى شركة كورت آند برونسكل؟» فقال برنارد: «نعم. هما أصحاب توكيل شركة هنا».

قال كروم: «هل كان دونالد فريزر معتادا أن يقابل ابنتكم فى معظم الليالى بعد أن تنتهى من عملها؟» فقال برنارد: « ليس كل ليلة. مرة أو مرتين كل أسبوع على الأكثر».

قال كروم: «هل تعرف ما إذا كان قد قابلها الليلة الماضية؟» فقال برنارد: «لم تقل لنا. لم تكن بيتى تقول لنا كثيرا عما تفعله، ولم تكن تقول أين كانت ستذهب. كانت متشبثة بكامل حريتها فى ذلك. وكنا نحب أن نترك لها كامل حريتها فى ذلك. ولكنها كانت بنتا طيبة. كانت بيتى بنتا طيبة. أوه، أنا لا أستطيع أن أصدق--»

وبدأت السيدة برنارد تبكى مرة أخرى. وقال لها زوجها: «تمالكى نفسك أيتها السيدة الكبيرة. تمالكى نفسك يا أمى. يلزم أن نواجه هذه الكارثة». فقالت السيدة برنارد وهى تبكى: «أن نتأكد أن دونالد لن...» فقال زوجها: «الآن تمالكى نفسك». ثم التفت إلينا وقال لنا: «كنت أرجو من الله أن أستطيع أن أقدم لكم كل العون والمساعدة- ولكن الحقيقة الواضحة هى أننى لا أعرف شيئا. لا أعرف

شيئا يمكن أن يساعد فى الإمساك بذلك الوغد الذى فعل هذه الفعلة. كانت بيتى مجرد بنت لطيفة سعيدة- وكان لها خطيبها الشاب اللطيف. حسنا، كنا نسمى ذلك نزهة فى أيام شبابنا. لماذا يقدم شخص ما على قتلها؟ هذا هو ما يؤلمنى- إنه لا معنى له».

قال المفتش كروم: «لك كل الحق فيما تقول يا سيد برنارد. اسمح لى أن أقول لك ما يحتم واجبى أن أعمله. يلزم أن ألقى نظرة على حجرة الآنسة بيتى. ربما نعثر على خطابات أو مذكرات». فقال برنارد: «على الرحب والسعة. افحص كل شئ كما تشاء». وقادنا جميعا إلى حجرة بيتى. وكنت أنا أمشى فى آخر الصف. وتوقفت عن السير لكى أربط حذائى المفكوك. وبينما كنت أفعل ذلك سمعت صوت توقف سيارة أجرة عن المسير، وقفزت منها شابة دفعت الأجرة للسائق واندفعت نحو مدخل المنزل وهى تحمل حقيبة صغيرة. وعندما دخلت من الباب رأتنى وتوقفت تماما عن السير، وقالت: «من أنت؟»

تراجعت للخلف بضع خطوات. وشعرت بحرج شديد. هل أقول لها اسمى؟ إنها لا تعرفه. ولا تعرفنى. هل أقول لها: إنى جئت مع بوارو ورجال الشرطة؟ لم تعطنى الفتاة وقتا للتفكير فى القرار المناسب إذ قالت: «أوه، حسنا، أنا أستطيع أن أخمن».

وخلعت قبعتها ورمت بها على الأرض. واستطعت أن أراها على نحو أكثر وضوحا. كانت تشبه دمية كانت أخواتى يلعبن بها وهن صغيرات. كان شعرها أسود كالليل ومقصوصا من الخلف مع وجود قصة على جبينها. وكانت عظمتا خديها بارزتين، وكانت ملامح وجهها عموما غير جذابة. لم تكن جميلة ولكنها كانت تميل إلى أن تكون ملامح عادية بسيطة، ولكن كانت تبدو قوية الشخصية على نحو لا يستطيع أن يقاوم أحد الشعور بقوة شخصيتها.

سألتها: «هل أنت الآنسة برنارد؟» فقالت: «أنا ميجان برنارد. وأنت من رجال الشرطة». فقلت: «ليس بالضبط». فقالت: «أنا لا أعتقد أن عندى ما أقوله لك. كانت أختى بنتا لطيفة جميلة ولم تكن لها أصدقاء من الرجال. طاب صباحك».

وضحكت ضحكة قصيرة بينما كانت تتكلم ونظرت نحوى بتحد وقالت: «أحسن شئ أقوله لك هو:صباح الخير». فقلت لها: «أنا لست مراسلا صحفيا لو كان هذا هو ما تظنينه». فقالت: «ماذا تكون؟ أين أمى وأين أبى؟» فقلت لها: «دخل أبوك لكى يرشد رجال الشرطة إلى حجرة أختك وأمك موجودة بالداخل. إنها متعبة جدا وحزينة».

وبدا لى كما لو كانت الفتاة اتخذت قرارًا إذ قالت لى: «تعال هنا». وفتحت أحد الأبواب ودخلنا المطبخ. وكنت أنا على وشك أن أغلق الباب عندما وجدت بعض المقاومة تعترض إغلاقه. وبعد لحظة كان بوارو يدخل معنا المطبخ ويغلق الباب وراءه ثم قال وهو ينحنى: «الآنسة برنارد؟» وقلت أنا: « هذا هو السيد هركيول بوارو يا آنسة برنارد». ونظرت نحوه ميجان برنارد نظرة فاحصة وقالت: «سمعت عنك. أنت مخبر سرى مشهور، أليس كذلك؟» فقال بوارو: «ليس الوصف دقيقا، ولكنه يفى بالغرض».

وجلست الفتاة على طرف منضدة المطبخ. ودست يدها فى حقيبتها تبحث عن شئ ما وراحت تطيل النظر فيما حولها ثم قالت: «أنا- إلى حد ما- لست أدرى ما يفعله السيد هركيول بوارو فى منزلنا

بشأن الجريمة المتواضعة التى حدثت».

قال بوارو: «يا آنسة! إن ما لا تعرفينه وما لا أعرفه أنا أيضا يمكن أن يملأ صفحات أحد المجلدات الضخمة. ولكن كل هذا ليست له قيمة عملية. الشئ الذى له أهمية عملية هو شئ ليس من السهل العثور عليه». فقالت: «وما الشئ الذى له قيمة عملية وليس من السهل العثور عليه؟»

فقال بوارو: «الموت يا آنسة يسبب لسوء الحظ أحكاما مسبقة. أحكاماً فى مصلحة الشئ الذى مات. لقد سمعت ما كنت تقولينه الآن لصديقى هاستنجز: بنت لطيفة جميلة ولم يكن لها أصدقاء من الرجال. لقد كنت تقولين ذلك سخرية من الصحف التى تتهافت على تصوير الأمور على هذا النحو عند مقتل إحدى الفتيات: كانت جميلة- كانت سعيدة- كانت حسنة الطباع- لم يكن لها أى عيب من العيوب- لم يكن أحد من معارفها معيبا بأى عيب. نحن دائما نذكر محاسن موتانا. أنا أريد شخصا يحدثنى بصدق وبكل وبكل صراحة عن إليزابيث برنارد وهو يضع فى اعتباره أنها لم تقتل حتى الآن. ربما أسمع من مثل هذا الشخص ما يساعدنى فى القبض على القاتل.ربما أسمع منه- الحقيقة».

وجعلت ميجان برنارد تنظر إليه لمدة دقيقة أو دقيقتين وهى تدخن ثم قالت بضع كلمات جعلتنى أقفز إذ سمعتها تقول: «كانت بيتى حمارة صغيرة منفلتة! »



الفصل الحادى عشر
ميجان برنارد

جعلتنى كلمات ميجان برنارد التى قالتها عن أختها بنبرات واضحة عملية أقفز فى مكانى كما سبق لى القول. واكتفى بوارو بأن أحنى رأسه فى حزن وأسى وقال: «من حسن حظنا أنك ذكية جدا يا آنسة».

قالت ميجان برنارد: « لقد كنت أحب أختى بيتى حبا جما. ولكن حبى العميق لها لم يكن ليعمينى عن رؤية أنها كانت من النوع الشديد الحماقة من البنات، ولم يكن حبى العميق لها يمنعنى من أن أقول لها هذه الحقيقة فى كثير من المناسبات! هكذا البنات الأخوات». قال بوارو: «وهل كانت تولى نصائحك أى اهتمام؟» قالت ميجان: «لا فيما أرجح».

قال بوارو: «هل تتفضلين يا آنسة بأن يكون كلامك أكثر تحديدا. فيم كانت أختك حمارة صغيرة منفلتة حمقاء؟ وكيف أنها لم تكن تولى نصائحك لها أى اهتمام؟» فقالت: «لم يكن فى بيتى أى عيب. أريدك أن تعرف هذا. كانت تتصرف دائما باستقامة. لم تكن من البنات اللاتى يستغلهن الشباب لقضاء إجازة نهاية الأسبوع فى صحبتهن. لم تكن أختى من هذا النوع. ولكنها كانت تحتاج إلى شخص يمتدح جمالها ويقول لها كلاما حلوا وبعض الطرائف وأشياء من هذا القبيل».

فقال لها بوارو: «وكانت جميلة، أليس كذلك؟» وأجابت ميجان هذا السؤال بطريقة عملية إذ فتحت حقيبتها واستخرجت إطارًا من الجلد بداخله صورة تظهر الوجه والصدر لفتاة شقراء تبتسم وشعر

مصفف حديثا على نمط حديث على نحو يجعل كل خصلة واضحة المعالم. وكانت الابتسامة ابتسامة متكلفة بالطبع. لم يكن وجهها يرقى إلى أن يوصف بالجمال الصارخ بطبيعة الحال، ولكنها كانت جذابة الشكل من النمط المعتاد عندما لا تكون الفتاة قبيحة الشكل».

وأعاد بوارو إليها الصورة وهو يقول لها: «لا يوجد شبه كبير بينكما يا آنسة». فقالت: «آوه، أنا البنت الواضحة المعالم فى الأسرة. أنا أعرف ذلك جيدا».

قال بوارو: « على أى نحو تعتبرين أختك بنتا حمقاء طائشة؟ هل كان ذلك بسبب علاقتها بالشاب دونالد فريزر؟» فأجابت بالضبط. دون (كما تعودنا أن ندلل دونالد فريزر) نوع هادئ رزين من الشباب. ولكن، ولأنه شاب سوى حسن الأخلاق، فلقد كان يتحفظ ويعترض على بعض تصرفات بيتى- وبعد ذلك--»

وجعل بوارو يشجعها على الاستمرار فى الكلام فقال لها: «وماذا بعد ذلك؟» فقالت: «يؤسفنى أن أقول إنه من الجائز أنه قد بلغ حد اليأس والقنوط من إصلاح شأنها. وهذا اعتبار يؤسف له كثيرا. إنه رجل مستقيم جدا ومجتهد جدا. وكان من الممكن أن يكون زوجًا مثاليا لها».

ونظر إليها بوارو وبادلته النظرات الفاحصة فقال لها بوارو: «هل كانت المسألة بالضبط على هذا النحو؟ لم نعد نقول الحقيقة». فقالت: «حسنا، أنا قلت ما أعرفه لكى أساعدك». وحاولت أن تخرج من المطبخ، فأمسك بوارو بذراعيها وهو يقول لها: «انتظرى يا آنسة، عندى شئ أقوله لك». وأطاعته.

وعلى نحو ما، بدأ بوارو يحكى لها قصة الخطابات المجهولة التى كانت تصل إليه موقعة بالحروف أ.ب.ك وجريمة القتل التى حدثت فى أندوفر من قبل ودليل مواعيد القطارات ذى الترتيب الأبجدى بجوار جثة القتيلة بالضبط كما حدث عند ارتكاب جريمة قتل شقيقتها.

لم يكن بحاجة إلى أن يشعر بأى نقص فى اهتمامها بما كان يقوله. كانت تستمع إليه وقد فغرت فاها ولمعت عيناها، وفى النهاية علقت على كلامه بقولها: «هل كل هذا صحيح يا بوارو؟» فقال بوارو بهدوء شديد: «نعم. صحيح». فقالت: «هل أنت تقصد أن تقول إن أختى قد قام بقتلها مجنون متوحش؟» فقال بوارو: «بالتحديد!»

وتنهدت ميجان برنارد فقال لها بوارو: «أنت تدركين يا آنسة أن المعلومات التى تعطيها لى واجب محتم عليك سواء كانت هذه المعلومات تضر أو لا تضر بأى شخص مهما يكن هذا الشخص أو ذاك يعز علينا». فقالت ميجان: «نعم، أنا متفهمة تماما لضرورة ذلك الآن». فقال بوارو: «إذن، فلنستمر فى المناقشة. لقد تبلورت عندى فكرة أن الشاب دونالد فريزر كان يتصف بالغيرة الشديدة. هل هذا صحيح؟»

قالت ميجان برنارد بهدوء شديد: «أنا أثق بك الآن يا سيد بوارو. وأنا سأقول لك الحقيقة التامة كما أعرفها بكل صدق من جانبى. دونالد فى حقيقة أمره شخص هادئ جدا. شخص عبارة عن زجاجة مغلقة لو كنت تدرك مغزى ما أقوله. لا يستطيع فى كل الأحوال أن يعبر عن أفكاره فى كلمات. وتحت هذا الغطاء الهادئ يفكر فى الأمور بعنف شديد فى قرارة نفسه. وهو غيور بطبعه. كان دائما يغار على أختى بيتى. كان هو مخلصا تماما فى حبه لها- وكانت بالطبع هى تقول إنها مغرمة به، وكانت بطبيعة عملها فى مقهى جينجر كانت تحتك بكثير من الرجال الذين عندهم وقت فراغ كبير خصوصا فى

فصل الصيف. كانت تتمتع بطلاقة اللسان، ولو تحرش بها فى الكلام أحد كانت ترد على تحرشاته بمقدرة فائقة على الكلام وتتمكن من إسكاته- ولم يكن هناك شئ من العيب إطلاقا. ولكنها كانت منطلقة المزاج محبة للتسلية بكل أنواعها العادية. وعندما كانت تتناقش مع دونالد كانت تقول له دائما إنها تحب أن تحتفظ بحريتها فى التصرف كما يحلو لها من أجل التسلية وقضاء الوقت بسعادة كلما وجدت فرصة لذلك».

وتوقفت ميجان عن الكلام وقال لها بوارو: «أنا متفهم لكل ما تقولينه، استمرى». فقالت ميجان: «ولم يكن دونالد يستطيع أن يتفهم وبالتالى لم يكن يستطيع أن يفهم لماذا تبتعد عنه كثيرا كلما اقترب منها. ولقد حضرت معها مرة أو مرتين وهما يتجادلان فى هذا الشأن جدالا شديدا».

قال بوارو: « ولم يكن دونالد يستطيع أن يحتفظ بهدوء طبعه فى هذه الحالة؟» فقالت ميجان: «إنه مثل كل الناس الذين يتصفون بالطبع الهادئ، وعندما يثور أحدهم يثور بعنف أكثر من غيره».

قال بوارو: «ومتى حدث هذا الموقف آخر مرة؟» فقالت ميجان: «حدث ذلك مرة فى حضورى معهما منذ عام، وحدث مرة أخرى فى حضورى معهما وبشكل أكثر عنفا منذ شهر. وكنت قد عدت لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. وكنت قد دعوتهما معا للنزهة. وفى هذه المرة كنت أحاول أن أضع شيئا من التعقل فى رأس أختى بيتى- قلت لها أنت حمقاء صغيرة. وكانت تقول إنه لا ضرر أبدا فى ذلك. كان ما تقوله صحيحا تماما. ولكنها كانت تمتطى صهوة جواد يسير بها بسلام حتى ذلك الوقت، ولكنها كانت ستقع من فوق السرج فى أقرب وقت لا محالة. وهكذا ظلت طوال العام الماضى لا تتورع عن قول بعض الأكاذيب باعتبار أن مالا يدركه العقل لا يحزن القلب. وكانت أخطر هذه الأكاذيب عندما أخبرت دونالد أنها كانت ستذهب إلى أحد النوادى المخصصة للبنات فى مكان اسمه هاستينجس، ثم اكتشف دونالد أنها ذهبت فى حقيقة الأمر إلى مكان آخر اسمه إيستبورن مما أثار فى نفسه الشكوك وأيقظ الظنون المريضة. ولذلك كان النقاش بين أختى بيتى وبين دونالد نقاشا عاصفا احتد فيه دونالد احتدادا شديدا. كانت أختى بيتى تقول إنها لم تتزوج دونالد حتى الآن، ولها أن تتصرف كما يحلو لها، وكان دونالد قد أحمر وجهه من شدة الغيظ، يهتز ويقول لها: فى يوم من الأيام- فى يوم من الأيام- ولا يقول بعد هذه العبارة أى شئ آخر».

قال بوارو: «نعم؟» فقالت ميجان بصوت خفيض: «كان يمكن أن يقتلها-» وتوقفت عن الكلام وحملقت فى وجه بوارو الذى كان يحرك رأسه بحزن عميق وهو يقول: «وهكذا كنت أنت تخشين...» فقالت: «أنا لا أعتقد أنه قد فعلها بالفعل فى حقيقة الأمر. لا أعتقد ذلك ولو لمدة دقيقة واحدة. لا يدور هذا فى ذهنى أبدا. أريد فحسب أن أعبر عن مدى غضب دونالد من أختى بيتى. إننى فى الواقع أخشى أن تثار هذه المسألة عند تداول القضية. كان بعض الناس يعرفون تفاصيل هذا الذى جرى بين أختى بيتى وخطيب أختى دونالد». وهز بوارو رأسه بحزن مرة أخرى ثم قال: «هذا الذى تتوقعينه محتمل الحدوث بالفعل يا آنسة، ولكننى أستطيع أن أطمئنك لوجود اعتبار مهم يحول دون وجود أى أهمية لذلك، ويتمثل هذا الاعتبار المهم فى الطبيعة المجنونة للقاتل. لا أعتقد أن دونالد ينطبق عليه هذا الوصف، فضلا عن ضرورة وجود أدلة مادية أخرى. بطبيعة الحال. لا تسمحى للقلق أن يتسرب إلى نفسك من هذه الناحية، ولو أفلت دونالد فريزر من دائرة الشك سيكون ذلك فى المقام

الأول بفضل الطبيعة المجنونة للقاتل وفقا للحروف الأبجدية ولتفاخره بذلك عندما يترك دليلا مرتبا ترتيبا أبجديا لمواعيد القطارات».

وظل بوارو صامتا لمدة دقيقة أو دقيقتين ثم قال: «هل تعرفين ما إذا كانت أختك قد قابلت أى رجل غير دونالد فى الأيام الماضية الأخيرة؟» فهزت ميجان رأسها بما يفيد النفى وقالت: «لا أعرف. ولا يدهشنى أيضا لو عاودت الكذب على دونالد مرات قليلة أخرى. إن تكوينها النفسى يسمح لها بذلك. أنت تدرك أنها كانت تفعل ذلك للتنزه وإشباع أوقات الفراغ، وبطبيعة الحال لم يكن دونالد يستطيع أن يوفر لها من مرتبه المتواضع تكاليف ذلك باستمرار».

قال بوارو: «لو كان الأمر كما تقولين لكانت قد أفضت بذلك إلى إحدى صديقاتها مثل زميلتها فى العمل بالمقهى مثلا؟» فقالت ميجان: «لا أظن إمكانية هذا الاحتمال. لم تكن أختى بيتى تستريح إلى البنت هيجلى. كانت تعتبرها فتاة سوقية من عامة البنات. وزميلاتها الأخريات كانت تعتبرهن مجرد مستجدات عملهن مؤقت ولسن زميلات لها بالمعنى الكامل للزمالة فى العمل. ولم تكن بيتى عموما من النوع الذى يفضى بمكنونات صدره بسهولة».

وسمعنا رنين جرس الباب الكهربى، وذهبت ميجان لتطل من نافذة المطبخ وقالت: «إنه دونالد...»

قال لها بوارو: «أدخليه هنا بسرعة. أريد أن أتكلم أنا معه بضع كلمات قبل أن يتلقفه مفتش الشرطة الطيب بين يديه».

وبسرعة البرق مضت ميجان برنارد خارجة من المطبخ، وبعد ثوان قليلة عادت إلى المطبخ مرة أخرى وهى تجر دونالد فريزر من يده.



الفصل الثانى عشر
دونالد فريزر

شعرت على الفور بالأسف العميق من أجل هذا الشاب. مصيبته مصيبتان. مقتل حبيبته والشك فى أن يكون هو القاتل. كان وجهه الأبيض الذى غاض منه لون الدم، وكانت عيناه الخائفتان مما يدل على هول الصدمة التى مُنى بها.

كان شابا جسمه حسن التكوين متناسق الأعضاء وقسمات الوجه، وكان حسن الهندام أيضا يبلغ طوله حوالى ستة أقدام. لم يكن وسيما جدا، ولكنه كان حسن الشكل على كل حال لولا بروز قليل فى عظمتى خديه وشدة احمرار شعره.

قال دونالد فريزر: «ما هذا يا ميجان؟ لماذا أنت هنا؟ قولى لى بالله عليك- لقد سمعت توا- بيتى...!» وتلاشى صوته. ودفع بوارو نحوه أحد المقاعد وتهاوى دونالد جالسا عليه.ثم أخرج صديقى بوارو زجاجة دواء منشط للأعصاب من جيبه، وصب منه قليلا فى فنجان صغير وأعطاه للشاب دونالد وهو يقول له: «اشرب هذا الدواء يا سيد فريزر وسيجعلك هذا الدواء على ما يرام».

وأطاعه الشاب. وأعاد الدواء بسرعة شيئا من لون الدم إلى وجه الشاب. ازداد اعتداله فوق مقعده

إلى حد ما. واستدار نحو ميجان وكان أكثر هدوءا وتمالكاً لزمام نفسه وقال: «أعتقد أن الخبر صحيح. بيتى ماتت. قتلت؟ فقالت له ميجان: «هذا صحيح يا دون». فقال على الفور: «هل أنت قد وصلت توا من لندن؟» فقالت: «نعم. اتصل بى والدى تليفونيا». فقال: «فى الساعة ٩,٣٠ فيما أعتقد؟»

كان ذهنه يهرب من الحقيقة الكبرى إلى مناقشة التفاصيل الصغرى. فقالت له ميجان: «نعم.» وساد الصمت دقيقة أو دقيقتين ثم قال دونالد: «الشرطة؟ هل يعلمون أى شئ؟» فقالت له ميجان: «إنهم فى الطابق العلوى الآن. يفتشون الأشياء الخاصة باختى بيتى». فقال دونالد: «ألا تعرفين من...؟» ألا يعرفون...؟» وتوقف عن الكلام.

كان يتصف بكل صفات الشخص الخجول الذى يتردد فى أن يضع أفكاره فى جمل مكتملة التكوين مفيدة للمعنى بتمامه ويعتمد على أن المستمع إليه سيفهم من تلقاء نفسه ما يقصده هو بجزء من جملة. وسأل بوارو سؤالا بعفوية تامة كما لو كان يسأل عن مسألة من المسائل العادية فى الحياة اليومية فقال: «هل كانت الآنسة برنارد قد أخبرتك أين كانت ستذهب الليلة الماضية؟» وأجاب فريزر السؤال بطريقة آلية فقال: «كانت قد قالت لى إنها ستذهب مع صديقة لها إلى سانت ليونارد». فقال له بوارو: «وهل صدقتها؟» فقال: «أنا- ماذا تقصد؟» فقال له بوارو: «لقد قتلت بيتى برنارد بواسطة قاتل متوحش. وعندما تقول لنا الحقيقة الكاملة، يمكن لنا أن نقتفى أثره للقبض عليه».

واستدارت نظرات دونالد نحو ميجان برنارد التى قالت له: «هذا صحيح يا دون. ليس هذا وقت تهم فيه المشاعر الشخصية للإنسان أو مشاعر أى شخص. المهم هو الحقائق. تكلم بصدر نظيف بكل صراحة وصدق ولا تخفى أى شئ».

ونظر دونالد فريزر بارتياب نحو بوارو ثم قال له: «من أنت؟ أنت لست من رجال الشرطة؟» فقال له بوارو: «أنا أفضل لك من رجال الشرطة». فقالت له ميجان: «قل له كل ما تعرفه من الحقائق يا دون».

وقام دونالد بتلخيص كل ما عنده من الحقائق فقال: «أنا- لم أكن متأكدا- اعتقدت أنها كانت صادقة فيما قالت- لم أعتقد أنها ستفعل شيئا آخر غير ما قالته لى- ربما كان شئ ما فى طريقة كلامها- أنا- أنا بدأت أعجب وأتساءل--»

قال له بوارو: «نعم؟» فقال دونالد وكان بوارو قد جلس قبالته وقريبا جدا منه: «خجلت من نفسى أن ارتبت فى سلوكها. ولكننى- ولكننى كنت أرتاب بالفعل... قررت أن أذهب أمام المحل وأراقبها بعد انصرافها من المحل. وذهبت هناك بالفعل- ثم شعرت أنه لا يليق أن أفعل ذلك- يجوز أن ترانى بيتى وتعتقد أننى أتجسس عليها وتستاء منى».

قال بوارو: «وماذا فعلت؟» فقال: «قلت أن من الأفضل أن أسبقها بالذهاب إلى المكان الذى قالت إنها ستذهب إليه- سان ليونارد- ووصلت إلى سان ليونارد حوالى الساعة الثامنة مساء. وأخذت أراقب الناس وهم ينزلون من الأتوبيس فى محطة الأتوبيس فى سان ليونارد عسى أن تكون كانت بيتى واحدة منهم. ولم يظهر لها أى أثر...»

قال بوارو: «وبعد ذلك؟» فقال دونالد: «أنا- أنا لم أعد أحس برأسى عند ذلك. كنت مقتنعا تماما أنها قد ذهبت مع رجل آخر إلى مكان آخر، ظننت أن يكون رجل آخر قد أغراها بالركوب معه فى سيارته وذهب بها إلى مكان لهو كبير التكاليف مثل هاستنجس مثلا. ذهبت إلى هناك، وأخذت أمشى

وأمشى وأراقب واجهات ومداخل الملاهى والمطاعم. قمت بكل هذه الحماقة ولعنت نفسى- حتى لو كانت موجودة لم يكن من المحتمل أن أعثر عليها. وعلى كل حال أيضا تذكرت أنه توجد أماكن أخرى غير هاستنجس يمكن أن تكون قد ذهبت معه إلى واحد منها بدلا من المجئ إلى هذا المكان بالذات».

وتوقف عن الكلام. وكنت قد لمست تحت كلماته نيران الغضب الأعمى والألم والشقاء الذى كان يحس به فى تلك الليلة إلى أن سمعته يقول: «فى النهاية استسلمت لليأس وعدت أدراجى». فقال له بوارو: «متى عدت أدراجك؟» فقال: «لا أعرف- كنت أمشى فقط وأمشى. كان الليل قد انتصف تقريبا عندما عدت إلى البيت». فقال بوارو: «وبعد ذلك؟»

انفتح باب المطبخ.

قال المفتش كيلسى: «أوه، أنتم هنا؟» ودخل وراءه المفتش كروم وألقى نظرة نحو بوارو ثم قال ألقى النظرة الأخرى نحو الشخصين اللذين حضرا فى غيابه، فقال بوارو: «هذه الآنسة هى ميجان برنارد وهذا هو السيد دونالد فريزر. وهذا هو المفتش كروم من شرطة سكوتلانديارد».

والتفت بوارو بعدئذ إلى المفتش كروم وقال له: «بينما كنتم تقومون بعملكم فى الطابق العلوى كنت أنا أتجاذب أطراف الحديث مع الآنسة ميجان والسيد دونالد فريزر محاولا أن أعثر على شئ يلقى الضوء على القضية». فقال المفتش كروم: «أوه؟ نعم. وكان اهتمامه منحصرا فى النظر نحو القادمين الجديدين.

وبينما كان بوارو يرجع إلى الصالة قال له المفتش كيلسى: «هل وصلت إلى شئ؟» ولكن معظم انتباهه كان متجها نحو زميله ومتابعة تصرفاته ولم ينتظر أن يحصل من بوارو على رد على سؤاله.

وانضممت أنا إلى بوارو فى صالة المنزل، وسألته: «هل لفت نظرك أى شئ يا بوارو؟» فقال: «عظمة تفكير القاتل فقط هى التى لفتت نظرى يا هستنجز». ولم تواتنى الشجاعة لكى اقول له إننى لم أفهم شيئا.



الفصل الثالث عشر
مؤتمر

مؤتمرات. مؤتمرات. مؤتمرات

معظم ذكرياتى عن قضية الجرائم الأبجدية عبارة عن مؤتمرات!

مؤتمرات فى إدارة سكوتلانديارد، ومؤتمرات فى مسكن بوارو. ومؤتمرات رسمية يرأسها نائب مدير الأمن العام أحيانا، ومؤتمرات غير رسمية تتم على شكل زيارة يشترك فيها كثير من المهتمين بالقضية بصفة غير رسمية.

وكان هذا المؤتمر المتميز قد انعقد لاتخاذ قرار بشأن ما إذا كانت الأمور المتعلقة بالخطابات المجهولة التى كانت تصل إلى بوارو يحسن أن تصل أخبارها إلى الصحافة أم تظل بعيدة عن متناول الصحفيين. تعلن أخبارها على جمهور القراء أم لا تعلن.

كانت جريمة القتل التى وقعت فى بيكس هيل قد شدت انتباه الناس أكثر من الجريمة التى كانت قد سبق وقوعها فى أندوفر. كان فى جريمة بيكس هيل كثير مما يثير اهتمام الناس بها. وأول شئ أثار اهتمام الناس فى جريمة بيكس هيل أن المجنى عليها كانت شابة جميلة تمتد الحياة أمامها وليست امرأة عجوزا فى خريف العمر. وكانت الجريمة الثانية قد وقعت فى مكان مشهور كمصيف لكثير من أبناء الطبقة المتوسطة والطبقة العاملة أيضا. ويضاف إلى ذلك أيضا وجود دليل القطارات المرتب أبجديا ليربط الجريمة الثانية والجريمة الأولى ويجعل أذهان الناس تتجه إلى أن القتل فى الجريمتين واحد، وثار فى الأذهان سؤال ما إذا كانت جرائم قتل أخرى سيتم للقاتل ارتكابها فى أماكن أخرى ضد ضحايا آخرين يختارهم حسب ترتيب الحروف الأبجدية. وهذا الشأن المتعلق بجدوى أو عدم جدوى الإعلان عن وصول خطابات من القاتل المجهولة مجهولة المصدر كانت هى الهدف من هذا المؤتمر.

قال مساعد مدير الأمن العام فى بدء انعقاد المؤتمر: «نحن هنا الآن لكى نضع أسس سياستنا إزاء هذه الجريمة الثانية على وجه الخصوص. والسؤال المطروح للبحث هو: أى الاحتمالين هو الذى يعطينا النتائج الأفضل؟ هل نعطى الجمهور كل الحقائق لنحظى بالمزيد من تعاونهم وهو تعاون يقدر حجمه بالعديد من الملايين الذين سيشاركون فى جهود البحث عن القاتل المجنون أم لا؟»

وهنا تدخل الدكتور ثومبسون قائلا: «جنونه لا يبدو مؤكدا. تدبيره لظروف ارتكابه الجريمة يدل على ذكاء يشوب بشدة شبهات الجنون فى شخصيته».

واستمر نائب مدير الأمن يقول: «يجب أن نبحث فى المحلات التى تبيع دليل القطارات المرتب أبجديا عن الأشخاص الذين يشترون منهم طبعات هذا الدليل أكثر من مرة فى السنة الواحدة. وفى مقابل الإعلان عن الحقائق للجمهور هناك أمامنا أيضا اقتراح بأن نترك المجرم فى الظلام بحيث لا يعرف هو ما نعرفه نحن. ولكن يضعف من هذا الاقتراح أنه بالفعل يعرف أننا نعرف لأنه هو الذى تعمد أن يترك لنا بعض العلامات المادية وكأنه يقول لنا:خذوا منى هذا أو ذاك، ولن تتمكنوا مع ذلك من الإمساك بى. إنه يعبر عن نفسه ويعلن عن مكان وتاريخ جريمته التالية بكل حرية وبكل جرأة وينفذ ارتكابه للجريمة التى سبق أن حدد مكانها وزمانها كما يريد فى خطاب قبل ارتكابه للجريمة. الناس حتى الآن لا يعرفون هذه الحقيقة المرعبة. ومن عيوب إعلانها للجمهور أنها بحد ذاتها مرعبة تسبب كثيرا من القلق والهلع فى نفوس الناس وتظهر القاتل وهو شخص واحد كما لو كان يتحدى قوات الشرطة والأمن العام بأسرها وبكل إمكاناتها. وهذا شئ خطير جدا. إيه يا كروم، ما رأيك؟»

قال المفتش كروم: «أنا أنظر إلى المسألة من هذه الزاوية الأخيرة التى أشرت سيادتك إليها. لو أعلنا عن خبرها للجمهور كنا نسير بالضبط على ما يهوى القاتل ونفعل بالضبط كل ما يريد منا أن نفعله بشأن الخطابات. هذا بالضبط هو ما يريده منا. ومن الواضح أنه يهدف إلي الشهرة العريضة بين الجمهور. نوع من النورستانيا. هذا هو ما يهدف إليه.أليست وجهة نظرى هذه صحيحة يا دكتور ثومبسون؟» وأومأ الدكتور ثومبسون برأسه دليلا على موافقته على هذا الرأى الذى عرضه المفتش كروم.

قال نائب مدير الأمن العام: «أنت من رأيك إذن أن تقلل من حجم شهرته. تحاول أن تمنع عنه الشهرة الكبيرة التى يلهث وراءها. ما رأيك يا سيد بوارو؟» لم يندفع بوارو إلى الكلام بسرعة، بل ظل محملقا فى الهواء لحظة ثم قال بعناية شديدة فى اختيار كلماته: «من الصعب أن أحدد إجابتى يا سير

ليونيل. أنا كما يمكن أن يقال عنى مجرد رجل هاو ولست محترفا. والتحدي قد وصل لى أنا شخصيا قبل أن يصل إلى هيئة الشرطة من خلال هذه الخطابات مدار البحث. ولو أننى قلت: أخفوا هذه الحقيقة. لا تعلنوها للناس، لكان مظهرى مظهر من يحاول إضافة أهمية مبالغ فيها لشأن وجدوى هذه الخطابات. وربما بدا أننى أخاف على سمعتى لعدم قدرتنا حتى الآن على النجاح بصدد هذا التحدى المثار فى وجوهنا. ومن جانب آخر، إعلان كل شئ بما فى ذلك شأن هذه الخطابات له مزايا كبيرة. إنه يتضمن تحذيرا للناس المستهدفين ليس من الواجب حجبه عنهم. ولو كانت الموازنة بين مزايا وأضرار كل من الإخفاء والإعلان لكل الحقائق لكنت أنا أرجح وجهة نظر المفتش كروم التى تقول إنه من الأفضل ألا نمكن القاتل من تحقيق أهدافه من إرسال الخطابات».

قال مساعد مدير الأمن وهو يحك ذقنه بأصابع يده: «هم!» ونظر نحو الدكتور ثومبسون وقال له: «نفترض يا دكتور ثومبسون أننا قد قررنا أن نحرم القاتل من بلوغ أهدافه فى الشهرة التى يتوق إليها، ماذا تنتظر أن يكون رد فعل القاتل على مسلكنا هذا؟»

قال الدكتور ثومبسون على الفور: «سيرتكب القاتل جريمة قتل ثالثة ليلوى أيديكم ويجبركم على إعلان ما يريد منكم أن تعلنوه أو ليجعل الناس يستنتجون ما يريدهم أن يعرفوه وحجبتموه عنهم».

فقال مساعد مدير الأمن العام: «ولو فجرنا كل الحقائق بما فى ذلك الخطابات المجهولة فى المانشتات الضخمة فى صدر الصفحات الأولى من كل الصحف، فماذا سيكون رد فعل القاتل؟»

قال الدكتور ثومبسون على الفور أيضا: «نفس النتيجة. سيرتكب القاتل جريمة الأخرى بعد ذلك ليؤكد أسباب شهرته من وجهة نظره ويكفل لها بجريمة القتل الثالثة الزيادة والاستمرارية. والنتيجة هى نفس النتيجة: جريمة أخرى».

قال مساعد مدير الأمن العام: «ما رأيك فى هذا يا سيد بوارو؟» فقال بوارو: «أتفق فى الرأى تماما مع الدكتور ثومبسون من حيث استمرار القاتل فى محاولة اقتراف جريمة أخرى».

قال مساعد مدير الأمن: «كم جريمة تعتقد أن هذا القاتل المجنون سيحاول ارتكابها؟»

ونظر الدكتور ثومبسون نحو بوارو ثم قال وهو يبتسم: «يبدو أنه ينوى ارتكاب جرائم قتل بعدد حروف الأبجدية من الألف إلى الياء».

وانتظر الدكتور ثومبسون قليلا ليتطلع إلى ملامح مستمعيه بعد تقريره الخطير الذى لا يخلو من دعابة وسخرية ثم قال: «بالطبع لن يصل إلى حرف الياء ولا إلى أى حرف يقاربه. ستعلقونه من قدميه قبل أن يصل إلى ذلك بمسافة كبيرة. ستتمكنون من القبض عليه قبل أن يصل إلى حرف الجيم أو حرف الدال مثلا».

وضرب مساعد مدير الأمن العام المنضدة بقبضة يده بشدة واحمر وجهه، وقال: «يا إلهى! أنتم تقولون فى مواجهتى إنه سيرتكب خمس أو ست جرائم أخرى؟!» وعندئذ قال المفتش كروم: «لن يصل عدد جرائمه إلى هذا الحد يا سيدى. ثق أننى سأبذل قصارى جهدى للحيلولة دون ذلك».

كان المفتش كروم يتكلم بكل ثقة. فقال له بوارو: «عند حرف من حروف الأبجدية بالضبط تتوقع أنك ستتمكن من القبض عليه يا سيادة المفتش؟»

ونظر المفتش كروم نحو بوارو بشئ من الحقد والكراهية والغيظ والغضب وقال: «ربما اقبض عليه

وهو يرتكب الجريمة التالية يا سيد بوارو. أو أننى على الأقل لن أجعله يصل إلى نهاية الربع الأول من الحروف الأبجدية».

والتفت المفتش كروم نحو مساعد مدير الأمن العام وقال: «أعتقد أننى قد حصلت على سيكولوجية القضية بشكل واضح إلى حد كاف. وسيقوم الدكتور ثومبسون بتصحيح المسار من الناحية النفسية فى القضية كلما تطلب الأمر أى تصحيح فى مسارها. هذا مفهوم طبعا ومتفق عليه بيننا وبطريقة تلقائية أنتظر منه أى توجيهات يراها لازمة وفقا لتطورالظروف. إننى أضع فى اعتبارى كما أوصى بذلك الدكتور ثومبسون أن القاتل بعد أن ينجح فى اقتراف جريمة ترتفع معنوياته بنسبة مائة بالمائة. فى كل مرة يقول لنفسه إنه ماهر ولن نتمكن نحن من القبض عليه! سيصبح فى هذه الحالة واثقا من نفسه إلى حد أن يهمل أى شئ نتيجة لعد الاكتراث ونتيجة لاعتداده المبالغ فيه بذكائه واعتقاده أن الآخرين أغبياء. وسيقلل من الاحتياط بسرعة كبيرة. وسأتمكن من القبض عليه. أليس كذلك يا دكتور ثومبسون؟»

وهز الدكتور ثومبسون رأسه بما يفيد موافقته التامة على كل أقوال المفتش كروم وأضاف الدكتور ثومبسون قائلا: «هذه هى النوعية من القضايا. ودون حاجة إلى استخدام اصطلاحات علمية لا يمكن صياغة هذه القضية أفضل مما صاغها المفتش كروم. ألا توافق على ذلك يا سيد بوارو؟»

ولست أعتقد أن المفتش كروم كان مرتاحا إلى محاولة الدكتور ثومبسون استطلاع رأى بوارو بكل هذا التقدير. كان يعتقد أن الدكتور ثومبسون هو المختص علميا وأنه هو المختص عمليا بمواجهته هذه القضية أما بوارو فهو دخيل متطفل من وجهة نظر المفتش كروم كما كان ذلك يبدو فى كلامه وتعبيرات ملامح وجهه فى مثل هذه المواقف أحيانا كثيرة. وبالرغم من ذلك، كان بوارو يحرص على مجاملة الجميع ويحبذ ويؤيد وجهات نظر تستحق المساندة دون أى إسفاف. قال بوارو: «القضية بالضبط لا تزيد فى أبعادها وطبيعتها عما حدده المفتش كروم بقدرته الفائقة على تحديد طبيعة القضية».

وتمتم الدكتور ثومبسون يقول: «بارانويا. كلمة واحدة».

واستدار بوارو نحو المفتش كروم كما لو كان بوارو لم يلحظ إطلاقا أى تبرم من وجوده وتصديه للمشاركة فى مواجهة القضية وقال بوارو: «هل توجد أى حقائق مادية ملموسة فى قضية بيكس هيل يا سيادة المفتش كروم؟» فقال المفتش كروم: «لا توجد أشياء حاسمة حتى الآن. إحدى العاملات فى جهة إيستبورن تعرفت على صورة الضحية على أساس أنها كانت قد شاهدتها وهى تتناول الغداء فى المحل الذى تعمل لحسابه هذه العاملة ومعها رجل فى منتصف العمر يضع نظارة ضخمة على وجهه. وأمكن أيضا التعرف على الصورة فى محل على الطريق من لندن إلى بيكس هيل اسمه سكارليت رنر. يقولون إنها شوهدت فى هذا المكان فى حوالى الساعة التاسعة مساء يوم ٢٤ من الشهر الجارى مع رجل يبدو كما لو كان من ضباط البحرية. لا يصح أن نعتبر أن الروايتين صحيحتان كلتيهما، ولكن يجوز أن تكون إحداهما صحيحة. طبعا، الدقة معدومة فى تحديد الإفادات الأخرى ومعظمها لا تصلح لأى شئ. إننا لم نتمكن حتى الآن من اقتفاء أثر القاتل وفقا للحروف الأبجدية».

قال مساعد مدير الأمن العام: «حسنا، أنت فيما يبدو لى تتصرف بطريقة سليمة، وتعمل كل ما يمكن عمله يا سيادة المفتش كروم. ما رأيك يا سيد بوارو؟ ألا تقترح أى خطة من خطط البحث عن هذا القاتل المجنون؟»

قال بوارو: «فى مثل هذه القضية يلزم البحث عن الدافع إلى الجريمة، لأنه مفتاح مهم جدا».

فقال المفتش كروم: «أليس الدافع إلى الجريمة واضحا كل الوضوح؟ إنه عقدة الحروف الهجائية! أليست هذه هى التسمية التى أطلقها على هذا النوع من العقد النفسية التى يمارس القاتل جرائمه بسببها يا دكتور ثمبسون؟»

قال بوارو: «هذا صحيح. توجد عند القاتل عقدة يمكن أن نسميها عقدة الحروف الأبجدية. لا نختلف فى ذلك أبدا. ولكن لماذا تسيطر على القاتل هذه العقدة الغريبة التى أسميناها عقدة الحروف الأبجدية بالذات؟ الرجل المجنون على وجه الخصوص يكون لديه سبب قوى جدا لارتكاب الجريمة التى يقترفها».

قال المفتش كروم: «تعال هنا. تعال يا سيد بوارو. المجرم ستونمان فى عام ١٩٢٩، لقد انتهى به المطاف إلى أنه كان يقتل أى شخص كان يسبب له أي إزعاج مهما كان ذلك الإزعاج طفيفا».

قال بوارو: « هذا صحيح. ولكن عندما تكون رجلا سويا وقويا ومهما حتى ولو كنت تتوهم ذلك فمن الضرورى فى حالات الجنون ألا يضايق هذا الشخص المجنون الذى يشعر بالعظمة المبالغ فيها أى شخص من الناس. وعندما تصر ذبابة على أن تقف فى منتصف جبهته مرة ومرتان وثلاث مرات، ماذا ينتظر منه أن يفعل؟ إنه يقتلها بقسوة لو تمكن من اللحاق بها. إنه شخص مهم، والذبابة ليست مهمة. يقتل الشخص المهم الذبابة غير المهمة عندما تضايق باندفاع شديد. ولكن معاملة الناس مثل الذباب هو عنصر من أهم وأخطر عناصر الجنون الإجرامى. ومن أهم الأسباب لتعمد قتل الذبابة يدويا هو شدة الخوف من العدوى والإفراط فى هذا الخوف. أقصد الخوف المرضى المبالغ فيه. ولكن انظر إلى هذه الجريمة. المجنى عليهم يرتبهم القاتل ترتيبا أبجديا. هذا يدل على أنه لا يقتلهم لأنهم نوعية معينة من الناس تسبب ضررا مباشرا له أو للمجتمع، بل يقتلهم لأسباب أخرى غير إلحاق الضرر به أو المجتمع. ما الضرر الذى كانت تسببه السيدة آستشر المكافحة المتقدمة فى العمر ليعمد القاتل على ضربها وقتلها وهى تعمل فى المحل الصغير الخاص بها؟ وما الضرر الذى كانت تسببه الشابة الحسناء بيتى برنارد وهى تعمل وتكافح فى مقهى طوال النهار من أجل أن تكسب عيشها بنفسها، وتمضى آخر النهار فى محاولات للمرح والتسلية حتى يحين وقت نومها. لا ضرر فى هاتين الحالتين للمجرم ولا للمجتمع. ولا تماثل بين الضحية فى هاتين الجريمتين. ولا بد من وجود دافع مهم لهذه الجرائم التى نواجهها. ولابد فى نظرى من البحث الجاد عن هذا الدافع».

قال الدكتور ثومبسون: «هذه نقطة مهمة بالفعل يا سيد بوارو. أنا أتذكر قضية حكم فيها المحلفون على زوج سيدة بالإعدام. وأخذت زوجته تقتل أعضاء المحلفين واحد بعد الآخر. واستمرت جرائم القتل التى كانت ترتكبها حتى أمكن الجمع بينها فى خيط واحد. ولكننا لا نجد شيئا من ذلك فى قضايا القاتل الذى نواجهه حيث إنه يقتل أناسا وفقا لاختيار عشوائى لا يلتزم بشئ سوى تتابع الحروف الأبجدية. كان من الممكن أن تكون ضحية الجريمة الأولى شخصا آخر غير السيدة آستشر مادام اسم هذا الشخص يبدأ بحرف الألف سواء كان رجلا أو امرأة، فى بداية أو فى منتصف العمر أو فى أرذله. المهم هو أن يبدأ اسم الضحية بحرف الألف، وأن يبدأ اسم الضحية فى الجريمة الثانية بحرف الباء. ونتوقع أن يكون اسم المجنى عليه أو المجنى عليها فى الجريمة التالية يبدأ بالحرف التالى لحرف الباء فى

الأبجدية، هذا نوع آخر من القتلة. ومحاولة البحث عن السبب فى أنه يقتل حسب تسلسل الحروف الأبجدية مهم جدا كما يقول السيد بوارو بالضبط يا عزيزى المفتش كروم». وسيتضح لك ذلك عندما ستشهد وقوع الجريمة الثالثة فى القريب العاجل».

قال مساعد مدير اِلأمن العام: «لا تتكلم عن وقوع جريمة ثالثة يا دكتور ثومبسون. ابحثوا أيضا عن دوافع المجنون فى ارتكاب هذه الجرائم. افعلوا كل ما تستطيعون أن تفعلوه لوقف هذه الجرائم حتى لا تقع جرائم قتل أخرى بعد حرف الباء».

قال الدكتور ثومبسون: « تصرفوا كما تحبون أن تتصرفوا». وكان مغزى كلامه واضحا للجميع وكأنه يقول لهم: إما أن تسمعوا صوت الحكمة وأما أن تتحملوا نتائج عدم سماع صوت الحكمة. وهنا قال مساعد مدير الأمن لبوارو: «أنا مدرك لأهمية ما تقوله. لكن ما تقوله يلزم أن نعمل كثيرا من أجل أن يصبح متاحا لنا يا سيد بوارو». فقال بوارو: «أنا أسأل نفسى: ماذا يدور بالفعل فى ذهن القاتل؟ إنه يقتل. ويبدو من خطاباته المجهولة أنه يقتل لمجرد الهواية والمتعة. هذا هو ما تحاول خطاباته أن توهمنا به. هل هو حقيقة يقتل لمجرد التسلية؟ وحتى لو كان ذلك كذلك وهو ما لا أعتقده، أسأل نفسى: على أى أساس ينتقى ويختار القاتل ضحاياه بالإضافة إلى الترتيب الأبجدى الذى أعتقد أن القاتل يتخذه كغطاء لهدفه الحقيقى؟ لماذا يريد القاتل أن يزف إلى الناس بشرى رغبته فى ارتكاب جريمة جديدة؟ هل هذا من أجل التسلية وحدها؟ تتحقق التسلية وحدها بمجرد أن ينجح القاتل فى أى جريمة قتل دون حاجة إلى لفت أنظار الجمهور. ومن الضرورى بأن القاتل يدرك أن لفت أنظار الجمهور يجعل محاولته ارتكاب جريمة القتل أكثر صعوبة، ولكنه لا يبالى بالصعوبة فى مقابل تحقيق هدف معين أهم من التسلية وأهم من الرغبة فى الشهرة من وجهة نظر القاتل، وهناك مسألة أخيرة إذ أننى أسأل نفسى: لماذا اختارنى القاتل بين الناس جميعا لكى يرسل خطاباته المجهولة إلى شخصى المتواضع أنا بالذات؟ لابد أن له هدفا من وراء ذلك. ما هذا الهدف؟»

قال الدكتور ثومبسون: «أسئلة السيد بوارو كلها أسئلة مهمة بالنسبة إلى هذه القضية. لا أملك أنا إلا التنبيه بشدة على أهميتها، وربما يملك السيد بوارو بما لديه من خبرات عملية وقدرات ذهنية مشهود له بها أن يعاونكم فى محاولة الوصول إلى إجابات فعلية لها. أنا الدكتور ثومبسون، وهو هركيول بوارو كما نعرفه جميعا».

واستطاع المفتش كروم أ ن يضغط على نفسه، ويستجمع أطراف حبال صوته ليقول: «أوه، نعم، ولكنها أسئلة لا توجد لها إجابات فى الوقت الحاضر». فقال بوارو: «وبالرغم من ذلك يا عزيزى المفتش كروم، الحل هناك. الحل فى إيجاد إجابات صحيحة لهذه الأسئلة البسيطة بعينها، الحل هناك وهناك بالضبط حيث الإجابات الصحيحة لهذه الأسئلة التى لا توجد لها إجابات فى الوقت الحاضر. لو عرفنا الأسباب مهما تكن أسبابا خيالية مريضة مضحكة غير معقولة بالنسبة للمجرم الذى يتحدانا جميعا بجرائمه البشعة. ويلزم أن نجتهد أيضا، وبسرعة فى توفير إجابة صحيحة لسؤال ملح فى أهميته هو: من الضحية التى سيقع عليها الدور فى المرة القادمة؟»

قال المفتش كروم وهو يهز رأسه لعدم وجود إجابة محددة لهذا السؤال أيضا: «إنه يختار ضحيته القادمة اختيارا عشوائيا- هذا هو الرأى عندى».

قال بوارو: «هل يختار القاتل الطيب ضحاياه اختيارًا عشوائيا؟» فقال كروم: « بماذا تصف القاتل؟» فقال بوارو: «أنا أصفه بأنه قاتل طيب عنده ضمير. لم يرضه أن يتم للشرطة توجيه الاتهام إلى زوج السيدة آستشر العجوز السكير المسكين، فترك للشرطة ما يحول دون مثل هذا الاتهام الظالم لرجل طاعن فى السن برئ من الجريمة. وهو طيب القلب أيضا، إذ لم يرضه أن تتهم الشرطة ظلما شابا فى مقتبل العمر كان خاطبا للضحية الثانية بيتى برنارد، فترك للشرطة أيضا ما يحول دون اتهام الشاب دونالد فريزر ظلما فى جريمة لم يرتكبها الشاب دونالد فريزر، هل مثل هذا القاتل الطيب القلب يمكن بحق أن يدأب على اختيار ضحاياه اختيارا عشوائيا؟»

وهب الدكتور ثومبسون لنجدة المفتش كروم من أن يوصم بضعف مستواه فى التفكير، فقال: «أنا أعرف مجرما كان يقتل ضحاياه بطريق معينة، وبلغ عدد ضحاياه ستة من الضحايا لسبب واه جدا. وبالنسبة للمجرم الذى نواجهه فى هذه القضايا لا يوجد عندى تفسير لمسلكه الإجرامى سوى شهوة احتكار الشهرة لنفسه.»

قال مساعد مدير الأمن العام: «هذه نظريات يطول شرحها. وأنا أريد النتائج العملية السريعة. إننا لم نحسم حتى الآن ما إذا كنا نعلن كل الحقائق للجمهور أم نحجب عن الجمهور بعض الحقائق.»

قال المفتش كروم: «أنا عندى اقتراح عملى بسيط لحسم هذه المسألة يا سيدى. لماذا لا تنتظر حتى يصل الخطاب الثالث منذرا بقرب وقوع الجريمة الثالثة؟ بعد وصول هذا الخطاب مباشرة، نعلن عن وجود هذه الخطابات، وفحوى الخطاب الثالث منها بالذات لكل الجمهور، ونصدر طبعات خاصة من الصحف، وكل ما يشبه ذلك ليكون الإعلان على أوسع نطاق، وليتوافر التحذير اللازم كما أشار بذلك السيد بوارو، بحيث لا نحجب التحذير اللازم عمن يمكن أن يستفيد منه سواء نجح فى أن يستفيد منه أم لم ينجح، ونكون نحن قد أدينا واجبنا فى التحذير مسبقا، ليتسنى لكل شخص يبدأ اسمه بالحرف الثالث من حروف الأبجدية الإنجليزية وهو حرف C كما لا يخفى أن يتخذ حذره فى الإقليم المحدد لارتكاب الجريمة وفقا لأسلوب المجرم فى الإعلان المسبق عن جريمته، وهكذا نحكم الإمساك بالمجرم الأبجدى داخل عباءته وقد ننجح فى القبض عليه قبل أن يتم له اقتراف جريمته الثالثة.»

قال مساعد مدير الأمن العام: «اتفقنا. وما أقل ما نعرفه عما يخبئه المستقبل. لا يساورنى أدنى شك فى همتك وكفاءتك يا كروم».



الفصل الرابع عشر
الخطاب الثالث

إننى أتذكر جيدا مناسبة وصول الخطاب الثالث من الخطابات المجهولة المصدر التى يحررها القاتل الذى يمارس ارتكاب جرائم القتل وفقا لترتيب الحروف الأبجدية.

ويجوز لى القول بأن كل الترتيبات الضرورية كانت قد تم اتخاذها بالفعل بحيث إنه عندما يشرع القاتل فى ارتكاب جريمته الثالثة بعد المدة التى حددها فى خطابه وفى المنطقة التى حددها جريا على

عادته فى الخطابين السابقين تكون كل المكامن المعدة سلفا جاهزة للإطباق عليه قبل الشروع فى ارتكاب جريمته لمنع الجريمة قبل وقوعها بقدر الإمكان من جهة، ولضبطه متلبسا بالشروع فى ارتكاب جريمته الثالثة من جهة أخرى، كان ضابط شاب من إدارة سكوتلانديارد يرتدى الملابس المدنية مرابطا بالقرب من منزل بوارو بحيث يشاهدنا عندما نخرج بوارو وأنا من الباب فى يد بوارو الخطاب يرفعه فى يده، فيشرع الضابط فى الاتصال بإدارة سكوتلانديارد نفسها مباشرة، ويتحرك كل شئ بسرعة فائقة.

وبمرور الأيام أصبحنا نشعر أننا نقترب من الحافة بسرعة كبيرة، وكان المفتش كروم قد ازداد تآلفا وإقبالا على الاتصال بنا من وقت إلى آخر. كانت تحرياته قد وصلت إلى طريق مسدود، وتأكد أنها غير مجدية فى الوصول إلى القاتل المجهولة. وازداد أمله فى الاعتماد على بوارو لوجود احتمال أن يصل إلى شئ عن طريقه، وكان مسلك بوارو فى الاجتماع الأخير الذى حضره مساعد مدير الأمن العام بنفسه والدكتور ثومبسون قد رفع أسهم بوارو وأجبر كروم على احترامه وضرورة التعاون معه كقناعة نابعة من داخل نفسه دون أن يحاول بوارو أن يفرضها عليه. وكانت التحريات عن مبيعات جداول مواعيد القطارات المرتبة ترتيبا أبجديا قد أثبتت فشلها تماما وسببت مشاكل كثيرة لأناس أبرياء. وأصبح التعاون مع بوارو يمثل الأمل الرئيسى فى نظر المفتش كروم.

وفيما يتعلق بشأن بوارو وبشأنى أنا كنا نترقب الصوت المميز لموزع البريد، وعندما كنا نسمع الصوت المميز له كان قلبى يقفز بين ضلوعى، وأعتقد أن بوارو مع قوة تحمل أعصابه كان يتأثر أيضا من جراء ذلك.

كنت أعرف أنه يشقى كثيرا ويعانى كثيرا إزاء هذه القضية على وجه الخصوص. لقد رفض الاستجابة لكل دواعى السفر خارج لندن ليكون بالقرب دائما من مسرح الأحداث عند الضرورة. وفى هذه الأيام الحارة الحرجة كان يهمل كل شئ حتى العناية بشاربه الذى لم يكن يهمله فى أى ظروف سابقة. وساءت حالة شاربه إلى حد كبير وتدلت شعيرات حيث لا ينبغى لها أن تدلى، واستطالت بعض الشعيرات حيث لم يكن يسمح لها بوارو أبدا أن تستطيل أو تتطاول أو تخرج عن نظام بوارو الصارم فيما يتعلق بالشعر على جانبى شاربه.

وعندما سمعنا الصوت المميز لموزع البريد أسرعت إلى صندوق الخطابات ووجدت عددا من الخطابات لم أهتم بعدده إن كان أربعة أو خمسة، وأمسكت بها كلها فى يدى وجريت بها إلى داخل المنزل، وكان الخطاب الأخير منها عليه كتابة مطبوعة بالآلة الكاتبة. وصحت قائلا: «بوارو.....» واختفى الصوت فى حنجرتى... قال بوارو: «هل وصل؟ افتحه يا هستنجز بسرعة. كل لحظة قد نحتاج إليها. يجب أن نعد خططنا». وفتحت الخطاب، ولم يحاول بوارو المجئ نحوى أو الانتظار حتى أصل بالقرب من مقعده بل قال لى: «اقرأ». وقرأت سطور الخطاب بصوت عال كما يلى:

(أيها السيد بوارو المسكين– لم تكن موفقا فى هذه الجرائم الصغيرة كما تعودت أن تكون موفقاً من قبل، أليس كذلك؟ ربما كنت قد فقدت قدرتك فى التفوق على المجرمين؟ دعنا نشهد هل تستطيع أن تتصرف على نحو أفضل فى هذه المرة أيضا. ستكون سهلة هذه المرة. منطقة تشارستون يوم الثلاثين من الشهر الجارى. حاول جاهدا أن تعمل شيئا حيالها! من غير اللائق أن أكسب أنا على طول الخط، هل تعرف ذلك؟ أتمنى لك صَيْدًا موفقا.)

المخلص دائما: أ.ب.ك

قلت وأنا أقفز من مقعدى لكى أتناول النسخة الخاصة بنا من دليل مواعيد القطارات: «تشارستون؟ دعنا نبحث أين تقع تشارستون».

وسمعت صوت بوارو خلفي وهو يقول لى: «يا هستنجز، متى تم تحرير هذا الخطاب؟ هل يوجد بالخطاب تاريخ لتحرير الخطاب؟» وحدقت فى سطور الخطاب الذى كان لا يزال موجودا فى يدى، وقلت: «الخطاب مؤرخ بتاريخ يوم ٢٧ الجارى». فقال بوارو: «هل أنا سمعت جيدا يا هستنجز؟ وهل حدد الخطاب اليوم الثلاثين من الشهر الجارى لتنفيذ الجريمة؟» فقلت: «هذا صحيح. دعنى أنظر إليه مرة أخرى. إنه___» فقال بوارو: «يا إلهى! يا هستنجز! ألم تدرك حقيقة موقفنا السيئ حتى الآن؟ اليوم هو اليوم الثلاثين من الشهر الجارى!» وأشار بوارو بيده الذكية نحو النتيجة المعلقة على الجدار، وجريت أنا نحوها أحملق فيها عن قرب شديد! وتمتمت قائلا: «ما هذا؟ كيف؟......»

والتقط بوارو مظروف الخطاب الذى كنت أنا قد ألقيت به على الأرض. وكان شئ ما قد صدم نظرى عندما كنت قد أمسكت لأول مرة مظروف الخطاب، ولكن الاهتمام بمحتوى الخطاب كان قد صرفنى عن أى شئ سوى محتوى الخطاب، ولكن بوارو لا يفوته شئ ولو كان ينظر إلى شئ آخر.

كان بوارو فى ذلك الوقت يستأجر مسكنه فى منطقة اسمها«هوايت هيفين مانسيونز»، وكان العنوان مكتوبا على المظروف هكذا: «السيد هركيول بوارو- هوايت هورس مانسيونز». وذلك بحروف الآلة الكاتبة كما حرره المرسل المجهول. وتصرف موظفو البريد مع الخطاب بكتابة أكثر من تصويب بعبارات مثل: «غير معروف فى هوايت هورس مانسيونز- يجرى البحث فى هوايت هيفن مانسيونز».

وقال بوارو: «يا إلهى! الظروف تعمل على مساعدة هذا القاتل المجنون! أسرع. أسرع. يجب أن نصل إلى سكوتلانديارد بسرعة».

وبعد دقيقة واحدة أو دقيقتين كنا نتكلم مع المفتش كروم تليفونيا ولم يستطع المفتش المعتد بنفسه أن يجيب بسرعة إذ قال: «نعم؟ أوه؟» واستمع إلى إفادتنا عن محتوى الخطاب، وخرجت من بين شفتيه شتائم مقذعة، وبسرعة كان يتصل برجال الشرطة فى منطقة تشارستون بعد أن كان قد نجح فى الحصول على خط من الترنك بالسنترال الرئيسى. وقال بوارو: «هذا متأخر لسوء التوفيق». فقلت له: «لا يمكن القطع بذلك. يوجد فى النهار بقية». وكان الأمل عندى ضعيفا على الرغم من ذلك. ونظر بوارو فى الساعة التى فى يده وقال: «الساعة الآن هى الساعة العاشرة والثلث. ونحتاج ساعة وأربعين دقيقة للوصول إلى هناك. هل من المحتمل ألا تكون يد مجرم الأبجدية قد تحركت حتى نصل هناك؟».

وفتحت دليل القطارات الذى كنت قد أحضرته معى من فوق الرف. وقرأت فيه: «من تشارستون إلى ديفون. تشارستون من بادنجتون ٢٠٤،٧٥ ميلا. عدد السكان ٦٥٦ ألفًا»تبدو منطقة صغيرة إلى حد ما. من المؤكد أن المجرم سيكون من السهل التعرف عليه هناك».

وتمتم بوارو قائلا: «حتى لو تحقق ما تقول ستكون ضحية أخرى قد تم اغتيالها. ما القطارات التى تصل هناك؟ أعتقد أن القطار أسرع من السيارة».

قلت: «يوجد قطار فى منتصف الليل- به عربة نوم إلى نيوتون آبوت يصل إلى آبوت فى الساعة ٦,٨ ويصل إلى تشارستون فى الساعة ٧,١٥ صباحا». فقال بوارو: «هل هذا القطار من محطة

بادنجتون؟» فقلت: «نعم، من محطة بادنجتون». فقال بوارو: «سنأخذ هذا القطار يا هستنجز». فقلت: «لن نعرف الأخبار قبل أن نبدأ الرحلة» فقال بوارو» ماذا يهم لو تلقينا النبأ السيئ فى هذه الليلة أو صباح الغد؟» فقلت: «فى الحالتين يكون الخبر السيئ قد تحقق حدوثه».

وأخذت أضع بعض الأشياء فى حقيبة صغيرة بينما كان بوارو يتصل مرة أخرى بشرطة سكوتلانديارد. وبعد بضع دقائق جاء عندى بوارو وقال»ولكن ماذا تفعل عندك؟» فقلت له: «أجمع لك الأشياء التى تحتاج إليها. وهذا يوفر بعض الوقت». فقال بوارو: «أنت تبدى نحوى كثيرا من العطف يا هستنجز. هذا العمل الذى تقوم به من أجلى يتعب يديك ويجهد عقلك. هل هذه هى الطريقة التى تضع بها المعطف فى الحقيبة؟ وانظر ما قد فعلته بالبيجامة الخاصة بى؟ لو انكسرت زجاجة صبغة الشعر، ماذا سيحدث لهما؟» فقلت: «يا للسماء يا بوارو! هذه مسألة حياة أو موت. ماذا يهم ما يمكن أن يحدث لملابسنا؟» فقال بوارو: «ليست عندك ملكة حسن ترتيب الأشياء يا هستنجز. إننا لا نستطيع أن نركب قطارا فى وقت مبكر كثيرا عن الوقت الذى يتحرك فيه القطار. هذا يعنى أن لدينا متسعا كبيرا من الوقت رغم كل شئ لأننا ملتزمون بوقت مناسب لركوب القطار. وإتلاف الملابس على هذا النحو لن يمنع إطلاقا حدوث جريمة قتل جرت المقادير بضرورة حدوثها».

وأخذ بوارو الأشياء منى بحزم. وأخذ يعيد ترتيبها بيديه الحاذقتين. وقال إننا لا ينبغى أن نأخذ الخطاب ومظروف الخطاب أيضا معنا إلى محطة بادنجتون. ويقابلنا شخص من إدارة سكوتلانديارد فى المحطة. وعندما وصلنا إلى المحطة كان أول شخص نراه هو المفتش كروم الذى استجاب لنظرات بوارو المستطلعة عن الموقف وقال: «لم تصل أخبار حتى الآن. كل رجال الشرطة تحت تصرفنا يراقبون الموقف. وكل الأشخاص الذين تبدأ أسماؤهم بحرف»C» قد تم تحذيرهم تليفونيا فى حالة جهاز تليفون عندهم. تكون فرصته ضئيلة رغم كل التأخير. أين الخطاب؟» وأعطاه بوارو الخطاب. وأخذ المفتش كروم يقرأ الخطاب فى صمت وهو يشتم بصوت مسموع كما لو كانت الشتائم التى تخرج من بين شفتيه هى المكتوبة فى سطور الخطاب. وبعد أن انتهى كروم من قراءة الخطاب قال بغيظ شديد: «عجبا، نقاتل النجوم فى أبراجها ومساراتها لصالح هذا القاتل المجنون!».

قلت أنا للمفتش كروم: «ألا تعتقد أن كتابة عنوان السيد بوارو خطأ على المظروف إنما هو خطأ متعمد؟» وهز المفتش كروم رأسه وقال: «لا، أنا لا أعتقد أنه قد تعمد الخطأ بدليل أنه لم يخطئ فى كتابة العنوان فى خطابين سابقين. وهو أيضا يلزم نفسه بنفسه بمبادئ ثابتة فى التعامل وفقا لأنماط من التصرف اختارها هو بنفسه ولم يلزمه أحد بها. لم يلزمه بضرورة كتابة خطاب إلى السيد بوارو مثلا. إنه يفعل ذلك من تلقاء نفسه. لم يلزمه أحد بتحديد التاريخ. ولم يلزمه أحد بتحديد مكان الجريمة التالية. ليته يلزم نفسه بكتابة اسمه وعنوانه».

قال بوارو: «هذه هى قمة العبقرية فى الجنون..».

وقال المفتش كروم: «يحدث ذلك لنا جميعا. نكتب عبارة سبق أن كتبناها أكثر من مرة. ولفرط ثقتنا فى أننا لا نخطئ بالفعل ونحن نكتب العبارة نكتب العبارة التى سبق لنا أن كتبناها سليمة صحيحة عشرات المرات. ونخطئ بالفعل خطأ سخيفا ونحن نكتبها للمرات العشرين مثلا. هذا هو ما حدث له وهو يكتب العنوان على الخطاب الثالث. كتب اسم السيد هركيول بوارو بطريقة صحيحة بالآلة

الكاتِبة، وكتب كلمة هوايت ثم بجوارها كلمة هورس بدلا من كلمة هيفن، وكلمة هيفن هى تلك الكلمة الصحيحة التى لم يكتبها، وكتب بدلا منها سهوا كلمة هورس. على كل حال رجالى موجودون هناك فى تشارستون مهما تأخرنا. وقد أعطيت تعليمات أن يظل أحد الضباط بجانب التليفون ليتلقى أى أخبار تأتى من تشارستون». وتركنا المفتش كروم وذهبنا إلى قمرتنا لننام.

وشاهدنا رجلا يجرى نحو القطار، ويتجه نحو نافذة قمرة المفتش كروم وينقر بأصبعه على النافذة. وهرعنا عائدين إلى قمرة المفتش كروم وقلنا: «ما الأخبار؟» قال المفتش كروم: «أخبار سيئة جدا للأسف الشديد. أسوأ ما تكون! تم العثور على السير كارمايكل كلارك محطم الرأس فى منطقة تشارستون!».

كان السير كارمايكل كلارك على الرغم من أنه ليس معروفا للكثير من الناس إلا أنه كان رجلا له مكانة اجتماعية كبيرة ترتكز إلى كثير من أسباب وجاهة الرجال وضخامة مركزهم الاجتماعى. كان جراحا من كبار أطباء الأنف والأذن والحنجرة طوال سنوات كثيرة مضت. وكان مشهورا فى نطاق تخصصه فقط بطبيعة الحال. وعندما تقاعد عن مزاولة المهنة بنجاح كبير قد جمع ثروة كبيرة من المال وانغمس فى مزاولة هواية فريدة من نوعها لا يزاولها إلا قليل من الناس لتكاليفها الباهظة وهى هواية جمع آثار الفنون والمنتجات والآثار الصينية القديمة ذا ت القيمة الفنية العالية أو النادرة. ومنذ سنوات قليلة كان قد آل إليه ميراث ضخم من أحد أعمامه فاندمج إلى أكبر حد ممكن فى ممارسة هوايته، وأصبح الآن مالكا لأعظم وأقيم مجموعة من التحف التاريخية الصينية. كان متزوجا، ولكن لم يكن عنده أولاد، وكان يعيش أساسا مع زوجته فى منزل أنيق ابتناه حديثا بالقرب من شاطئ ديفون، وكان يحضر إلى لندن فى مناسبات قليلة جدا عندما يكون هناك إعلان عن مزاد للتحف والآثار.

ولم أكن أحتاج تفكيرا كثيرا لكى أدرك أن مقتله بعد مقتل الفتاة الشابة الجميلة بيتى برنارد سيمد الصحف والمجلات بمادة دسمة على مدار السنوات القادمة. وحقيقة أننا كنا فى شهر اغسطس وكان المحررون ورؤساء تحرير الصحف والمجلات يلهثون وراء الأخبار المثيرة التى كانت تجعل شأن الإعلان والنشر فى الصحف والمجلات أكثر خطورة وضخامة فى الحجم.

قال بوارو: «إيه؟ حسنا، من الممكن أن يكون النشر فى الصحف قادرا على أن يفعل ما لم يستطع أن تفعله الإمكانات الخاصة المتخصصة مما سيجعل الشعب كله مع الحكومة كلها تبحث عن القاتل وفقا للحروف الأبجدية».

قلت: «للأسف هذا هو ما يريده بالضبط». فقال بوارو: «لا فرق فى ذلك. هذا صحيح سوف تغمره نشوة النجاح على كل حال. وربما يصبح أكثر إهمالا وغرورا- هذا هو ما آمله-».

ارتجفت وقلت: «هذا مخيف إلى حد ما!» فقال بوارو: «نعم، هذا صحيح. لقد شعرت هذا الشعور نفسه من الخطاب الأول. شعرت أنه يوجد شئ خطأ، وأن جرائم قتل ستتوالى. ولم يكن أحد يصدق ذلك حتى أنت يا هستنجز والمفتش جاب أيضا». وأشاح بوارو بيده بصبر نافد وقال: «هل هناك شعور أسوأ من أن تزهق روح أى إنسان أكثر سوءا من أن تزهق روح إنسان عزيز عليك، أو روح إنسان يثق فيك ويعتمد عليك؟» قلت: «هذا أسوأ لأن هذا المجرم مجنون». فقال بوارو: «لا يا هستنجز. ليس موقفنا أسوأ لأنه مجنون. موقفنا أسوأ لأنه أصعب، ولم نألف التعامل معه. كنا نتعامل من قبل مع مجرمين جبابرة أذكياء وليسوا مجانين، وتعودنا على التعامل مع جرائمهم واكتسبنا خبرات فى هذا الصدد».

قلت: «لا. لا هذا المجرم مخيف لأنه مجنون». فقال بوارو: «لو كان مجنونا بحق لأمكن التعامل معه بسهولة أكثر. أخشى أن يكون جنونه مجرد تظاهر بالجنون ليكون التمويه أكثر إحكاما. إن هذا المجرم تحفل جرائمه بكثير من المتناقضات. آه، لو استطعت أن أصل إلى الفكرة الأساسية فى تفكيره، عندئذ يصبح كل شئ سهل المنال وفى غاية الوضوح».

وتثاءب بوارو وهز رأسه وقال: «هذه الجرائم لا ينبغى أن تستمر. يلزم أن توقف فى القريب العاجل... فى القريب العاجل. يلزم أن أصل إلى الحقيقة. اذهب يا هستنجز ونم. سيكون عندنا الكثير لنعمله غدا».



الفصل الخامس عشر
«السّير» كارمايكل كلارك

تحتل تشارستون موقعاً فى منتصف منحنى توورباى وتقع بين بريكسهام من جهة وكل من بيجنتون وتوركواى من الجهة الأخرى. ولقد كانت منذ عشر سنوات فقط مجرد أرض فضاء ريفية خضراء تنحدر نحو البحر ولا يكاد يوجد أكثر من منزلين أو ثلاثة منازل صغيرة من طابق واحد. ولكن الآن، توجد حركة بناء نشيطة تكاد تغطى معظم مساحة هذه الأرض التى كانت فضاء خاليا قريبا من أى مبان حديثة. انتشرت الفيلات والشاليهات لتتصل متجاورة لتلتحم مبانى تشارستون مع مبانى بيجنتون يتخللها شوارع واسعة فى غاية النظافة.

وكان السّير كارمايكل كلارك قد اشترى مساحة فدانين فى هذه الأرض وابتنى فوقها منزلا جميلا يطل على البحر. وكان منزله حديث الطراز، مستطيل الشكل، أبيض اللون، مريحا للعين. ولو حذفنا منه القاعتين الكبيرتين المستخدمتين لأغراض المتحف الخاص بالسير كارمايكل كلارك لكانت مساحة البيت جد صغيرة.

وكان وصولنا هناك حوالى الثامنة صباحا. وقابلنا أحد ضباط الشرطة المحلية وأحاطنا علما بمعلومات عن الأوضاع الراهنة فى الموقف.

كان السير كارمايكل كلارك فيما يبدو قد اعتاد أن يخرج للنزهة سيرا على قدميه بعد تناوله الغداء وقبل غروب الشمس كل يوم. وعندما اتصل به رجال الشرطة هاتفيا فى الساعة الحادية عشرة مساء تأكدوا أنه لم يكن قد عاد إلى البيت من نزهته. وحيث إن ذلك كان مخالفا لموعد عودته المعتاد من نزهته خرجت فرقة وعثروا على جثته. وكان الموت يرجع إلى ضربه بشئ ثقيل جدا فى مؤخرة رأسه. وكانت نسخة من دليل مواعيد القطارات المرتب أبجديا موضوعة مقلوبة فوق جثته مفتوحة على حرف C .

ووصلنا مباشرة إلى قصر كومبسايد كما كان السير كارمايكل كلارك يسمى قصره فى حوالى الساعة الثامنة. وفتح الباب بواب متقدم فى العمر أظهرت يداه المرتعشتان ووجهه المضطرب كم أثرت

المأساة عليه تأثرا محزنا.

قال له ضابط الشرطة: «صباح الخير يا سيد ديفريل». فقال له: «صباح النور يا سيد ويلز». فقال ويلز: «هؤلاء رجال من لندن يا ديفريل». فقال ديفريل: «من هذا الطريق يا سادة». وأشار بيده إلى ممر صغير دخلنا منه إلى غرفة الطعام حيث كان طعام الإفطار موضوعا على المائدة. وقال لنا ديفريل: «سأستدعى لحضراتكم السيد فرانكلين».

وبعد دقيقة أو دقيقتين دخل الحجرة رجل ضخم الجسم أشقر الشعر قد لوحت الشمس وجهه. وكان ذلك هو السيد فرانكلين كلارك الأخ الوحيد للرجل القتيل، وكان له مظهر وسمت رجل بالغ النضوج تعود على مواجهة أكبر الخطوب بجلد كبير دون لُغُوب بشرىٍّ معيب. قال لنا فور دخوله عندنا: «صباح الخير يا سادة».

وقام المفتش ويلز بتقديمنا إليه بقوله: «هذا هو المفتش كروم، وهذا هو السيد هركيول بوارو، إر، وهذا هو السيد هاينز». فصححت الاسم وقلت : «هاستنجز».

وصافحنا السيد فرانكلين وشد على يد كل منا بنفس الترتيب، وكان ضغطه على كل منا مصحوبا بنظرة نافذة فى أعماق وجه كل منا ثم قال: «دعونى أقدم لحضراتكم شيئا للإفطار، ونستطيع أن نناقش الأمور أثناء تناولنا للإفطار».

ولم يعترض أحد بكلمة وكان اللقاء بين العدالة ووجبة الإفطار المكونة من البيض واللحم والقهوة لقاء وديا حميما. وقال السيد فرانكلين: «بخصوص الموضوع، أعطانى المفتش ويلز فكرة مبدئية عن الموقف فى الليلة الماضية، على الرغم من أنها قصة من أكثر القصص وحشية وهمجية. أنا فى الحقيقة أعتقد يا سيادة المفتش كروم أن أخى المسكين قد راح ضحية مجرم خطير مجنون. ولقد عرفت منه أن هذه هى ثالث جريمة قتل تحدث وفى كل منها يترك المجرم المتوحش المجنون نسخة من دليل القطارات المرتب أبجديا بجوار الجثة بطريق معينة. هل هذا صحيح؟» فقال المفتش كروم: «هذا هو الموقف بكل دقة يا سيد كلارك». فقال فرانكلين كلارك: « على فكرة، ما الفائدة التى تعود على هذا المجرم المتوحش المجنون من هذه الجرائم التى يرتكبها فيما يتصور خياله المريض؟».

أومأ بوارو محبذا السؤال وقال: «أنت تضع يدك مباشرة على أهم نقطة يا سيد فرانكلين».

وقال المفتش كروم: «أعتقد أنا أنه غير مجد أن نبحث عن دوافع الجريمة فى مثل هذه لقضية يا سيد كلارك. هذه مسألة شخص مريض مرضا عقليا- مع أننى يجوز لى أن أقول إننى سبق لى أن خبرت بعض التجارب فى إجرام المختلين عقليا وعرفت أن الدافع إلى ارتكاب الجريمة عندهم معدوم أو ضعيف جدا. ربما تكون عند أحدهم رغبة فى إثبات وجوده وتحقيق ذاته والإحساس بشخصيته فيعمد إلى ارتكاب جريمة قتل لمجرد أن يحدث فرقعة تجعل اسمه من الأسماء المشهورة لدى جماهير الناس. إنه فى حقيقة الأمر يريد أن يكون شخصا مرموقا بدلا من أن يكون شخصا تافه الشخصية تقلقه إلى حد كبير تفاهة شخصيته».

قال السيد فرانكلين كلارك: «هل هذا صحيح يا سيد بوارو؟» وبدا على كروم على الرغم منه بعض الضيق من أن يطلب فرانكلين كلارك رأى بوارو فيما أبداه المفتش كروم من الرأى. ولكن جاء كلام بوارو مؤيدا للنظرية التى أبداها كروم وكنت أعرف أن بوارو لا يوافق عليها إطلاقا بأى حال، ولكننى

فوجئت بصديقى بوارو يقول: «ما قاله سيادة المفتش كروم صحيح تماماً». قال فرانكلين كلارك بعد شئ من التفكير: «وعلى كل حال، يستحيل أن يظل المجرم المجنون بعيدا عن أن يكشف أمره ويتم القبض عليه فى أقرب وقت. أنا متأكد من أن رجال الشرطة فى البلد كلها لن يدخروا وسعهم فى ذلك ولابد أن يكسبوا الجولة الأخيرة لا محالة».

قال بوارو: «هل تعتقد ذلك؟ آه، لكن هؤلاء الناس المجرمين من بين المجرمين هم أكثر المجرمين خطورة واكتشافهم صعب جدا يحتاج فى العادة إلى مصادفة أو سلسلة من المصادفات. إنهم تحيط بهم فى العادة مشاعر عدم الاكتراث. إن القاتل المختل عقليا نوع من الشخصيات التى يمر الناس بها غير عابئين أو مكترثين بما يمكن أن يرتكبه هذا المجرم المجنون من جرائم قتل. ألف الناس أن تكون جريمة لأسباب عفوية معروفة لهم مخططة تخطيطا عقليا قام به مجرم ذكى عاقل. لا يتوقع الناس أبدا أن يقترف مجرم مجنون جريمة قتل يخطط لها تخطيطا محكما ويخطط للإفلات من أن يكتشف الناس أو تكتشف الشرطة أنه هو الذى ارتكب الجريمة..».

وهنا قاطع المفتش كروم صديقى بوارو بقوله: «هل يمكن لى أن أحصل من سيادتكم على بعض الحقائق يا سيد فرانكلين؟» فقال فرانكلين: «بكل سرور». فقال المفتش كروم: «هل كان أخوك فى كامل صحته الجسمانية والنفسية أمس؟ ألم يستلم أى خطابات غير معتادة؟ ألم يكن يضايقه أى شئ؟» فقال: «لا، كانت حالته كالمعتاد». قال كروم: «ألم يكن قلقا أو معتل المزاج لأى سبب ؟» فقال فرانكلين: «معذرة يا سيدى المفتش. أنا لم أقل ذلك. القلق واعتلال المزاج كانا من الصفات المستديمة عند أخى». فقال كروم: «لماذا؟» فقال فرانكلين: «يجوز أنك لا تعرف أن زوجة أخى، الليدى كلارك، فى حالة صحية سيئة. وبصراحة، وفيما بيننا، فهى مصابة بمرض السرطان الذى لا علاج له، ولن تعيش وقتاً طويلا. ولقد أثر مرضها الخطير على ذهن أخى. أنا نفسى عدت من الشرق منذ وقت ليس طويلا وصدمنى التغير الذى حدث له».

وتدخل بوارو بسؤال فقال: «لو افترضنا يا سيد كلارك أنه قد تم العثور على جثة أخيك مصابا بطلق نارى من مسدس ملقى بجانبه تحت سفح أحد التلال فماذا كنت تقول؟» فقال فرانكلين: «كنت سأقول إنه قد انتحر».

وتدخل كروم ليستعيد زمام التحقيق بين يديه فقال: «على كل حال لم يكن فى قضيتنا هذه أى انتحار. والآن يا سيد كلارك أنا أعتقد أن أخاك كان قد اعتاد أن يخرج للنزهة كل يوم بعد تناول الغداء، أليس كذلك؟» فقال كلارك: «نعم، كان أخى يفعل ذلك». فقال كروم فى: «كل ليلة؟» فقال كلارك: «حسنا، كل ليلة تقريبا ما لم يكن المطر ينزل منهمرا بطبيعة الحال».

وقال كروم: «والخارج؟» فقال كلارك: «أنا لا أعرف ما تقصده بكلمة الخارج». فقال كروم: «القرية». فقال كلارك: «لا يكاد يوجد ما تعارف الناس على تسميته بالقرية. يوجد مكتب بريد وبضعة أكواخ ولكن لا يكاد يوجد ما يمكن أن نسميه قرية». فقال كروم: «ولكننى أعتقد رغم قلة المنازل أن أى شخص غريب يمشى لأول مرة فى المنطقة يلفت انتباه سكانها بسهولة، بل إن قلة عدد الناس من السكان الأصليين للمنطقة يعزز إمكانية التعرف على الشخص الغريب ولا يقلل منها، فما هو رأيك فى ذلك؟» فقال كلارك: «بالعكس، أنت تضع فى اعتبارك فصول السنة. فى هذا الوقت من كل عام،

يزدحم هذا الشاطئ بآلاف الناس من الغرباء فى العادة دون أن يلفت وجود أى واحد منهم انتباه أحد. يأتى الغرباء كل يوم من بريكسهام، وتوركواى وبيجنتون فى سيارات وسيرا على الأقدام وفى أتوبيسات. إن منطقة برودساندس بجوار بلاج مشهور، وكذلك يوجد بلاج إلبورى كوف، إنه عبارة عن منطقة جميلة جدا. يأتى الناس إلى منطقتنا هذه لكى يقضوا فيها يوم واحدا من أيام النزهة فى كثير من الأحيان ثم يعودون إلى مقر إقامتهم الأصلى. أنت لا تعرف كم تكون هذه المنطقة جميلة فى شهر يونيه وشهر يوليه».

قال كروم: «ولذلك لا تعتقد أنت أن أى شخص غريب يمكن التعرف عليه بسهولة باعتبار أنه شخص غريب؟» فقال كلارك: «لا يمكن التعرف عليه إلا إذا مشى برأس مخلوع».

قال كروم: «الرجل الذى يهمنا شأن إمكانية التعرف عليه لم يكن يمشى برأس مخلوع يا سيدكلارك. هذا الرجل من الضرورى أنه كان يستطلع الأرض ويجرى عليها دراسة دقيقة لكى يقوم بجريمته التى يستعد لها فيها لكى يكتشف طريقة حياة أخيك وعاداته وكيف أنه يخرج كل يوم للنزهة بعد الغداء، أنا أقصد بالتحديد أن أسأل: ألم يحضر أى شخص غريب أمس إلى هذا المنزل ليطلب مقابلة أخيك لأى شأن أو لأى سبب؟»فقال كلارك: «لا أعرف ذلك___ ولكننا يمكن أن نسأل ديفريل» ودق الجرس ووجه السؤال إلى البواب ديفريل الذى قال: «لا يا سيدى. لا أحد جاء ليقابل السير كارمايكل أمس. وأنا لم أشاهد أى شخص يحوم حول المنزل أيضا. ولم يشاهد الخدم الآخرون أى شخص غريب بالقرب من المنزل لأننى قد سألتهم عن ذلك».

وسكت ديفريل قليلا ثم قال: «هل هذا هو كل شئ يا سيدى؟». فقال له كلارك: «نعم يا ديفريل. تستطيع أن تنصرف».

وبينما كان ديفريل ينصرف اضطر أن يتنحى عن طريق سيره جانبا ليفسح الطريق لامرأة شابة لكى تمر وتتقدم هى طريقها. ونهض فرانكلين كلارك عن مقعده عندما دخلت وقال: «هذه هى الآنسة جراى يا حضرات السادة. إنها سكرتيرة أخى».

وشد انتباهى على الفور المظهر الإسكندنافى الأشقر الصارخ لفتاة.كان شعرها أشقر اللون كما ينبغى أن يكون الشعر الأشقر. وكانت عيناها لونهما أزرق باهت مشوب بلون رمادى خفيف. وكان لون بشرتها لونا أبيض شفافا يتميز به سكان النرويج والسويد. كانت تبدو فى حوالى السابعة والعشرين من العمر. وكانت تبدو ممتازة من حيث الكفاءة فى العمل كما كانت تبدو ممتازة من حيث الجمال الصارخ.

قالت: «هل يمكن لى أن أساعدك على أى نحو؟» وعرض عليها فرانكلين أن تأكل فرفضت، فقدم لها فنجانا من القهوة. وسألها المفتش كروم: «هل كنت تتعاملين مع بريد السير كارمايكل كلارك؟» فقالت: «نعم، مع كل مراسلاته». فقال: «أنا أعتقد أنه لم تصل إليه أى خطابات بإمضاء الحروف أ.ب..؟» فقالت: «أ.ب.ك.؟ لا، أنا متأكدة». فقال كروم: «ألم يتكلم عن رؤيته أى شخص يحوم فى المنطقة أثناء نزهاته كل يوم بعد الظهر؟» فقالت: «لا، لم يذكر أى شئ من هذا النوع». فقال كروم: « وأنت نفسك؟ ألم تشاهدى أشخاص غرباء عن هذه المنطقة». فقالت: «بالطبع يوجد ناس تستطيع أن تعتبرهم باعة جائلين فى هذه المنطقة فى هذا الوقت من العام. إن الإنسان يمكن أن يقابل أناسا يمشون فى

الأرض الفضاء فى هذه المنطقة فى شارع ضيق مفض إلى البحر كشئ معتاد. ومن الناحيةالعملية يكاد كل شخص يقابلك وأنت تمشى فى هذه المنطقة أن يكون شخصاً غريب عن المنطقة».

وأومأ بوارو برأسه وهو يفكر بشدة. وطلب كروم أن يعاين على الطبيعة الأماكن التى كان يتنزه فيها كارمايكل كلارك. وكان فرانكلين كلارك يتقدمنا فى الطريق. وكانت الآنسة جراى قد انضمت إلينا أيضا.

كانت الآنسة جراى وأنا نسير فى المؤخرة، فقلت لها: «من الضرورى أن كل هذا الذى حدث سبب لك صدمة كبيرة». فقالت: «إنه شئ لا يمكن تصديقه. كنت قد ذهبت للنوم الليلة الماضية عندما اتصل بنا أحد رجال الشرطة تليفونيا. وسمعت حركة أقدام كثيرة فى الطابق الأرضى فخرجت وسألت عن الموضوع. كان ديفريل والسيد كلارك يضيئان الأنوار».

قلت: «فى أى وقت بالضبط اعتاد السير كارمايكل أن يعود إلى المنزل بعد إتمام نزهته؟» فقالت: «فى حوالى الساعة العاشرة والربع. وهو كان قد اعتاد أن يدخل من الباب الجانبى، وكان يدخل أحيانا إلى فراشه مباشرة لينام. وكان يدخل فى أحيان أخرى إلى المتحف حيث توجد مجموعات التحف التى يمتلكها وهذا هو السبب فى أنه لو لم يكن رجل الشرطة قد اتصل لما اكتشف أحد عدم رجوعه حتى الصباح».

قلت: «من الضرورى أن هذه كانت صدمة عنيفة لزوجته؟» فقالت: «الليدى كلارك تظل تحت تأثير أدوية مخدرة وقتا طويلا. أنا أعتقد أنها معظم الوقت تكون فاقدة الوعى بما يدور حولها».

وكنا قد دخلنا إلى أرض فضاء مفتوحة بالقرب من البحر. وعندما عبرنا هذه الأرض الفضاء وصلنا إلى حارة تنحدر أرضيتها وينحنى مسارها. وقال فرانكلين كلارك يشرح لنا ما نشاهده حولنا: «هذا يؤدى إلى منطقة إلبورى كوف. ولكن منذ عامين شقوا طريقا جديدًا يفضى مباشرة إلى الطريق الرئيسى إلى برودسا ومنها إلى إلبورى كوف. ولهذا السبب تعتبر هذه الحارة شبه مهجورة من الناحية العملية».

ومشينا فى الحارة حتى انتهينا إلى طريق تنبت فيه نباتات صغيرة ويفضى إلى البحر. وفجأة وجدنا أنفسنا فى منطقة فضاء معشبة غزيرة العشب تطل على البحر وعلى بلاج مغطى بالحصى الأبيض، وكان يحيط به أشجار من كل جانب خضراء الغصون والأوراق. كانت منطقة خلابة المناظر، أرضيتها بيضاء يحيط بها الشجر ويمتد أمامها البحر فى لونه الأزرق المتماوج الدائب الحركة المستمرة للأمواج الهادئة اللطيفة تحت أشعة الشمس الذهبية. ولم أتمالك نفسى من أن أصيح قائلا: «كم يبدو هذا المكان جميلا!».

واستدار نحوى السيد فرانكلين كلارك وقال: «أليس كذلك؟ لماذا يريد الناس أن يسافروا إلى الريفيرا وعندهم مثل هذا المكان؟! لقد تجولت وسحت فى كل أنحاء العالم فى شبابى، وايم الله لم أشهد أبداً مكانا أجمل من هذا المكان».

وبعدئذ، يبدو أنه أحس بغرابة أن يبدو مثل هذه الملاحظة صبيحة مقتل أخيه فقال كما لو كان يريد أن يقدم لى مسوغا لذكره لها: «فى هذا المكان كان أخى يتنزه. كان يمشى كل هذه المسافة الكبيرة لكى يصل إلى هذا المكان ثم يعود منه عن طريق الممر الضيق الذى انحدرنا نحن منه، وكان يستدير جهة اليمين بينما استدرنا نحن جهة اليسار أثناء قدومنا إلى هذا المكان. وكان يمشى بين بعض المزارع

والحقول عائدا إلى المنزل».

وتقدمنا فى مسيرتنا حتى وصلنا إلى منطقة بين الحقول فى منتصف المسافة التى كانت توجد بها الجثة بالقرب من بعض الأشجار. وأومأ كروم برأسه وقال: «كانت المسألة سهلة بدرجة كافية. وقف الرجل القاتل هنا فى ظلال الأشجار. ولم يلاحظ أخوك وجوده حتى وصلت الضربة القاتلة إلى رأس أخيك». وارتجفت الفتاة الاسكندنافية وهى تقف بجوارى، فقال لها فرانكلين: «تماسكى يا تورا. هذه وحشية غادرة، ولكن لا يجدى الجزع من الحقيقة».

اسمها إذن هو تورا جراى. اسم جميل كما أنها جميلة.

ورجعنا إلى المنزل حيث كانت توجد الجثة بعد تصويرها فى المكان الذى تم العثور عليها فيه. وعندما صعدنا السلم قابلنا الطبيب خارجا من إحدى الحجرات وفى يده حقيبة سوداء. فقال له فرانكلين كلارك: «هل تقول لنا شيئا يا دكتور؟» وهز الطبيب رأسه وقال: «قضية فى غاية البساطة أنا سأحتفظ بالاعتبارات الفنية لأدلى بها فى التحقيق الرسمى. على كل حال لم يقاس كثيرا فى موته. كان موته فجائيا فى لحظة واحدة عندما تلقى ضربة قاتلة فى مؤخرة رأسه بالضبط».

ومضى الطبيب فى طريقه للخروج،وهو يقول: «أنا سأذهب لكى أزور الليدى كلارك لأننى أشرف على علاجها». وخرجت بعدئذ ممرضة من نفس الحجرة التى كان فيها الطبيب ومشت وراء الطبيب.

ودخلنا نحن الحجرة التى كان قد خرج منها الطبيب. وخرجت أنا من الحجرة بسرعة. وكانت تورا جراى لا تزال واقفة على رأس السلم. وكان هناك تعبير حزين فى ملامح وجهها. وتوقفت عن المشى وقلت لها: «يا آنسة جراى- هل تحسين بأى شئ مؤلم؟» فقالت: « لا. كنت فقط أفكر فى الشخص الذى عليه الدور ليقتله هذا الوحش حسب ترتيب الحروف الأبجدية التى يقتل على أساسه».

فقلت: «الشخص الذى عليه الدور؟» فقالت: «نعم. جريمة القتل المنتظرة التالية. يلزم عمل شئ ووقف هذه الجرائم ومنعها من الوقوع».

وجاء كلارك ووقف خلفى. وقال: «ما هذا الذى يجب وقفه ومنعه من الوقوع يا تورا». فقالت: «جرائم القتل الوحشى هذه التى تقع». فقال: «نعم. أنا سأتحدث إلى السيد بوارو بشأنها فيما بعد... هل فى المفتش كروم أى نفع؟» فقلت: «من المفروض أن المفتش كروم ضابط شرطة ماهر جدا». فقال كلارك: «طريقته عدائية سخيفة. يبدو كما لو كان يعرف كل شئ، وماذا يعرف؟ إنه لا يعرف شيئا على الإطلاق كما يبدو لى».

وسكت فرانكلين كلارك دقيقة أو دقيقتين ثم قال: «السيد بوارو هو الذى يستحق نقودى. عندى خطة. ولكننا سنتكلم عنها فيما بعد».

ومشى كلارك فى ممر، ونقر بأصبعه على الباب الذى دخل منه الطبيب منذ وقت قليل. وترددت فى المشى قليلا. وكانت الفتاة الاسكندنافية تحملق فى الفضاء فقلت لها: «فيم تفكرين يا آنسه جراى؟» فالتفتت نحوى وقالت: «كنت أسأل نفسى: أين هو الآن... القاتل؟ لم يمض سوى حوالى اثنتى عشرة ساعة منذ اقترف جريمته الأخيرة. أوه، ألا يوجد من يستطيع أن يعرف أين هو الآن ويعرف أيضا ما الذى يفعله هذا الوحش بالضبط؟»

قلت لها: « رجال الشرطة يبحثون عنه-». فقالت تورا: «نعم. بالطبع» ونزلت تورا درجات السلم.

وظللت واقفا فى مكانى اتمتم بالكلمات التى قالتها تورا توا عن القاتل حسب الحروف الأبجدية: «أين هو الآن...؟».



الفصل السادس عشر
(ليس مما يرويه هاستينجز)

خرج السيد ألكساندر بونابرت كاست من النادى بعد أن استمتع بمشاهدة مباراة مثيرة فى التنس.

وكانت عيناه تغمضان وتفتحان تبادليا عندما خرج من النادى ليواجه أشعة الشمس، وهو يحاول النظر ليتبين طريقه ليمشى فيه كالكلب الضال كما تعود أن يمشى. وتمتم قائلا نفسه: «إنها فكرة...».

وكان الصبية باعت الصحف يتصايحون من حوله قائلين: «آخر الأخبار... الوحش المجنون فى تشارستون...» وكانوا يحملون لافتات تلتف فيها الصحف مكتوب عليها: « جريمة القتل فى تشارستون. آخر جريمة». بحروف كبيرة واضحة جدا وعبثت يد السيد كاست فى جيبه. وعثر على قطعة عملة معدنية واشترى إحدى الصحف. ولم يفتحها فى الحال. وعندما دخل حديقة برنسيس، بحث لنفسه عن مكان منزوٍ، وجلس، وفتح الصحيفة.

كانت توجد عناوين مكتوبة بحروف كبيرة وبخط كبير تقول:

السير كارمايكل كلارك مقتول

مأساة فظيعة فى تشارستون

القاتل مجنون متوحش!!

وتحت هذه العناوين كتبت الصحيفة ما يلى: «منذ شهر واحد فقط اهتزت إنجلترا من الحزن والفزع من جراء جريمة قتل بشعة راحت ضحية فيها شابة جميلة اسمها إليزابيث برنارد فى منطقة بيكس هيل. ويجوز أن القراء يتذكرون أنه كان يوجد دليل قطارات مرتب حسب الحروف الأبجدية بجوار جثتها فى مكان الجريمة عند اكتشافها. ولقد تم العثور على دليل القطارات مرتباً حسب الحروف الأبجدية أيضا بجوار جثة السير كارمايكل كلارك ويميل رجال الشرطة إلى الاعتقاد بأن الجريمتين كلتيهما ارتكبهما نفس القاتل. هل من الممكن أن يظل قاتل مجنون متوحش يتجول فى أرجاء المصيف المفضل لدينا؟...».

وقال شاب كان قد جاء توا وجلس بجوار السيد كاست: «مسألة قذرة أليس كذلك؟» فقال كاست: «آه، جدا... جدا... » ولاحظ الشاب أن يدى كاست كانت ترتجفان لدرجة أنه لا يكاد يمسك بالصحيفة جيدا

قال الشاب فى نوع من الدردشة المألوفة: «أنت لم تعرف المجانين ولم تتعامل معهم. فى أحيان كثيرة لا يبدو أنهم مجانين. وفى كثير من الأحيان يبدو مظهرهم مثلك ومثلى تماما». فقال كاست: «أعتقد أن مظهرهم يبدو كما تقول». فقال الشاب: « هذه حقيقة. يقال أن الحرب هى التى جعلت عددهم

كبيرا- يصاب كثير من الجنود بصدمات عصبية فى الحرب، ولا يتم شفاؤهم بعد الحرب أبدا». فقال كاست: «أنا- أنا أعتقد أنك على صواب». فقال الشاب: «أنا لا أحب الحرب». التفت إليه كاست وقال: «أنا لا أحب الطاعون، ولا المرض ولا المجاعة ولا السرطان. ولكن هذه الأشياء موجودة!».

قال الشاب: «ولكن الحرب يمكن منعها. الناس هم الذين يشعلون نيران الحرب، ويمكن للناس ألا يشعلوا نيران الحرب. أما الأشياء التى ذكرتها فلا نستطيع أن نمنعها». وضحك السيد كاست مقدرا ذكاء ملاحظة الشاب، وظل يضحك مدة طويلة على الرغم من أن الملاحظة التى أبداها الشاب ملاحظة ذكية، ولكنها ليست مضحكة. وشعر الشاب بقليل من الخوف وقال لنفسه: «هذا الرجل الذى يضحك بجانبى منظره مخيف». وقال الشاب بصوت مسموع هذه المرة: «أنا آسف يا سيدى أنا أعتقد أنك قد اشتركت فى الحرب». فقال كاست: «نعم. شاركت فى الحرب. إنها حطمت استقرارى وهدت كيانى. ولم ينصلح حال دماغى منذ اشتراكى فى الحرب. دماغى يحترق من الداخل. أنت تعرف يحترق بطريقة مخيفة». فقال الشاب بحذر: «أوه، أنا آسف جدا لهذا». فقال كاست: «أحيانا، أنا لا أعرف ماذا أفعل، ولا أحس بما فعلته ولا انتبه إليه إطلاقا». فقال الشاب: « أحقا؟ يجب أن أنصرف». وأسرع الشاب يجر خطاه بسرعة مبتعدًا عن المقعد الذى كان كاست يجلس عليه. وظل السيد كاست جالسا ومعه صحيفته. وظل يقرأ ويقرأ. وكان الناس يمشون جيئة وذهابا من حوله وهو جالس لا يتحرك. وكان كثير منهم يتكلمون عن جريمة القتل عندما يقتربون منه كأن يقول أحدهم: «هذا مرعب... هل تعتقد أن هذا الشئ له علاقة بالصينيين؟ ألم تكن العاملة تعمل فى مقهى صيني؟» أو يقول أحدهم: «وقعت جريمة القتل الثانية فى الأرض القريبة من البحر». فيقول الآخر: «سمعت أنها كانت على البلاج». أو» ولكن يا عزيزى لقد تناولنا الشاى سويا فى بلاج إلبورى القريب جدا من تشارستون أمس. لقد نجونا من القتل». أو: « رجال الشرطة يبحثون عنه». أو: «رجال الشرطة سيقبضون عليه». أو: « أنهم سيقبضون عليه فى أى دقيقة اعتبارا من هذه الدقيقة». أو: « من المحتمل جدا، لا يزال موجودا فى توركواى الآن».

وطوى السيد كاست صفحات الجريمة بعناية وتركها على المقعد. ثم نهض ومشى إلى المدينة. وكانت البنات يسرن أمامه ووراءه وبجواره. بنات ثيابهن بيضاء أو حمراء أو صفراء أو خضراء أو زرقاء، بعضهن يلبسن الفساتين بينما يرتدى البعض الآخر البيجاما أو البنطلون. والكل يمشى فى الطريق. وكانت البنات تضحكن فى الغالب الأعم ويتغامزن. وكانت عيونهن تتفحص وجوه الرجال الذين كانوا يقابلونهن.

ولم تتعطف واحدة منهن على وجه كاست بنظرة واحدة. ووصل كاست إلى إحدى المقاهى، فجلس على كرسى إلى إحدى المناضد وطلب كوبا من الشاى واللبن.



الفصل السابع عشر
السباق مع الزمن

بمقتل السير كارمايكل كلارك أصبح سر الجريمة وفقا للحروف الأبجدية وقد قفز إلى أعلى ذروة من ذرى اهتمام الناس. لم تكن الصحف تغوص بالكتابة فى موضوع آخر. أى قرينة يتوهم أى شخص أنه يمكن أن يكون لها علاقة بهذه الجريمة كانت تجد أكبر متسع فى أى صحيفة يتصل بها أى شخص ليقدم أى معلومة مهما تكن تافهة الدلالة. وكانت حالات القبض على الأشخاص الذين يشتبه فى وجود علاقة لهم بالجريمة يتم النشر عنها كما لو كانوا هم الذين فعلوها. وكان عدد من الأشخاص المشتبه فيهم عددا كبيرا جدا. وهناك صور كثيرة لأشخاص ولأماكن كانت تطبع على صفحات الصحف دون أى تحفظ ما دام الطبع والنشر تحت عنوان يتصل بهذه الجريمة. وكانت هناك مقابلات صحفية تطبع فى الصحف مع نشر الصور الفوتوغرافية لأى شخص يرغب فى أن يجرى مقابلة مع صحفى لكى تطبع صورته وينشر كلامه ويعرف الناس اسمه فوق صفحات الجرائد والمجلات. وكانت هنالك أيضا تغطية صحفية كاملة شاملة لا تفوتها صغيرة ولا كبيرة من أسئلة أى مناقشة فى البرلمان تتصل بهذه الجريمة.

وانضمت قضية القتل الأولى التى كانت مهملة فى أندوفر إلى قضية قتل بيتى برنارد فى بيكس هيل إلى قضية السير كارمايكل فى تشارستون. وكانت الفكرة السائدة فى قيادة إدارة سكوتلانديارد هى أن النشر إلى أقصى حد ليعرف الجمهور كل شئ هو أفضل الطرق للإمساك بتلابيب القاتل. ولقد تحول كل سكان بريطانيا العظمى إلى جيش من المخبرين السريين للقبض على هذا القاتل المجنون الخطير.

ونشرت جريدة فليكرر اليومية مقالا ساخنا تحت عنوان مثير مكتوب فى السطور الأولى من صدر الصفحة الأولى يقول: «يجوز أن يكون فى بلدتك!».

وكان بوارو بطبيعة الحال فى بؤرة الاهتمام الصحفى والإعلامى بكل أنواعه. تم نشر صور الخطابات التى وصلت إليه بعد تصويرها بأجهزة الفاكسيملى. وكانت نبرات السخرية تظهر فى أسئلة المراسلين الصحفيين حيث إنه مع كل شهرته ومهاراته وتصديه للمجرم المجنون منذ بدء البداية لم يتمكن حتى الآن من الإمساك به أو كشف حقيقته. وربما كان صديقى بوارو مضطرا إلى الإعلان عن وشوك وقرب أن يتمكن من كشف حقيقة القاتل المجنون لمجرد تهدئة الرأى العام وبث الأمل فى النفوس.

كانت المقابلات تتوالى معه لينتج عن كل مقابلة مانشتات تطبع فى الصفحات الأولى مثل:

ما يقوله بوارو اليوم.

بوارو على وشك النجاح.

بوارو حزين لتفاقم الموقف.

هاستينجز صديق بوارو يتكلم.

وعندما شاهدت المانشت الأخير على صدر إحدى الصفحات وتحته كلام غريب منسوب إليّ أنا شخصيا صحت قائلا: «بوارو، أرجوك صدقنى أنا لم أقل كل هذا الكلام المنسوب إلى أنا شخصيا». وكان بوارو يجيبنى بتعاطف شديد: «أنا أعرف هذا يا هاستينجز.أعرف. الكلام الذى يقال والكلام الذى يكتب. هذه مشكلة أزلية وأبدية لن تتخلص البشرية أبدا من عيب أن ما يكتب بالفعل هو غير ما يقال بالفعل. تقول شيئا ويكتبون ويطبعون وينشرون شيئا آخر ينسبونه إليك. لست وحدك يا هاستينجز! لديهم جرأة وبراعة فى تغيير كلمة واحدة وربما حرف جر وربما جزء من كلمة ليقلبوا معانى الجملة كلها».

قلت: «أنا لا أحب أن تعتقد أننى أفضيت لهم بأى حقائق أعرفها مما يمكن أن تفسد جهودك فى القضية». فقال بوارو: «لا تقلق. ربما كانت هذه المتناقضات التى ينشرونها مفيدة. ربما كنا نحتاج إلى بذل أموال لنصل إلى هذه النتائج التى نحصل عليها مجانا والمصادفات البحتة. لماذا لا تلعب المصادفات فى جانبنا كما تلعب فى جانبه».

قلت: «كيف يكون ذلك؟» فقال بوارو: «إيه، حسنا. لو قرأ رجلك المجنون ما تنشر الصحف أننى مثلا قد قلته وأنا لم أقله، ألا يجوز أن يبنى خططه ويتخذ تصرفات على أساس الأقوال المنسوبة إلّى خطأ، فيكون ذلك بمثابة تمويه طبيعى يشتت أفكاره ويجعله عرضة للخطأ؟ وأنا متأكد أنه لو قرأ ما نشرته جريدة الديلى بلاج اليوم زورا على لسانى فلابد أنه سيحتقرنى ويستخف بطريقة تفكيرى وهو ما أتمناه أنا له. أنا أتمنى أن يحتقرنى ويستخف بطريقة تفكيرى، وأنا مسرور جدا أن هذه الصحيفة قد حققت لى هذه الأمنية مجانا ودون أى مجهود من جانبى».

أقول ذلك لمجرد تصوير الموقف المحيط بهذه الجرائم فى تلك الأيام. أثبتت التحريات فشلها عند رجال الشرطة. وأثبتت التحقيقات الصحفية عدم جدواها وأصبحت القضية فى غاية الشهرة. وبلغت أعلى ذروة من ذرى الغموض والإبهام.

وإذا كان المفتش كروم ورجاله يعلنون أنهم لم يتعبوا ولم يدركهم اليأس، فلقد كان صديقى بوارو يخفى عنى الشعور بالإحباط واليأس وكنت أناقشه فى ذلك فيقول لى: «ولكن ماذا تريد منى أن أفعل يا صديقى؟ التحريات الروتينية؟ هذه يقوم بها كروم ورجال الشرطة الكثيرون الذين تحت قيادته ويأتمرون بأوامره وجهودهم جميعا بدءا من المفتش كروم حتى أصغر جندى من جنود الشرطة مكرسة لهذا الغرض وحده ولهذا المجرم المجنون وحده. إنهم يفعلون ذلك على نحو أفضل بكثير مما لو تصديت أنا وأنت للقيام به. أنت تريدنى دائما أن أجرى كالكلب الذى يطارده الأطفال بالحجارة».

قلت له وأنا أحاول أن أشد من أزره: «هل يجوز أن تجلس بدلا من ذلك مثل... مثل...» فأكمل بوارو لى الجملة التى كنت أحجم عن إكمالها بقوله: «مثل الرجل العاقل. إن قدرتى يا هاستينجز تتركز فى عقلى، ولا تتركز فى قدمى! وطوال الوقت الذى أبدو فيه أمامك عاطلا عن العمل، فأنا أفكر».

قلت له: «تفكر؟ هذا وقت للتفكير والاستمتاع بالتأملات الفكرية؟» فقال بوارو: «نعم، وألف مرة نعم» فقلت له: «ولكن ما الذى تكسبه من وراء التفكير؟ إنك تعرف حقائق القضايا الثلاث تمامًا، وتحفظها عن ظهر قلب». فقال بوارو: «أنا أفكر فى عقل الرجل المجنون». قلت له: «هل تفكر فعلا فى عقل الرجل المجنون؟» فقال بوارو: «بالتحديد. ولذلك لن أنتهى من هذا التفكير فى دقيقة واحدة أو

وقت محدد. وعندما أحدد كيف يفكر القاتل سأكون قادرا أن أكتشف من هو. وأما بمرور الوقت أعرف أكثر ثم أكثر. بعد جريمة أندوفر، ماذا كنا نعرف عن المجرم؟ لا شئ أبعد من لا شئ. بعد جريمة بريكس هيل؟ عرفنا بعض أشياء قليلة. وبعد جريمة القتل تشارستون؟ عرفنا أكثر من المرة السابقة. لقد بدأت أرى- ما لا تحب أن تراه- أنت تحب أن ترى الوجه وهيئة إجمالية للجسم، ولكننى أحب أن أرى الأبعاد والملامح الدقيقة للعقل الذى يتحـــرك ويعمل فى اتجاهات مؤكدة محددة. وبعد الجريمة التالية--».

قلت له: «بوارو! هل ستكون هنالك جريمة تالية؟» ونظر نحوى صديقى وعلى وجهه أمارات خيبة أمل كبيرة وقال: «لكن، نعم يا هاستينجز، أنا أعتقد أنه من المؤكد أنه سيكون هناك على الأرجح جريمة قتل أخرى. ويعتمد الكثير من أمورها على الظروف ما دام قاتلنا قد كان محظوظا فى المرة السابقة. فى هذه المرة القادمة، أنا آمل أن يتخلى الحظ عنه هذه المرة. وعلى كل حال، فى الجريمة القادمة سنعرف عنه أكثر لا محالة. الجريمة تفصح عن نفسها بالضرورة، وتقول أشياء وبطريقة صارخة. حاول أن تغير طرائقك وذوقك وعاداتك وموقفك الذهنى، سيكشف عن كل ذلك تصرفاتك. توجد اعتبارات متناقضة متضاربة كما لو كانت قوتان متضادتان تعملان، وكل منهما تعمل ضد الأخرى. قوة الوضوح ضد قوة الغموض. ولكن ستنتصر قوة الوضوح على قوة الغموض قريبا. أوشكت أن أعرفه».

قلت: «من هو يا بوارو؟» فقال بوارو: «لا يا هاستينجز. لا أعرف اسمه وعنوانه. عرفت فقط كيف يفكر. عرفت أى نوع من الرجال هو. هذا هو الصعب. أما معرفة اسم وعنوان شخص فهو سهل جدا عندما لا يكون هذا الشخص مجهولا لك. أنا سأعرف فى القريب العاجل ولقد بقى فقط أن أتأكد أى نوع من الرجال هو». فقلت: «وبعد ذلك؟» فقال بوارو: «وبعد ذلك؟ وبعد ذلك؟ أنت تريد أن تكون مثل المفتش كروم تريد أن تأخذ بيدك كل شئ، وتبرز أنت فى المقدمة وأظل أنا قابعا فى المؤخرة. لا تكن مثل المفتش كروم يا هاستينجز. بعد ذلك سأجنى أنا ثمرة الخوخ الناضجة».

قلت له متعمدا استفزازه إلى أقصى مدى: «وأثناء ذلك، وحتى تنضج ثمرة الخوخ يُقْتَلُ الناسُ ويغتالهم الوحش المجنون ذات اليمين وذات اليسار وفقا لترتيب الحروف الأبجدية؟!» فقال بوارو: «ثلاثة أشخاص. إنهم ثلاثة بالعدد- ما حجمهم بالقياس إلى حجم مائة وعشرين شخصا يموتون من جراء حوادث الطرق كل أسبوع؟»

قلت له: «هذا شئ مختلف. حوادث الطرق تحدث قضاء وقدر ولا يمكن منعها، أما جرائم المجرم المجنون الأبجدية فيمكن وقفها. أنت تحاول الهروب من المعركة يا صديقى. هل نتركه يقتل الناس وتقول لى مثل حوادث الطرق؟» فقال بوارو: «أنا لا أنكر أن المثال مع الفارق. كل ما فى الأمر أننى أحاول أن أعزى نفسى بنفسى. وأرجو ألا تنسى أننى لم ولن أدخر وسعاً. يا صديقى أنا أفكر، إذن أنا أعمل. ولكن شيئا واحدا هو الذى يسر خاطرى فى هذه القضية».

قلت له: «يا ليت! دعنى أسمع شيئا واحدا يسر الخاطر». فقال بوارو: «إنه ليس نكتة تضحكك. إن ما يسر خاطرى هو أنه لم يوجد فى هذه الجرائم على الإطلاق أى شئ يؤذى الأبرياء».

قلت له: « كيف؟» فقال: «لا يوجد شئ أفظع من أن يعيش الإنسان فى أجواء من الشكوك عندما يتهم فى جريمة دون وجه حق. ليس هناك أفظع من أن تتطلع العيون إلى شخص وقد تحول الحب فى

العيون إلى خوف من أذى هذا الشخص. ليس هناك أفظع من الارتياب في شخص عزيز لديك. هذا شئ سام. إنه يسمم حياة الأبرياء. ونحن لا نستطيع أن نجد مجرم الجرائم الأبجدية قد ترك دائرة الشك تحيط بأى شخص غيره فى جرائمه كلها وبإطراد مدهش». وقلت: «هل أنت تمتدحه وتصفه يا بوارو لمجرد أنه يقتل ولا يشك أحد فى شخص غيره؟ كل ما فى الأمر أنه يحب الشهرة». فقال بوارو: «ولماذا لا أمتدح فيه ما يستحق المدح؟ عندما تعرف كل شئ عنه ربما تتعاطف معه فى اعتبارات كثيرة. أنا لا أحب الخلط بين الأمور والاعتبارات المختلفة». قلت: «هل يمكن أن يحدث ذلك حقا يا بوارو؟» فقال بوارو: « يا للأسف! لقد صدمتك. صدمتك أولا بمشاعرى ثم صدمتك بأفكارى». وهززت رأسى دلالة على عدم فهمى.

قال بوارو: «على كل حال، عندى مشروع واحد ربما يبهجك حيث إنه مشروع إيجابى فيه فعل وحركة وليس فيه مجرد جلوس وتفكير، وفيه قدر كبير من الكلام دون تفكير».

لم أرتح لهذه اللهجة من الكلام التى فاجأنى بها بوارو، فقلت بحذر شديد: «وماذا عساه أن يكون هذا المشروع العظيم الذى له كل هذه المميزات؟» فقال بوارو: «انتزاع الحقائق من كل أصدقاء وأقارب وخدم الضحايا من ثنايا كل ما يعرفونه». فقلت له: «هل تعتقد أنهم قد استبقوا لأنفسهم بعض الحقائق إذَنْ؟» فقال بوارو: «ليس ذلك عمدا. ولكن إفضاءك بكل شئ عن موضوع معين يقتضى منك أن تمارس شيئا من الانتقاء لما تقوله بالفعل عن هذا الموضوع ولو أننى طلبت منك أن تحكى لى كل ما تعرفه عن الأمس مثلا فمن الممكن أن تقول لى: «أنا استيقظت فى الساعة التاسعة. تناولت الإفطار بعد نصف ساعة. أكلت بيضا ولحما وقهوة. ذهبت إلى النادى، إلخ. وتكون فى هذه الحالة قد أهملت وحذفت ولم تذكر أن أحد أظافرك قد حدث له شئ واضطررت أن تعالجه أو أنك دققت الجرس لكى يحضروا لك ماء ساخنا لحلاقة ذقنك، وربما تكون بل أنت بالفعل لم تذكر مسألة حلاقة ذقنك، وربما تكون بل أنت بالفعل لم تذكر مسألة حلاقة الذقن بكل تفاصيلها. وربما تكون قد أهملت أيضا أن تذكر أنك قد سكبت بعض القهوة على مفرش المنضدة. وربما تهمل أن تقول أنك قمت بتنظيف القبعة بالفرشاة وبناء على ذلك يصح القول بأن الإنسان عندما يحكى عن موضوع ينسى بعض الأشياء أو هو بالأصح ينتخب ويختار أشياء يعتبرها مهمة فى الموضوع فيذكرها ويترك أشياء تافهة غير مهمة فلا يذكرها. وعند حدوث جريمة قتل يذكر الناس ما يعتبرونه مهما. وفى كثير من الحالات يكونون مخطئين في تمييز المهم من غير المهم! ربما كان ما يعتبرونه غير مهم يعتبر فى غاية الأهمية ، ولكنهم لم يذكروه لأنه بدا لهم أنه غير مهم».

قلت له: «وكيف يحصل الإنسان على هذه الأشياء المهمة التى اعتبروها غير مهمة ولم يذكروها؟ وكيف يجعلهم يذكرونها؟» فقال بوارو: «بطريق بسيطة وسهلة جدا. إنها كما قلت لك منذ قليل ممكنة من خلال المحادثة. من خلال الكلام معهم تعرف حقائقهم! بمناقشة بعض الأحداث. من إعطائهم الفرصة ليعبروا عن آرائهم وعواطفهم ومعتقداتهم ومعارفهم. ويمكن أن تدور المناقشة عن حدث من الأحداث أو عن شخص من الأشخاص أو عن يوم من الأيام، مرة ومرة ومرة أخرى. وتجد كثيرا من التفاصيل وقد طفت على السطح وتستطيع أن تعثر على معلومات ربما تكون مهمة حسب تقديرك أنت لها وليس حسب تقديرهم هم لها».

قلت: «لماذا لا يظل الناس يتصرفون وفقاً لانتخابهم واختيارهم وليس كما أريد لهم أن يسردوا الأحداث؟» فقال بوارو: «طبيعى جدا أنهم ربما يستمرون على سجيتهم هذه. ولكن بمضى وقت كاف على حدث من الأحداث تزداد التفاصيل فى الرواية عنه بعض التفاصيل التى كانت مهملة فى الروايات المبكرة عنه، وتبدأ بعض الاعتبارات التى كانت أهميتها غائبة عن الأذهان تسترد أهميتها المفقودة. إنها ظاهرة غريبة مضادة لقانون الاحتمالات فى العلوم الرياضية إنه فى ثلاث قضايا لم نستطع أن نجد حقيقة واحدة تقال فى جملة واحدة عن المجرم الذى ارتكب هذه الجرائم الثلاث. لابد أن نعثر على شئ. الإبرة فى كومة من القش، ولكنها موجودة لم تتبخر فى الهواء. وباستمرار البحث يجوز، أقول أن نعثر عليها». وبدا لى ما يقوله لى صديقى بوارو باهتا ومهزوزا فقال لى بوارو: «أنت لم تستوعب ذلك. إن قدراتك مثل قدرات الخادمة المحدودة التفكير».

ولكى يبرهن لى بوارو على صحة كلامه الذى لم أستسغه كثيرا أطلعنى على خطاب مكتوب بعناية بخط يشبه خط يد تلميذات المدارس وقرأت فى ذلك الخطاب ما يلى:

سيدى العزيز- آمل أنك ستغفر لى أننى سمحت لنفسى أن أكتب إليك هذا الخطاب. لقد أخذت أفكر كثيرا فى جريمتى القتل اللتين وقعتا بعد وقوع جريمة قتل خالتى المسكينة. يبدو لى أننا جميعا موجودون في قارب واحد. لقد رأيت صورة المجنى عليها الثانية الشابة الجميلة فى إحدى الصحف. ورأيت صورة أختها الشابة أيضا. ووجدت أننى مدفوعة إلى كتابة رسالة إلى أخت الشابة التى قتلت فى بيكس هيل. وذكرت لها أننى قادمة إلى لندن وقلت لها إنى مستعدة للعمل معها أو مع والدتها، وذلك باعتبار أن رأسين أفضل من رأس واحدة وأننى لا أريد أجرا كبيرا، وكل ما يهمنى هو أن نكتشف من يكون ذلك المجرم المتوحش وأن من الأفضل أن نضم ما يعرفه كل منا إلى ما يعرفه الآخر وأننا يجوز أن نصل معا إلى نتائج أفضل.

وردت على رسالتى السيدة الشابة برسالة لطيفة جدا وقالت لى أنها تعمل فى لندن وتقيم في فندق، ولكنها اقترحت أن أكتب إليك رسالة وقالت إنها كانت تفكر فى شئ يشبه ما كنت أفكر فيه، وقالت إننا نواجه نفس المشكلة وأننا يجب أن نتعاون معا. ولذلك أنا أكتب إليك يا سيدى لأقول لك: إننى قادمة إلى لندن. وهذا هو عنوانى. ولهذا آمل ألا أكون قد سببت لك أى متاعب ستجدنى دائما المخلصة لك:

ماري دروور.

وبعد أن قرأت خطاب ماري دروور قال لى بوارو: «هاستينجز أنت ذا ترى أن مارى دروور بنت ذكية جدا عبرت بطريقة عملية عن الفكرة التى لم تستطع أنت أن تستوعبها يا هاستينجز». والتقط بوارو خطابا آخر أطلعنى على بعض سطور. وكان الخطاب قد أرسله فرانكلين كلارك يقول فيه إنه قادم إلى لندن وأنه سيقوم بزيارة بوارو فى اليوم التالى لو كان لم يكن عند بوارو مانع.

وقال بوارو: «لا تيأس يا صديقى. إن العمل على وشك أن يبدأ».



الفصل الثامن عشر
بوارو يتكلم

وصل عندنا السيد فرانكلين كلارك فى الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم التالى ودخل فورا فى الموضوع دون أى لف أو دوران، فقال: «يا سيد بوارو. أنا غير راض». فقال بوارو: «لماذا يا سيد كلارك؟» فقال كلارك: «لا يخالجنى أى شك فى أن المفتش كروم ضابط كفء جدا. ولكنه بصراحة يكاد يجعلنى أنفجر من الغيظ والقنوط. وسبب ذلك هو تظاهره بأنه يعرف كل شئ على نحو أفضل من كل الناس. لقد ألمحت إلى صديقك بما يدور فى ذهنى عندما كان موجودا معى فى تشارستون. ولكن كان عندى كل شئون أخى لكى أتصرف بشأنها ولم أفرغ منها حتى الآن. وفكرتى باختصار يا سيد بوارو هى ألا نظل قابعين فى أماكننا لا نعمل شيئاً. يجب أن نتحرك وأن نعمل شيئاً».

قال بوارو: «هذا بالضبط هو ما يقوله صديقى هاستينجز». فقال كلارك: «ولكن ابدأ فى العمل فوراً من الآن. يجب أن نستعد لمواجهة الجريمة التالية». فقال بوارو: «وهكذا أنت تعتقد أنه سيكون هنالك جريمة تالية؟» فقال كلارك: «ألا تعتقد أنت ذلك؟» فقال بوارو: « بالتأكيد ستقع جريمة أخرى». فقال كلارك: «حسن جداً. إذن، أنا أريد أن ننظم أنفسنا». فقال بوارو: «قل لى فكرتك بالضبط». فقال كلارك: «أنا أقترح يا سيد بوارو نوعا من الرابطة، رابطة تعمل تحت قيادتك أنت، وتتكون من أصدقاء وأقارب الناس الذى قتلوا وكانوا ضحايا لهذا المجرم المتوحش المجنون». فقال بوارو: «هذه فكرة عظيمة جيدة». فقال فرانكلين: «أنا مسرور أنك موافق. لو وضعنا رؤوسنا جنبا إلى جنب فأنا متأكد أننا يجوز أن نحصل على شئ وعندما يصلك التحذير القادم ربما يكون أحدنا، أقول ربما يكون أحدنا قد أمكن له أن يتعرف على شخص ربما يكون قد شاهده فى مسرح جريمة سابقة».

قال بوارو: «لقد فهمت فكرتك، وأنا موافق عليها. ولكن يجب أن تتذكر يا سيد كلارك أن أقارب وأصدقاء الضحايا الآخرين ليسوا فى مستواك الاجتماعى. إنهم أناس يعملون لكى يحصلوا على خبز. يلزم كى يقيم أودهم على الرغم من أنهم يحصلون على أيام إجازة محدودة».

قال فرانكلين كلارك: «هذا صحيح. أنا الشخص الوحيد الذى تسمح لى ظروفى أن أدفع فواتير الحساب، ليس لأننى ثرى جدا، ولكن أخى مات عن ثروة ضخمة وسأحصل عليها أنا بالمصادفة. وأنا أقترح أن أتحمل تمويل أفراد الرابطة المقترحة بحيث يحصل الأعضاء فيها على كل رواتبهم التى يتقاضونها من جهات عملهم منى أنا مضافا إليها أى مصروفات تلزم لمزاولة نشاطهم معنا كمصروفات إضافية، على أن يتركوا جهات العمل التى يعملون بها ليتفرغوا لما تطلبه منهم رابطتنا التطوعية».

قال بوارو: «من تقترح أن يكونوا أعضاء فى هذه الرابطة؟» فقال كلارك: «لقد فكرت فى هذه النقطة. وفى حقيقة الأمر، أنا كتبت إلى الآنسة ميجان برنارد– وهذه الفكرة فى حقيقة الأمر هى فكرتها فى بعض أجزائها. أنا أقترح شخصى أنا، والآنسة ميجان برنارد، والسيد دونالد فريزر الذى كان

خطيبا للفتاة المقتولة بيتى برنارد. وتوجد ابنة أخت للمرأة التى قتلت فى آندوفر. والآنسة برنارد تعرف عنوانها. وأنا لا أعتقد أن زوجها يمكن أن يكون ذا نفع لنا. سمعت أنه عربيد. وأنا أيضا أعتقد أن السيد برنارد وزوجته متقدمان فى العمر ولا يصلحان للعمل معنا».

قال بوارو: «ألا يوجد أشخاص آخرون؟» فقال كلارك: «حسنا، إر، الآنسة جراى». فقال بوارو: «أوه! الآنسة جراى؟»

لا أعتقد أنه يوجد أحد فى العالم يستطيع أن يضع قدرا من السخرية فى لفظتين اثنتين كما فعل بوارو. نقص عمر كلارك ما لا يقل عن خمسة وثلاثين عامل، وارتبك، واحمر وجهه، وبدا كتلميذ متلبس فى الخطأ يقف أمام ناظر المدرسة لكى يعاقبه. وجاهد السيد كلارك ليتخلص من كل ذلك ثم قال: «نعم، أنت تعرف أن الآنسة جراى كانت تعمل مع أخى منذ حوالى عامين. إنها تعرف الريف جيدا، وتعرف الناس هناك، وتعرف كل شئ. أنا كنت خارج البلاد لمدة عام ونصف».

وحاول بوارو تغيير موضوع الآنسة جراى فقال له: «لقد كنت أنت فى الشرق؟ فى الصين؟» فقال كلارك: «نعم، كان معى توكيل لكى أشترى أشياء لأخى». فقال بوارو: «لابد أنها كانت رحلة شائقة. إية حسنا. يا سيد كلارك. أنا أوافق كل الموافقة على فكرتك. لقد كنت أقول لصديقى هاستينجز بالأمس فقط إن الاتصال بالناس الذين يعنيهم الأمر مطلوب جدا. من الضرورى أن نجمع كل المعلومات وأن نقارب بينها، ومن الضرورى أن نتكلم مع الناس مجرد أن نتكلم معهم، وأن نتكلم مرة أخرى ومرة أخرى، ومن عبارة بسيطة يجوز أن ينبثق نور كاف».

وبعد أيام قليلة اجتمع أعضاء الرابطة فى مسكن بوارو. وبينما كان كل أعضاء الرابطة يجلسون فيما يشبه الحلقة يتطلعون جميعا إلى بوارو الذى كان قد اتخذ مجلسه مثل رئيس مجلس الإدارة فى اجتماع لأعضاء مجلس إدارة على رأس المنضدة، كنت أنا نفسى أمر بعينى عليهم أراجع انطباعى عن كل منهم.

كان منظر كل من البنات الثلاث رائعا. جمال أشقر رائع تتمتع به تورا جراى. ووضوح ملامح وقوة الشخصية تمتاز بهما ميجان برنارد. وكانت مارى دروور ترتدى معطفا أنيقا أسود اللون، وكان وجهها جميلا يشع منه ذكاء واضح. وكان فرانكلين كلارك، أحد الرجلين ضخم الجسم مفرطا فى كثرة الكلام بينما كان دونالد فريزر، ثانى الرجلين متحفظا فى الكلام هادئا مما كان يشكل تناقضا ملحوظا بين هذين النمطين من أنماط الشخصية البشرية.

وزاد عنصر الفكاهة فى هذا الموقف أن بوارو لم يترك الفرصة تفلت من يديه، ونصب نفسه خطيبا، وكان خطيبا بارعا، ولقد فوجئت به يقول بطريقة خطابية بحتة:

»حضرات الآنسات، حضرات السادة: أنتم تعرفون لماذا نحن مجتمعون هنا. رجال الشرطة يبذلون قصارى جهودهم فى اقتفاء أثر المجرم. وأنا أيضا أعمل بكل جهدى من أجل نفس الغرض بطريقة أخرى خاصة بظروفى وإمكاناتى. ولكن يبدو لى أن تضافر جهود أصحاب الشأن فى هذه القضايا الثلاث الذين لهم مصلحة شخصية فى أن يروا من أساء إليهم يلقى جزاءه العادل، تضافر جهودهم يمكن أن تكون له نتائج مهمة طيبة لا يمكن أن تصل إليها التحريات التى تتم بالطريقة الرسمية المألوفة بواسطة رجال الشرطة.

»ها نحن أولاء نجد أمامنا ثلاث جرائم قتل. امرأة متقدمة فى العمر كانت الضحية الأولى، وشابة فى مقتبل العمر كانت هى الضحية الثانية، ورجل فى سن الشيخوخة كان هو الضحية الثالثة. ويوجد شئ واحد يربط هؤلاء الثلاثة برباط واحد ألا وهو حقيقة أن شخصا واحدا بعينه هو الذى قتلهم جميعا ضحية بعد الأخرى. وهذا يعنى أن نفس الشخص كان موجودا فى أماكن الجرائم الثلاثة. ومادام شخص معين قد كان موجودا فى ثلاثة أماكن مختلفة وكل منها مأهول بالناس، فلابد أن أشخاصا كثيرين قد رأوه دون أن يشعروا بخطره أو بما كان يضمره فى نفسه. لكن أشخاصا كثيرين فى أماكن متفرقة بالقطع رأوه. والاعتقاد بأن هذا الرجل المجرم إنما هو رجل مجنون موغل فى الجنون لا يستحق أى مناقشة. إن مظهره ومسلكه يدحضان تماماً هذا الزعم الخاطئ. هذا الشخص ورغم أننى أشير إليه باعتبار أنه رجل يجوز أن يكون امرأة، هذا الشخص المجرم يتصف فحسب بكل المكر الشيطانى الذى يمكن لأحد أن يتصوره. لقد نجح حتى الآن فى إخفاء مساره تماماً. ولدى رجال الشرطة بعض المعلومات الباهتة القليلة، ولكنها لا تكفى مطلقا لكى يترتب عليها أى تصرفات حاسمة.

»وبالرغم من ذلك لا أشك مطلقا فى أنه توجد بالفعل أدلة وقرائن واضحة وقوية، ولكنها تحتاج إلى مجهودات مخلصة وذكية وتتصف بالدأب لكى يمكن الوصول إليها. هذا بالطبع كلام نظرى بحت، ولكننى أقول: « نعم إنه كلام نظرى بحت ولكنه ممكن التطبيق عمليا. وأضرب لذلك مثلا، ولنأخذ كمثال نقطة واحدة من إحدى القضايا كمجرد مثال: «إن هذا السفاح لم يصل إلى منطقة بيكس هيل فى منتصف الليل لكى يجد فى انتظاره شابة جميلة يبدأ اسمها بحرف الباء تماماً كما يريد لتقول له من فضلك يا سيدى السفاح، تفضل واقتلنى خنقا!!!».

قال دونالد فريزر: «هذه ذكرى تؤلمنى». فقال بوارو: «تَجَلَّدْ يا دونالد. من الضرورى أن نبحث فى كل شئ يا سيد. أنت هنا يا دونالد لا لمجرد أن نترفق بمشاعرك وترفض مناقشة التفاصيل، تفاصيل أى موضوع يكون من الضرورى مناقشة تفاصيله، بل يجب عليك أن تفكر فى التفاصيل إلى أعمق أعماقها. كنت أقول إنها لم تكن مجرد صدفة هى التى أمدت المجرم القاتل بالضحية بيتى برنارد. لا، كان السفاح موجودا فى منطقة بيكس هيل أياما متتالية لكى يتمكن من اختيار وانتقاء ضحيته من بين آلاف الناس فى المنطقة، وأياما متتالية قضاها السفاح فى نفس المكان لكى يفكر ويخطط ويتأمل ويحكم خطته ثم يشرع فى تنفيذها. كان قد استطلع أرض مسرح الجريمة وعاش فوق أرض مسرح الجريمة أياما متتالية، ومشى بين الناس وتكلم مع الناس، واشترى أشياء من الناس، ودخل محلات عامة فى نفس المنطقة. ولكن من الناس كان يعرف أنه يخطط لارتكاب الجريمة؟ كان السفاح يدرس على مهل كل شئ. كان يسأل نفسه: ما أنسب وقت لتنفيذ الجريمة فى أندوفر؟ كيف أنفذ الجريمة فى بيكس هيل؟ ما عادات وطباع السير كارمايكل كلارك؟ وكان تدبيره محكما لدرجة أننى أقول إنه بالنسبة لى أنا شخصيا فأنا لم أجد حتى الآن أنه قد أخطأ فى شئ واحد يمكن لى أن أنفذ إليه منه حتى الآن.

»ولكننى افترض، وآمل أن يكون افتراضى صحيحاً، أن أحدكم وربما كل منكم يعرف شيئا فى هذه القضايا وهو لا يعرف أنه يعرف شيئا مهما يمكن أن يكون مفتاحا يفتح مغاليق كل القضايا دفعة واحدة.

»عاجلا أو آجلا، حضرات الآنسات حضرات السادة، وبفضل تعاونكم سويا، سيبرز شئ فى مجال الضوء وسيكون له شأن يفوق الأحلام. المسألة تشبه حل الكلمات المتقاطعة، يبدو حلها مستعصيا فى

البداية لكثرة الاحتمالات وصعوبة الاختيار، ولكن بمجرد اليقين من صحة كلمة واحدة تتوالى الكلمات، وبتوالى الكلمات يسهل حل المسألة ويتم وضع كل الحروف فى أماكنها كلها».

قال ميجان برنارد: «كلمات!» فقال لها بوارو: «ماذا تقولين يا آنسة؟» فقالت: «ما كنت أنت تقوله إنما هو مجرد كلمات جوفاء. وهذه الكلمات الجوفاء لا تعنى أى شئ».

كانت ميجان برنارد تتكلم بجرأة شديدة فى التفكير جعلتنى أزداد إعجابا بقوة شخصيتها، ولكن بوارو لم يضعف ولم يتوان فى الدفاع الفعال عن وجهة نظره ولذلك قال: «الكلمات يا آنسة هى الغلاف الوحيد للأفكار».

وقال مارى دروور: «حسنا، أنا أعتقد أن هذا معقول أنا أعتقد هذا حقا يا آنسة. فى كثير من الأحيان عندما تتكلمين عن موضوع بوضوح يتضح أمامك طريق التصرف الصحيح بشأنه. يتشكل الحق فى عقلك أحيانا دون أن تدركى كيفية ذلك. التكلم يفضى إلى الوصول إلى نتائج تؤدى بنا إلى السير فى هذا الطريق أو ذاك».

وقال فرانكلين كلارك: « عندما نتكلم أقل كلام يمكننا الإصلاح أسرع إصلاح». والتفت بوارو نحو دونالد فريزر وقال له: «وأنت، ماذا تقول يا سيد فريزر؟» فقال دونالد: «أنا إلى حد ما أشك فى إمكانية التطبيق العملى لما تقوله يا سيد بوارو».

وقال فرانكلين كلارك: «ما رأيك يا تورا؟» فقالت: «أنا أعتقد أن مبدأ التكلم لمناقشة الأمور مبدأ سليم دائما».

قال بوارو: «فلنفترض أن كل واحد منكم سيحاول عمليا الآن كمجرد محاولة للتحقق من إمكانية تطبيق الفكرة عمليا كما يقول السيد دونالد فريزر، ولو أننا بدأنا بالسيد فرانكلين كلارك ماذا تقول يا سيد كلارك عن أحداث اليوم الذى قتل فيه أخوك بصدق مع التركيز على أدق التفاصيل ولو كانت تافهة معدومة الدلالة من وجهة نظرك؟».

قال كلارك: «هيا نجرب. فى صباح اليوم الذى قتل فيه أخى كار كنت قد خرجت فى قارب صغير إلى البحر. اصطدت ثمانية من سمك الماكريل كان الجو جميلا على سطح البحر فى الخليج الصغير تناولت الغداء بالمنزل. بمصيدة أيرلندية فيما أتذكر. ونمت فى الشرفة. وصحوت وتناولت الشاى. وكتبت بعض الخطابات. وذهبت إلى بادنجتون لكى أضعها فى صندوق البريد. وتناولت العشاء وقرأت كتابات أدب الرحلات وهو ما يستهوينى دائما وأبحث عنه فى ثنايا المكتبات ثم دق جرس التليفون وجاءنى خبر--».

قال بوارو: «لا. هذا غير كاف. لقد أهملت بالقطع ذكر كثير من التفاصيل والجزئيات البسيطة. فكر الآن يا سيد كلارك. لم يقابلك أى شخص وأنت ذاهب إلى البحر؟» فقال كلارك: «قابلنى الكثير من الناس». فقال بوارو: «أنت لم تذكر ذلك فى روايتك الأولى. هل تستطيع أن تتذكر أى شئ لفت نظرك عن أى شخص ممن قابلوك فى الصباح؟» فقال كلارك: «لا أشياء متميزة». قال بوارو: «هل أنت متأكد؟» فقال كلارك: «حسنا. بدأت أتذكر. أتذكر أننى قابلت امرأة بدينة. كانت ترتدى ثوبا من الحرير المخطط. وتساءلت لماذا ترتدى هذا الثوب المخطط. كان معها ولدان. وكان هناك شابان يطاردان ثعلبا ويقذفانه بالطوب. وكانت فى الماء فتاة شعرها أصفر. ظريف جدا أن يسترجع الإنسان المناظر كما

يحدث عند تحميض الأفلام وتبدأ الصور بألوانها الطبيعية فى الظهور».

قال بوارو: «هذه محاولة جيدة. والآن ماذا عن الذهاب إلى مكتب البريد؟ اذكر كل ما تستطيع عن التفاصيل ولو كانت صغيرة جدا». فقال كلارك: «كان البستانى يسقى الورد ومختلف النباتات. وبدأت الذهاب إلى مكتب البريد. كدت اصطدم تقريبا بشخص يركب دراجة- وكانت هناك امرأة سخيفة تشتم وتصيح فى وجه رجل- هذا هو كل ما أتذكره فى الطريق إلى مكتب البريد».

والتفت بوارو نحو تورا جراى وقال: «الآنسة تورا جراى». فقالت تورا فى صوتها الهادئ الجميل: «كتبت المراسلات بحضور السيد كارمايكل فى الصباح. رأيت مديرة المنزل. كتبت خطابات وقمت بعمل بعض أشغال الإبرة فى وقت الظهيرة. أتخيل أنه من الصعب أن أتذكر. كان يوما عاديا تماماً. ذهبت إلى الفراش فى وقت مبكر».

واندهشت جدا أن بوارو لم يسألها عن أى تفاصيل أخرى إذ أنه قال: «الآنسة ميجان برنارد. هل تستطيعين أن تذكرى لنا بالتحديد تفاصيل آخر لقاء لكى مع أختك بيتى برنارد فى آخر لقاء لك معها؟» فقالت ميجان برنارد: « كان ذلك قبل أسبوعين من موتها. كانت فى إجازة يوم السبت ويوم والأحد. كان الجو جميلا. ذهبنا إلى حمام للسباحة فى هاستينجس». فقال لها بوارو: «وفيما كنتما تتكلمان معظم الوقت؟» فقالت ميجان: «لقد كنت أحاول أن أعطى لأختى قطعة من عقلى لكى تضيفها إلى عقلها». وقال لها بوارو: «وماذا أيضا؟ فيما كانت هى تجادلك؟» وبعد شئ من التفكير قالت: «كانت هى تقول إنها تعمل وتكسب، وإنها قد اشترت حديثا ثوبين من موضة الشوال. وكانت تتكلم قليلا عن خطيبها دونالد- وقالت إنها كانت تكره زميلتها هيجلى- وكانت تسخر من صاحبة المحل مريون، وكنا نضحك من وصف أختى لبعض تصرفاتها- ولا أتذكر أى شئ آخر». فقال لها بوارو: «ألم تذكر أى شخص آخر؟ أى رجل؟ ألم تتحدث عن مقابلاتها مع السيد دونالد فريزر؟» فقات ميجان بجفاء: « لم تكن تحدثنى عن ذلك».

وكانت ميجان قد أخبرتنا، بوارو وأنا الكثير عن تفاصيل الخلافات بين أختها وخطيبها دونالد فريزر فى أول لقاء لنا معها فى مطبخ منزلهم، وعجبت أنها قد طوت هذه الصفحة بعنف مع أنها كانت تعرف أن بوارو يعرف تفاصيلها وكذلك أعرف أنا تفاصيلها ومنها هى شخصيا، ولكن بوارو تغاضى تماماً عن ذلك، والتفت بوارو نحو الشاب ذى الشعر الأحمر دونالد فريزر وقال: « يا سيد فريزر، أريد أن تعود بذاكرتك إلى الوراء. أنت قد ذهبت إلى المقهى فى مساء اليوم الذى حدثت فيه المأساة. وكان قصدك الأساسى هو أن تنتظر خروج بيتى دونالد بعد الانتهاء من العمل. هل شاهدت شخصا يلفت نظرك لأى سبب؟» فقال دونالد فريزر: «كان هناك عدد كبير جدا من الناس يمشون فى الشارع أمام المحل. أنا لا أستطيع أن أتذكر أى واحد منهم». فقال بوارو: «معذرة، ولكن حاول. مهما يكن الذهن مشغولا فالعين ترى بطريق آلية بحتة. ألا تستطيع أن تتذكر أنه قد لفت نظرك شخص حدقت أنت ملامحه أكثر من غيره من الناس؟» فقال الشاب بعناد: «أنا لا أتذكر أى شخص».

وتنهد بوارو والتفت نحو مارى دروور وقال لها: «أنا أعتقد أنك كنت تتلقين بعض الرسائل من خالتك؟» فقالت: «أوه، نعم يا سيدى». فقال بوارو: «متى وصلك آخر خطاب منها؟» فقالت: «قبل يومين من مصرعها». قال بوارو: «ماذا كتبت لك فى هذا الخطاب؟» فقالت مارى دروور: «هى قالت

إن الشيطان العجوز كان قد حضر يحوم حولها وأنها قد صرفته بعد أن وضعت برغوثا فى أذنه- معذرة عن هذا التعبير الذى فهمت منه أنها كانت قد أعطته مبلغا صغيرا من النقود، أخذه وانصرف عنها. وقالت إنها كانت تنتظر وصولى عندها يوم الأربعاء، وهو يوم إجازتى من العمل يا سيدى. وقالت إنها ستأخذنى إلى النادى. كان ذلك سيوافق يوم عيد ميلادى أيضا يا سيدى».

قال لها فرانكلين كلارك: «أنا متفهم لمشاعرك. إن الهدايا الصغيرة تكون لها قيمة كبيرة فى هذه المناسبة. لقد رأيت ذات مرة فيما أذكر أننى قد شاهدت امرأة تصدمها سيارة فى الشارع. كانت قد اشترت توا حذاء جديداً لطفل. وكانت ترقد مهشمة فى الشارع وبجوار منها الصندوق الصغير المهشم وقد برز منه زوج من الأحذية الصغيرة. كان المنظر مؤثرا جدا، ولا أستطيع أن أنساه طوال حياتى».

وقالت ميجان : «هذا صحيح. هذا صحيح بفظاعة. نفس الشئ حدث بعد أن ماتت أختى بيتى. كانت أمى قد اشترت قبل موتها مباشرة زوجا من الجوارب من بائع جوال خصيصا من أجل بيتى. وعندما علمت أمى بموت بيتى، كان هذا الزوج من الجوارب مصدرا لكثير من بكائها. كانت تحضره وتضعه أمامها وتخاطبه وتقول له اشتريتك من أجل بيتى ولم تلبسك بيتى. ماتت بيتى الجميلة. ماتت ابنتى الجميلة... ثم تبكى أمى بحرارة. وبعد أن تشبع من البكاء تعيد الجوارب إلى مكانها بحرص وعناية لتستعيدها بعد فترة كلما أرادت أن تبكى. وحاولت أن أخفى الجوارب عنها، ولكنها أجبرتنى على أن أعيدها إليها».

ونظرت ميجان نحو فرانكلين كلارك كما لو كانت تقول له ألم يذكرك شئ من الأشياء بموت أخيك بوجه خاص وأنت قد تعرضت لما تعرضنا له، وقال فرانكلين: «أنا أعرف. أنا أعرف بالضبط هذه المشاعر. هذه الأشياء الصغيرة هى الجحيم عندما نتذكره».

وتململ دونالد فريزر فى جلسته. وحاولت تورا جراى أن تغير مسار الكلام إلى موضوع آخر فقالت: «هل نحن لن نحاول أن نعمل أى خطط- خطط للمستقبل؟» فقال فرانكلين كلارك وقد استرد هدوءه تماماً: «بالطبع. أعتقد أنه عندما ستأتى اللحظة المناسبة، أقصد عندما يصل الخطاب الرابع، فمن الضرورى أن نكون مستعدين تماماً، وأن نجمع كل قوانا. وحتى تحين هذه اللحظة يمكن لكل منا أن يجرب حظه فى جمع المعلومات قدر استطاعته. وأنا لا أعرف ما إذا كانت هنالك نقاط معينة يحب السيد بوارو أن نركز عليها فى مجال جمع المعلومات».

قال بوارو أستطيع أن أقدم بعض الاقتراحات». فقال فرانكلين: «حسنا، أنا سأقوم بتدوين هذه الاقتراحات كتابيا. تفضل يا سيد بوارو». ومسك فرانكلين ورقة وقلما، وقال: «النقطة أ» فقال بوارو: «أعتقد أن تلك الجرسونة فى المقهى، ميلى هيجلى، يجوز أنها تعرف بعض الأشياء». فكتب فرانكلين اسم ميلى هيجلى بجوار حرف الألف. فقال بوارو: «أنا أقترح محورين للاقتراب من ميلى هيجلى. أنت يا آنسة ميجان برنارد ستعملين على المحور الهجومى». فقالت ميجان: «أعتقد أنك تعتقد أن هذا يتسق مع طبيعة شخصيتى؟» فقال بوارو: «افتعلى مشاجرة معها. قولى لها أنك تعرفين أنها لم تكن تحب أختك، وأنها تطلق إشاعات كاذبة عن علاقات عاطفية لأختك مع رجال كثيرين. قولى لها إنك تتحدينها أن تذكر لك أسماء أولئك الرجال التى تدعى هى أنهم كانوا يحضرون إلى أختك فى المحل أو يخرجون معها بعد انتهاء العمل. اطلبى منها على سبيل التحدى أن تصف ملابسهم أو ملامحهم بعض

الحقائق النافعة ربما تظهر من خلال هذا الصدام العنيف».

قال فرانكلين: «والطريقة الثانية على المحور الثاني؟» فقال بوارو: «الاقتراب الودى. هل يجوز لى أن أقترح يا سيد دونالد فريزر أن تقوم أنت بمحاولة إظهار الإعجاب بالآنسة هيجلى وتحاول أن توهمها أنك لم تكن تحب بيتى حبا حقيقيا بل أنت تحبها هى. حاول أن تجعلها تتكلم عن مساؤى بيتى». فقال دونالد: «هل هذا ضرورى؟» فقال بوارو: «لا. ليس هذا ضروريا. إنه فقط طريقة ممكنة يمكن أن نصطنعها اصطناعا لمحاولة الوصول إلى أى معلومة ربما تكون مفيدة لنا». قال فرانكلين كلارك: «هل يمكن أن أمد يد العون أنا أيضا؟ إن لى باعاً طويلا فى هذا المجال يا سيد بوارو. هل أتعامل أنا مع صاحبة المحل؟» فقالت تورا جراى بحدة: «أنت عندك مشاغل كثيرة عليك أن تباشرها ولا وقت عندك لأى شئ من هذا النوع». وطأطأ فرانكلين رأسه وقال: «آه، نعم، أنا عندى مشاغل كثيرة بالفعل».

قال بوارو: «فى نفس الوقت أنا أعتقد أن هناك الكثير لكى تعمله والآنسة تورا جراى ستكون أيضا فى مساعدتك ولن يكون عندها وقت بالتالى للاضطلاع بأى مساهمة معنا». فقالت تورا جراى : «ولكنك تعلم يا سيدى بوارو أننى قد تركت العمل فى منزل السيد كلارك منذ بعض الوقت». فقال بوارو: «آه، هل هذا صحيح؟» فقال فرانكلين كلارك: «لقد بقيت الآنسة جراى معنا بعض الوقت لتوضيح بعض الأمور ولكنها قالت إنها تفضل العمل فى لندن».

وجعل بوارو يحدق النظر فيهما أحدهما بعد الآخر، ثم سأل قائلا: «وكيف حال الليدى كلارك؟» ولقد كنت أعجب من التغيير الذى حدث فى لون وجه تورا جراى عندما سمعت اسم الليدى كلارك لدرجة أننى كدت لا أنتبه للكلام الذى رد به فرانكلين كلارك على بوارو إلا بجهد جهيد إذ سمعته يقول: «حالتها سيئة جدا. وعلى فكرة يا سيد بوارو. اسمح لى أن أسألك ما إذا كنت تستطيع أن تتفضل بالذهاب إلى ديفون لكى تزور الليدى جراى كانت قد ألحت فى أن أبلغك أنها تريد أن تراك. ربما تكون حالتها الصحية لا تسمح لها برؤية أحد لمدة يومين مثلا، ولكن أرجو أن تسمح حالتها الصحية بأن تقابلك لو تفضلت بالمخاطرة بالذهاب إليها». فقال بوارو: «بالتأكيد سأبذل قصارى جهدى لكى أزورها يا سيد كلارك. هل يمكن أن نقول بعد غد مثلا؟» فقال فرانكلين: «حسنا، سأخبر الممرضة لكى تستعد لذلك وتهتم بحالتها الصحية بحيث تسمح حالتها الصحية بمقابلتك. إنها تأخذ أدوية شديدة التأثير».

والتفت بوارو نحو مارى دروور وقال لها: «أما أنت يا بنيتي فستعملين فى آندوفر. جربى العمل مع الأطفال الصغار». فقالت مارى: «الأطفال الصغار؟» فقال بوارو: «نعم. الأطفال الصغار يسهل عليهم أن يتحدثوا على نحو طبيعى جدا مع أى شخص يلاطفهم. وأنت معروفة فى المنطقة التى كانت تعيش فيها خالتك. وكان هناك أطفال كثيرون يلعبون حولها. ويجوز أن يكون قد لفت أنظارهم أى رجل دخل أو خرج من المحل».

قال فرانكلين كلارك: «ماذا بشأن الآنسة جراى وأنا وذلك ما دمت لن أذهب إلى بيكس هيل؟» فقالت تورا جراى: «يا سيد بوارو. ماذا كان خاتم البريد الموجود على الخطاب الثالث الذى وصل عندك؟» فقال بوارو: «بوتنى يا آنسة». فقالت تورا جراى: «س.و١٥, بوتنى. هذا صحيح، أليس كذلك؟» فقال بوارو: «يكاد يكون هذا هو الشئ الوحيد الذى نقلته الصحف عنى». فقالت تورا

جراى: «من حيث المظهر الخارجى، نعم». ففال فرانكلين: «هل من الممكن أن نعمل إعلانا فى الصحف؟ إعلانا يقول مثلا: «أيها القاتل حسب الحروف الأبجدية. هذه رسالة عاجلة إليك هـ. ب. يعرفك. ادفع مائة جنيه من أجل أن أظل صامتا. أنت تعرفنى أنا و.ى. تعال وادفع وإلا...». فقال بوارو: «هذا ممكن. حاول ذلك. أنا أعتقد شخصيا أن المجرم لن يعبأ، وسيعبأ الجمهور ويهتم بهذا الإعلان ويسأل الصحيفة عن الشخص الذى دفع تكاليفه مع كثير من الإلحاح. إننى أعتقد يا سيد كلارك، وأرجو أن تسامحنى فى استخدام هذا التعبير أنت لا تزال شاب القلب». وشعر كلارك بشيء من الحرج. وقال: «حسنا. لقد دونت كل المطلوب. لقد بدأنا. والمطلوب هو:

أ- الآنسة ميجان برنارد تتعامل مع ميلى هيجلى.

ب- السيد فريزر يتعامل أيضا مع ميلى هيجلى.

ج- الآنسة مارى تتعامل مع الأطفال فى آندوفر.

د- الإعلان.

ثم أردف فرانكلين قائلا: « أنا أعرف أن هذا الإعلان لن تكون له أى فائدة، ولكنه ربما يحدث فرقعة ويزعج المجرم». ونهض السيد فرانكلين عن مقعده، ونهض الآخرون، وانتهى الاجتماع الأول لأعضاء الرابطة.



الفصل التاسع عشر
عن طريق السويد

عاد بوارو إلى الجلوس على مقعده الذى تعود على الجلوس عليه وأخذ يتمتم بالكلمات غير المفهومة بصوت خفيض جدا. وبعد ذلك قال لنفسه أيضا ولكننى سمعته بصعوبة وهو يقول: «للأسف إنها ذكية جدا» قلت: «من؟» قال: «ميجان برنارد. الآنسة ميجان برنارد. تتهكم قائلة: «كلمات!» إنها تكتشف بسرعة أن كل ما كُنت أقوله كان كلاماً عبثيا لا دلالة محددة له. وكان كل الموجودين قد جازت عليهم اللعبة الكلامية فيما عدا ميجان برنارد».

قلت: «أنا نفسى كنت أظنك جاداً فيما تقول. كيف تقول أنك لم تكن جادا؟» فقال بوارو: «كان ذلك لكى أجعل الأمور تسير فى مجراها المرسوم لها، ولكى أوهم كل شخص أن لديه ما يعمله، وليظل على اتصال بنا، ولتبدأ المحادثة».

قلت: «ألا تظن أن أى خط من هذه الخطوط يمكن أن يفضى إلى أى شئ؟» فقال بوارو: «إن هذا جائز دائما». وفكر بوارو قليلا من الوقت ثم قال: «فى صميم قلب المأساة تبدأ الملهاة. هذه طبيعة الأمور، أليس كذلك؟»

قلت: «ماذا تعنى؟» فقال بوارو: «مأساة الإنسان عموما يا هاستينجز! فكر ولو دقيقة واحدة. هذه ثلاث نوعيات من الكائنات البشرية جمعت بينهم مأساة من نوع واحد. وتبدأ مأساة أخرى تتمثل فى

كيفية تعامل كل منهم مع المأساة التى وقعت. هل تتذكر أول قضية باشرنا العمل بها فى إنجلترا؟ أوه، مضى عليها سنوات كثيرة الآن. جمعت بين شخصين يحب كل منهما الآخر بأن جعلتهما بحيث يتم القبض عليهما سويا فى أثناء التحقيق فى إحدى الجرائم. ولم يكن هنالك شئ أقل من ذلك ليوحد بين هذين القلبين اللذين كانا متنافرين. جرائم القتل تؤلف فى كثير من الأحيان بين القلوب التى ربما تكون متنافرة».

قلت: «ما هذا الذى تقول يا بوارو؟ انصرفوا كلهم ولم يبق معك إلا أنا». فقال بوارو حتى أنت ينطبق عليك نفس الكلام». قلت: «ابدأ الكلام معى بجدية ولو لمدة دقيقة واحدة يا بوارو، وقل لى كيف ينطبق الكلام الذى لا معنى له الذى تقوله بالنسبة لى أنا أيضا؟» فقال بوارو: «ولكن، نعم ما أقوله من كلام لا معنى له ينطبق عليك شخصياً تمام الانطباق بعد أن انصرفوا جميعا، بعد أن ودعتهم عند الباب وأنت تنشد نشيدا جميلا مشهورا».

قلت: «قد ينشد الإنسان لمجرد أنه ليس متحجر القلب وليس متبلد الأحاسيس والمشاعر». فقال بوارو: «صحيح، ولكن هذا النشيد الذى كنت أنت تردده بالذات جعلنى أستنتج حقيقة معينة». قلت: «هل هذا صحيح؟» فقال بوارو: «مجرد أن يقفز هذا النشيد بالذات إلى شفتيك تلقائيا له دلالة معينة عندى. إنه واحد من الأناشيد التى أذيعت وذاعت أثناء الحرب.

واستطرد بوارو قائلاً: «ماذا يكون أكثر دلالة من هذا النشيد؟ ولماذا لم تدندن بأى شئ آخر؟ إننى أعتقد أن الشقراء قد تغلبت على السمراء». فقلت: «هذا صحيح يا بوارو. الشقراء هى التى فازت». فقال بوارو: «هذا طبيعى جدا. هل رأيت كيف كان فرانكلين كلارك متعاطفا جدا مع الآنسة ميجان؟ وهل لاحظت كيف كانت الآنسة تورا جراى قد تضايقت عندما أراد أن يذهب إلى المقهى مع ميجان وصممت على أن تمنعه من الذهاب معها؟ هل أدركت أن دونالد فريزر--» فقلت يا بوارو: «أنت تحمل بوصلة توضح الاتجاهات العاطفية داخل رأسك العجيب». فقال بوارو: «هذا هو آخر شئ يلتفت إليه عقلى. أنت يا هاستينجز الذى تغلبك العواطف».

وكنت على وشك أن أرد له الصاع صاعين، ولكن فوجئت بأن الباب قد فتح ودخلت تورا جراى، وهى تقول : «سامحنى لاضطرارى إلى العودة يا سيد بوارو يوجد شئ أحب أن أخبرك به». فقال بوارو: «بالتأكيد يا آنسة، تفضلى بالجلوس».

جلست وترددت قليلا كما لو كانت تحاول أن تنتخب الكلمات ثم قالت: «إنه يتركز فى هذه النقطة. لقد أعطاك السيد فرانكلين فكرة عن أننى قد تركت العمل فى قصر كومبسايد بمحض إرادتى واختيارى. لقد كان ذلك عطفا من جانبه وتكرما. ولكن المسألة لم تكن بالضبط على هذا النحو كما صورها لك. لقد كنت أنا أريد البقاء- توجد كمية من العمل بشأن مجموعات التحف والآثار. ولقد كانت الليدى كلارك هى التى أصرت على أن أترك العمل فورا. وأنا أستطيع أن أتسامح إنها امرأة مريضة جدا، مخها يتأثر بسبب الأدوية المخدرة الكثيرة التى تتعاطاها نزولا على مقتضيات علاجها، ولكن هذه الأدوية تؤثر على مخها، وهذه الأدوية تجعلها متشككة وخيالية تتصور الأوهام كحقائق. لقد تولدت عندها كراهية لا تناقش تجاهى وأصرت على أن أترك المنزل».

ولم يسعنى سوى أن أعجب بشجاعة الفتاة وحرصها على تصويب الأمور ووضع الأمور فى

نصابها. لم تشأ أن تدع أى تمويه على حقيقة من الحقائق التى تتصل بها يمر دون تصويب صارم. كان قلبى معها إعجاباً وتعاطفاً. ولم أستطع أن أمنع نفسى من التعبير عن مشاعرى هذه فقلت لها: «أنا أعتبر أن هذه عظمة لشخصيتك أن تحضرى وتخطرينا بهذه الحقيقة». فقالت: «من الأفضل أن تقول الحقيقة دائما. وأنا لا أريد أن أختبئ وراء فروسية السيد فرانكلين. إنه رجل يحب الفروسية». وكان من الواضح لى أنها معجبة به.

قال بوارو: «إنك فى غاية الأمانة والصدق مع النفس ومع الآخرين يا آنسة». فقالت تورا جراى: «لقد كانت هذه ضربة لى. أنا لا أعرف لماذا تكرهنى الليدى كلارك إلى هذا الحد. كنت أعتقد أنها كانت فى الحقيقة تحبنى ثم قلبت لى فجأة ظهر المجن. يعيش الإنسان ليتعلم».

ونهضت تورا جراى واقفة وقالت: «هذا هو كل ما رجعت لكى أقوله». وصحبتها ونزلت معها السلم حتى الباب الخارجى.

وعندما رجعت إلى بوارو وقلت له: «أنا أعتبر أن هذه روح رياضية ممتازة من جانب الفتاة السويدية الشقراء على الرغم من أنها لم تأت من طريق عدن. هذه البنت الشقراء شجاعة». فقال بوارو: «وصافى الحساب؟» فقلت: «صافى الحساب؟ ماذا تقصد؟» فقال: «أقصد أن عندها القدرة على النظر إلى الأمام». فقلت له: «إنها فى حقيقة الأمر بنت جميلة». فقال: «وهى ترتدى ملابس جميلة أيضا. كريب موريكان من أفخر أنواع الأقمشة، يعلوه كول ضخم من فراء الثعلب الفضى، أغلى أنواع الفراء فى ملابس السيدات، تفصيل وفقا لآخر صيحة فى أحدث موضة». قلت: «أنا لا أهتم مثلك بملابس النساء». فقال بوارو: «فى مناقشات اليوم يا هاستينجز قيل لى شئ له دلالة كبيرة. أنا لا أستطيع أن أحدده لقد حدث مجرد انطباع عام فى ذهنى. يذكرنى بشئ كنت قد سمعته من قبل، منذ وقت طويل، بعد أول جريمة قتل فى هذه القضية». فقلت: «شئ فى تشارستون؟» فقال بوارو: «لا، شئ قبل تشارستون بكثير.... لا يهم الآن يا هاستينجز. سيأتى من تلقاء نفسه فيما بعد».

ونظر بوارو نحوى، وضحك كثيرا.. كثيرا.



الفصل العشرون
الليدى كلارك

كان هنالك جو من الهدوء العميق والكآبة يحيط بقصر كومبسايد عندما زرناه للمرة الثانية. وربما كان ذلك يرجع إلى حالة الطقس فى ذلك اليوم من شهر سبتمبر بكل ما كان فيه من حرارة ورطوبة عالية جدا، وربما كان ذلك يرجع أيضا إلى حالة الإغلاق شبه المستديمة لأبواب ونوافذ القصر، وكانت الحجرة التى أرشدونا للدخول إليها رطبة قليلة الهواء. وجاءت إلينا ممرضة تبدو أمارات الاقتدار فى مهنة التمريض على ملامحها وهى تفرد طيات كميها على رسغى يديها وقالت: «هل أنت السيد بوارو؟ أنا الممرضة كابستيك ولقد وصلنى خطاب من السيد كلارك يقول إنكما قادمان لزيارة الليدى كلارك».

واستفسر منها بوارو عن الحالة الصحية لليدى كلارك فقالت: «ليست سيئة جدا فى حقيقية الأمر. وكل شئ نضعه فى الحسبان». وفهمت من ذلك أنها ستموت قريبا.

واستطردت الممرضة تقول لنا: «لا نستطيع أن نأمل فى تحسن كبير بالطبع، ولكن علاجا جديدا قد جعل الأمور أكثر سهولة بالنسبة لها. والدكتور لوجان الذى يشرف على علاجها مسرور جدا من حالتها».

قال بوارو: «ولكن، هل صحيح أم أنه غير صحيح أنها لن تشفى أبدا؟» فقالت: «أوه، نحن لا نحسم هذه المسألة أبدا».

قال بوارو: «أظن أن موت زوجها كان صدمة شديدة لها؟» فقالت: «أوه، حسنا يا سيد بوارو. لو استطعت أن تفهم قصدى بالضبط، فأنا أريد أن أقول إن الصدمة لم تكن صدمة كبيرة بالنسبة لها فى حالتها الصحية هذه كما لو كانت قد تلقت الصدمة فى كامل صحتها ومتمالكة لكل قواها. كل الأمور عليها نوع من التعتيم فى مدارك الليدى كلارك بسبب المرض والألم وتأثير الأدوية».

قال بوارو معذرة فى هذا السؤال: «هل كانت تحب زوجها وكان زوجها يحبها حبا كثيرا؟» فقالت: «أوه، يبدو لى أنهما كانا زوجين متحابين. ويدل على ذلك أنه لم ينبذها ولم يهملها فى مرضها، بل على العكس من ذلك، كان اهتمامه بعلاجها يفوق ما يبذله أى رجل لعلاج زوجته المريضة. يا للرجل المسكين! لقى مصيرا فظيعا لم يكن يستحقه. ولكن الطبيب يعرف حقيقة مرض الليدى كلارك. والطبيب لا يستطيع أن يأمل فيما يعرف أنه لا أمل فيه. أخشى أن الطبيب مقتنع تماماً بهذه الفكرة».

قال بوارو: «أنا يهمنى أن أبدأ بالاستفسار منك عن المدة الزمنية التى تظل فيها الليدى كلارك على قيد الحياة، هل سيطول بها العمر على الرغم من المرض؟ ويهمنى بعد ذلك أن أسأل عن أثر خطورة مرضها على الحالة النفسية لزوجها. كيف كان يشعر نحوها؟» فقالت: «أوه، كل شئ جائز. والناس يتكيفون بمرور الوقت مع الظروف القهرية. وكانت لديه مجموعات من التحف والآثار، ولقد كان قد اعتاد أن يهرع إلى المزادات التى تبيع هذه التحف والآثار. كانت عنده هذه الهواية الكبيرة. وكان هو والآنسة جراى يقضيان وقتا طويلا فى العناية بها وترتيبها، ثم إعادة ترتيبها، وكتابة بيانات مطولة عنها فى متحفه الخاص الضخم الكثير المحتويات».

قال بوارو: «آه، نعم الآنسة جراى، لقد تركت العمل. ألم تترك العمل؟» فقالت الممرضة: «نعم. أنا آسفة جدا لذلك. ولكن سيدات القصور تسيطر عليهن الخيالات فى بعض الأحيان عندما تتدهور حالتهن الصحية. ولا يمكن الجدال معهن ولا يجدى أبدا. ومن الأفضل الاستسلام لرغباتهن فى كل ما يرغبن سواء كانت رغباتهن معقولة أو غير معقولة».

قال بوارو: «هل كانت الليدى جراى تكرهها دائما؟» فقالت: «لا، لا يمكن القول إنها كانت تكرها دائما. أعتقد أنها كانت تحبها من قبل ولمدة طويلة كانت تحبها وتعطف عليها. يلزمنى أن أتوقف عن التخمين والكلام فى شئون الآخرين. المريضة التى ألازمها ستعجب بسبب ما يحدث منا». وكانت هذه إشارة منها إلى أنها لا تريد أن تقول أكثر مما قالت.

ومشت أمامنا تصعد درجات السلم إلى حجرة فى الطابق الأول. كانت الحجرة فى البداية تستخدم كحجرة للنوم، ثم تحولت الآن لتصبح حجرة للاستقبال.

كانت الليدى كلارك تجلس فى كرسى كبير ذى مساند بجوار النافذة. كانت نحيلة الجسم بدرجة مخيفة. وكان وجهها تبدو عليه أمارات المعاناة للآلام الكبيرة.وكانت لا تزال تحتفظ بنظرات طويلة المدى حالمة. ولاحظت أن حدقتي عينيها كانتا صغيرتين جدا.

قال الممرضة كابيستك بصوتها العالي الذى حاولت أن تجعله صوتا مبهجا: «هذا هو السيد بوارو الذى كنت تريدين أن تقابليه». فقال: «أوه، نعم، السيد بوارو». ومدت يدها. فقال لها بوارو: «معى صديقى الكابتن هاستينجز». فقالت: «كيف حالكما؟. فضل كبير منكما أن تفضلتما بالحضور».

وجلسنا حيث أشارت لنا بيدها إشارة واهنة. وساد بعض الصمت. كان يبدو لى أن الليدى كلارك قد استسلمت لحلم طويل كان يشغل خيالها ولا تحس بوجودنا. ولكن، الآن، وبمحاولة واضحة استعادت قواها وتخلصت من سيطرة الحلم على مداركها.

قال لها بوارو: «الموضوع بخصوص كارمايكل، أليس كذلك؟ بخصوص وفاته، أليس كذلك؟» وتنهدت، ولكنها لا تزال فى وادٍ بعيد، وهزت رأسها، وأخيرا تمكنت من أن تقول: «لم نكن نعتقد أبدا أن الأمور ستسير هذا المسار... كنت متأكدة جدا أننى أنا التى ستذهب أولا... كان كار قويا جدا. كان رائعا طوال حياته. لم يمرض أبدا. كان فى حوالى الستين من العمر- ولكن كان يبدو كما لو كان فى الخمسين من العمر فقط... نعم... قوى جدا...».

وعادت إلى هيئتها الحالمة مرة أخرى. ولم يقل بوارو شيئا. وقالت الليدى كلارك فجأة ودون أن يحثها أحد على الكلام: «نعم- نعم- كان حسنا منكما أن أتيتما. أنا أخبرت فرانكلين وهو قال إنه لن ينسى أن يخبرك. آمل ألا يتصرف فرانكلين تصرفا فيه حماقة... من السهل التغرير به بالرغم من تجواله فى العالم كثيرا. هكذا الرجال... إنهم يظلون أطفالا للنساء... خصوصا فرانكلين». فقال بوارو: « هل هو مندفع بطبعه؟» فقالت: «نعم. نعم. مندفع بطبعه، ومندفع جدا. ويحب أن يظهر دائما نوعا من الفروسية. ومن هنا تدخل الحماقة فى تصرفات الرجال. حتى كارمايكل... » وغاص صوتها.

وبعد قليل هزت رأسها وقالت: «كل شئ باهت اللون... جسم الإنسان مصدر للقلق المستمر يا سيد بوارو خصوصا عندما تكون للجسم اليد العليا- لا شئ بعد هذا يهم...» فقال بوارو: «أنا أعرف ذلك يا ليدى كلارك. هذه واحدة من مآسى هذه الحياة». فقالت: «إنها تجعلنى غبية لدرجة أننى لا أستطيع حتى أن أتذكر فيم كنت أريد أن أتكلم معك». فقال بوارو: «هل كان ذلك شأنا يتعلق بوفاة زوجك؟» فقالت: «وفاة كار؟ نعم ربما... مجنون، إنسان مسكين، ذلك القاتل. الدنيا كلها ضجيج وسرعة فى هذه الأيام- الناس لا يستطيعون أن يوقفوها - لقد كنت دائما آسف من أجل الناس المجانين- من الضرورى أن رؤوسهم لابد أن تكون غريبة التكوين... وجودهم فى مكان مغلق عليهم فظيع جدا. ولكن ماذا يمكن أن نفعله غير وضعهم فى مكان مغلق عليهم لو قتلوا الناس...؟» وهزت رأسها ثم سألت: «ألم تمسك به حتى الآن؟» فقال بوارو: «لا، حتى الآن لا». فقالت: «من الضرورى أنه كان يحوم هنا منذ أيام قليلة». فقال بوارو: «كان كثير من الأشخاص الأغراب يحومون فى المنطقة هذه الأيام. إنه موسم الإجازات». فقالت: «نعم. أنا نسيت... ولكنهم يظلون بعيدا عن البلاج، ولا يأتى أحد منهم إلى هذا القصر». فقال بوارو: «لم يأت شخص غريب إلى القصر فى ذلك اليوم». فقالت الليدى كلارك بحماس نسبى شديد: «من الذى قال ذلك؟» فقال بوارو: «الخدم والآنسة جراى».

فقالت وهى تضغط على كل كلمة: «تلك البنت كذابة!» وفزعت، ونظر بوارو نحوى، واضطررت إلى السكوت.

وبدأت الليدى كلارك تتكلم الآن كالمحمومة: «لم أكن أحبها. لم أكن أحبها أبدا. وكان كار يظن أنها كل العالم. اعتاد أن يقول إنها يتيمة ولا أقارب لها على الإطلاق، وأنها وحيدة العالم. ما الضرر فى أن تكون أية طفلة يتيمة؟ ربما تكون هذه نعمة على شكل نقمة. ربما كان لها أب عربيد أو أم عابثة يجعلانها تعمل وتشقى. ويأخذان نقودها كلها. كان يقول إنها شجاعة. وتحسن عملها. وأنا أستطيع أن أقول إنها كانت تحسن عملها جيدا، ولكننى لست أعرف فيم كانت تتمثل شجاعتها».

قال المرضة كابيستك: «لا تجهدى نفسك يا سيدتى. لا نحب أن تتعبى». فقالت الليدى كلارك: «لقد أسرعت بأن جعلتها ترحل. كان فرانكلين يحاول أو يوهمنى أن وجودها سيكون سببا للراحة لى. الراحة لى حقا! كلما بعدت عن أنظارى بسرعة أكبر كان ذلك أفضل. وهذا هو الذى قلته أنا له. فرانكلين رجل أحمق! أنا لم أرده أن يختلط بها. إنه طفل! لا عقل له! قلت له سأعطيها أجر ثلاثة شهور لو أحببت أن تكرمها، ولكنها لابد أن ترحل عنا. أنا لا أريدها أن تبقى فى منزلنا أكثر من ذلك وتوجد ميزة وحيدة للمرض هى أن الرجال لا يستطيعون أن يجادلوك. فعل ما قلته أنا له وذهبت. ذهبت كشهيدة فى نظره كما أتوقع... أكثر جمالا وشجاعة مما كانت فى نظر أخيه».

وعادت المرضة تقول: «الآن يا عزيزتى، لا تنفعلي، ليس هذا مفيدا». وأشاحت الليدى كلارك للممرضة لكي تسكت وهى تقول لها: « لقد كنت أنت أيضا حمقاء مثلهم بشأنها». فقالت المرضة: «أوه! يا ليدى كلارك. إننى أعتقد بالفعل أن الآنسة جراى بنت جميلة جدا، خلابة الجمال، إنها تبدو كما لو كانت قد خرجت من غلاف رواية جميلة». فقالت الليدى كلارك: «لا صبر عندى معكم كلكم». فقالت المرضة: «حسنا، لقد مشت بعيدا عنا الآن يا عزيزتي. ذهبت بعيدا جدا». وهزت الليدى كلارك رأسها وسكتت، فقال بوارو: «لماذا تعتقدين أن الآنسة جراى كانت كذابة؟» فقالت: «لأنها كانت كذابة. هى قالت لك إنه لم يأتِ شخص غريب إلى المنزل، ألم تقل لك ذلك؟» فقال بوارو: «نعم. هى قالت لى ذلك». فقالت الليدى كلارك: «حسن جدا. ومع ذلك رأيتها بعينى هاتين- من هذه النافذة- تتكلم مع رجل غريب تماماً أمام سلم الباب الأمامى للقصر». فقال بوارو: «متى حدث هذا؟» فقالت: «فى صباح اليوم الذى مات فيه كارمايكل، حوالى الساعة الحادية عشرة صباحا قبل الظهر بقليل». فقال بوارو: «ما شكل ملامح وملابس هذا الرجل؟» فقالت رجل عادى. لا ميزة خصوصية له». فقال بوارو: «أحد السادة؟ أم أحد الباعة الجائلين؟» فقالت: «ليس أحد السادة. وأقل من أن يكون بائعا، شخص بشع المنظر. ولا أستطيع أن أتذكر أكثر من ذلك». ظهرت سحابة من الآلام على كل ملامح وجهها، واستطاعت أن تقول: «من فضلك- اذهبوا الآن- أنا متعبة قليلا- المرضة».

وأطعنا وانصرفنا.

وعندما رجعنا إلى لندن قلت: «كانت تلك قصة غريبة عن الآنسة جراى والشخص الغريب». فقال بوارو: «ها أنت ذا تدرك يا هاستينجز أنه يوجد دائما شئ يمكن أن يكتشفه الإنسان».

قلت: «ولماذا تكذب فتاة مثل الآنسة جراى وتقول إنها لم تشاهد أى شخص غريب فى ذلك اليوم المشهود؟» فقال بوارو: «أنا أستطيع أن أضع لهذا سبعة أسباب أحدها بسيط جدا». فقلت: «هل هى

لغز؟» فقال: «ربما تكون هذه دعوة رسمية لك لكى تجعل عقلك يعمل ويكف عن الكسل. ولكننا لا نحتاج الآن أن نجهد عقولنا. لا يزال الوقت مبكرا. وعلى كل حال دعنى أذكر لك أسهل الأسباب وهو أن تسألها هى شخصيا». فقلت: «ولنفترض أنها أجابتنى بأكذوبة أخرى؟» فقال بوارو: «لقد بدأت تفكر. سيكون هذا شيئا شائقا. هذه فكرة ملهمة». قلت: «إنها فكرة متوحشة لو افترضنا أن مثل هذه الفتاة تنسق الأمور مع القاتل المجنون وتخفى علاقة وطيدة معه». فقال بوارو: «بالضبط، ولهذا فأنا أستعيد الفكرة تماماً».

وفكرت قليلا ثم قلت: «البنت الجميلة الشكل يسبب لها جمالها دائما كثيرا من المتاعب». فقال بوارو: «تماماً. ادرس هذه الفكرة». فقلت: «هذا صحيح. كل الناس ضدها». فقال بوارو: «أنت تتكلم عن إنسانة مريضة. من الذى كان ضدها فى قصر كومبسايد؟ هل كان السير كارمايكل ضدها؟ هل كان فرانكلين ضدها؟ هل كانت الممرضة كابستيك ضدها؟» فقلت: « كانت الليدى كلارك ضدها بضراوة». فقال بوارو: « يا صاحبى. عندك تعاطف كبير مع البنات الجميلات. أما أنا، فإننى أتعاطف مع السيدات المتقدمات فى السن المريضات. يبدو لى أن الليدى كلارك هى الإنسانة الوحيدة فى ذلك القصر التى كان لديها بعد نظر وصدق وفراسة». فقلت: «عندك ضغائن ضد هذه الفتاة الجميلة يا بوارو». فقال بوارو: «ربما تريد منى أن أساعدك فى أن تمتطى صهوة حصان أحلامك يا هاستينجز. أنت دائما الفارس الحقيقى_ مستعد لإنقاذ البنات الجميلات من أى محنة أو مشقة بشرط أن تكون البنات جميلات جدا. هذا مفهوم جدا». ولم أستطع أن أتمالك نفسى من الضحك وقلت: «كم أنت سخيف يا بوارو». فقال: «آه، حسنا، الإنسان يستحيل أن يعيش فى جو المأساة طوال الوقت. إننى دائما أستمتع باختلاس بعض الاعتبارات الفكهة المسلية من براثن المآسى التى تغلب سيطرتها على حياة كثير من الناس. عندنا ثلاث مآسٍ فى نطاق ثلاث عائلات. أولاً، توجد عائلة فى أندوفر، تتضمن مأساة حياة السيدة آستشر وابنة أختها، وكفاحها لتعول نفسها ولتعول زوجها الألمانى العجوز العربيد مع عطفها وحدبها على ابنة أختها اليتيمة الشابة. وهنالك فى بريكس هيل ذلك الأب وتلك الأم والابنتان اللتان تختلف كل منهما عن الأخرى كل الاختلاف، وخرجت إحداهما من منزلها ولم تعد إلا جثة. وماتت الشابة مخنوقة، تاركة وراءها أباها الطيب وأمها الباكية، وأختها الذكية القوية الشخصية التى تريد أن تصل إلى الحقيقة، وشابا كان يحب الفتاة الطائشة القتيلة حبا جارفا. وهنالك أيضا خطوط مأساة أخرى فى تشارستون: «زوجة مريضة جدا تموت ببطء شديد، ويخطف القاتل المجنون الحياة من جسد زوجها الثرى المرموق الذى كان يتسلى بمجموعات تحفه لينسى مرض وآلام زوجته، ويزداد عطفه على الفتاة السويدية اليتيمة الجميلة بقدر ازدياد ولعه بالتحف النادرة التى ينهمك فى البحث عنها والحصول عليها، ليتركها لأخيه الأصغر منه سنا الضخم الجسم الجذاب الذى يبدو واسع الأفق أقوى من المأساة من جراء طول ترحاله فى أرجاء العالم. تخيل يا هاستينجز أن هذه المآسى الثلاث كانت منفصلة ولا يربط بينها أى شئ. أنا مغرم بتأمل ما يحدث فى حياتنا من مصادفات».

وشعرت كما لو كان بوارو قد بدأ يمسك حصيات فى يده. وعندما وصلنا إلى المنزل عرفنا أن أحد السادة كان ينتظر وصول بوارو. وتوقعت أن يكون هذا الشخص هو فرانكلين كلارك أو المفتش جاب، ولكننى لفرط دهشتى وجدت أن الزائر هو دونالد فريزر. كان دونالد فريزر يبدو مرتبكا ارتباكا أكثر من

ارتباكه المعتاد. ولم يحاول بوارو أن يستعجله فى الكشف عن الغرض من زيارته، بل على العكس من ذلك قدم له بعض السندوتشات ومشروباً فاتحاً للشهية. وبعد قليل كان دونالد من تلقاء نفسه يتدرج فى الكلام عن مشاعره القوية نحو فتاته التى ماتت. ولم يترك هذا الخط فى كلامه حتى فرغ من طعامه فقال له بوارو: «أنت قادم من بريكس هيل يا سيد فريزر؟» فقال: «نعم». فقال بوارو: «هل حققت أى نجاح مع الآنسة هيجلى؟» فقال دونالد: «هيجلى؟ هيجلى؟ أوه، تلك البنت؟ لا، لم أفعل أى شئ هناك حتى الآن. إنها-». وتوقف عن الكلام وتشابكت أصابع يديه، ثم قال: «أنا لا أعرف لماذا أنا قد حضرت هنا». فقال بوارو: «أنا أعرف لماذا أنت حضرت هنا». فقال دونالد: «كيف عرفت؟ هذا مستحيل!». فقال بوارو: «أنت أتيت هنا لكى تتكلم. أتيت هنا لأن عندك شيئاً تريد أن تقوله لشخص تثق فيه وتثق فى أمانته وحكمته وحرصه على الخير والحق وكل ما هو جميل فى حياتنا. أنت لم تخطئ يا دونالد. أنا الشخص الذى تبحث عنه. تكلم يا دونالد».

كانت الثقة التى يتكلم بها بوارو قد أحدثت تأثيرها فى الشاب المتردد فقال: «هل أنت تعتقد ذلك؟». فقال بوارو: «بكل تأكيد من ذلك». فقال دونالد فريزر: «يا سيد بوارو! هل تعرف أى شئ عن الأحلام؟»

كان ذلك هو آخر شئ كنت أتوقع أن يتكلم عنه دونالد فريزر! ولم يبد على بوارو أى دهشة على الإطلاق، بل كنت أنا الذى أصابتنى الدهشة مرة أخرى عندما سمعت بوارو يقول له بكل وقار وهدوء: «نعم. أعرف. هل كان عندك حلم؟» فقال دونالد: «نعم. وأنا أعرف أنك ستقول إن هذا شئ طبيعى. كثير من الناس يرون أحلاما أثناء نومهم دون أن ينزعجوا، ولكن هذا الحلم لم يكن شيئا كالأحلام المعتادة. إنه حلم غريب». فقال بوارو: «كيف؟» قال دونالد فريزر: «لقد رأيت هذا الحلم ثلاث مرات فى ثلاث ليال متتالية يا سيد بوارو... أكاد أجن!» فقال له بوارو: «أخبرني عن تفاصيل الحلم بدقة وبقدر ما تستطيع». فقال دونالد: «إنه نفس الحلم، لا يتغير أى شئ من تفاصيله. أنا على البلاج... أبحث عن بيت برنارد .. ضاعت بيتى برنارد وأنا لا أستطيع العثور عليها... كنت أريد أن أعطيها حزام فستانها... أنا أحمل حزام فستانها فى يدى، وبعد ذلك...» فقال له بوارو: «ماذا بعد ذلك؟» فقال دونالد: « يتغير المنظر فى الحلم. لم تضع منى بيتى برنارد. إنها أمامى، تجلس على البلاج ولا تشعر بقدومى نحوها... إنها... أوه... أنا لا أستطيع». قال له بوارو : «أكمل يا دونالد». فقال دونالد كما لو كان لا يستطيع شيئا سوى أن يطيع ما يأمر به بوارو: «أذهب بالقرب منها جدا... وأقف وراءها وهى لا ترانى... وهى لا تسمعنى... وأضع حزام فستانها حول رقبتها... وأجذب طرفيه... وأجذب طرفيه».

كان صوت دونالد قد أصبح نشيجا متحشرجاً من شدة تأثره بما كان يقوله. وكنت أنا أضغط بأصابع يدى على جانبى مقعدى. كان يبدو ما يقوله كما لو كان يحدث حقيقة. وظننت أن الحلم قد انتهى وأن دونالد قد ذكر كل تفاصيله، ولكننى فوجئت بأن دونالد يستمر بأسلوبه المثير جدا فى سرد تفاصيل أخرى متبقية فى تفاصيل الحلم إذا سمعته يقول: «كانت تلهث بصعوبة جدا... وماتت... لقد خنقتها فعلا... ثم يسقط وجهها إلى الوراء... وأرى ملامح وجهها... إنها ميجان برنارد... وليس بيتى برنارد!!!».

ومال بجسمه إلى الوراء بعد أن كان جسمه يميل إلى الأمام وكان وجهه أبيض لا أثر فيه للدم من

شدة الانفعال، وكان العرق ينفصد من جبينه ثم قال: « ما معنى هذا الحلم يا سيد بوارو؟ لماذا يعاودنى هذا الحلم فى ثلاث ليال متتالية بنفس التفاصيل دون أى تغير؟» فقال له بوارو: «اشرب بقية العصير يا دونالد. إنه لذيذ ومقوى. وأطاعه دونالد على الفور ثم أعاد سؤاله: «ماذا يعنى ذلك؟ أنا لم أقتلها. هل أنا قتلتها؟»

لم أسمع ما قاله بوارو ردا على هذا السؤال لأننى سمعت صوت ساعى البريد يقرع الباب، وغادرت الحجرة بسرعة. ورجعت عدوا بالخطوة السريعة فدخلت الحجرة وأنا أصيح: «بوارو! لقد وصل! الخطاب الرابع!».

وقفز بوارو واقفا على قدميه، وأمسك بالخطاب، وفتحه واستخرج منه ورقة وضعها أمامنا على المنضدة وجعلنا نقرأها نحن الثلاثة: «بوارو ودونالد وأنا: «وكان سطوره تجرى كما يلى:

ألا يزال النجاح عصى المنال؟ يا للعار!!! ماذا تفعل أنت ورجال الشرطة؟ حسنا، حسنا، هذا شئ مضحك. وأين سأذهب أنا فى المرة القادمة لكى أجمع العسل؟

يا سيد بوارو المسكين. أنا أشعر بالآسى والحزن من أجلك. إذا كنت لم توفق فى البداية وحتى الآن حاول، وحاول، وحاول مرة أخرى. أمامنا طريق طويل نمشيه سويا. هل سنذهب إلى تبرارى. لا، لم يحن الوقت بعد للذهاب إلى تبرارى. سنصل إليها عندما نصل إلى الحرف T فى الحروف الأبجدية الإنجليزية، بعد النصف الخير من الحروف الأبجدية، الحادثة الصغيرة القادمة ستحدث فى دونكاستر يوم ١١ سبتمبر. وداعا وإلى اللقاء.

أ.ب.ك



الفصل الحادى والعشرون
وصف جريمة قتل

كانت الفترة الماضية فيما يتعلق بما كان بوارو يسميه بالمسألة الإنسانية فترة خبا فيها اهتمام الناس بأحداث الجريمة الأبجدية كما كان نشاطنا أيضا قد خبا. ويبدو أن العقل قد مل طول التفكير دون جدوى فى ذلك السبب من أسباب الهلع الذى لا سبيل إلى درئه حتى الآن. وكنا نشهد فترة من استرخاء فى اهتمام الناس بهذه القضية.

كنا جميعا ودون استثناء نعتقد أن القاتل لن يرتكب أى جريمة قتل أخرى حتى يصل الخطاب الرابع ليكشف عن موعد ومسرح ارتكاب الجريمة الرابعة. أما وقد وصل الخطاب الرابع الآن قفز من بين سطوره الكلمات المطبوعة فوق الورقة البيضاء عن مسرح الجريمة الرابعة لقتل ضحية جديدة يبدأ اسمها بحرف الدال المقابل لرابع حروف من حروف الأبجدية الإنجليزية فلقد انتهت بذلك فترة الانتظار والترقب، وبدأت فترة الاستعداد والتأهب. لقد أصبح الصيد جاهزا مرة أخرى.

كان المفتش كروم قد عاد من سكوتلانديارد. وجاء عندنا أيضا فرانكلين كلارك وميجان برنارد التى

قالت إنها قد جاءت من بريكس هيل وقالت: « أنا أريد أن أسأل السيد كلارك عن شئ».

كانت ميجان برنارد قلقة مهتمة أن توضح السبب فى رغبتها هذه، ولكننى لم أهتم بذلك. كان محتوى الخطاب يملك كل فكرى.

ولم يكن المفتش كروم مسرورا بوجود كل أولئك المشاركين فى محاولة التصدى للقضية. كان قد أصبح أكثر تمسكا بالاعتقاد بأنه هو المسئول الرسمى ولم يكن يعبأ بجدوى جهود أعضاء الرابطة. وبعد أن قرأ الخطاب الرابع قال: «أنا سآخذ هذا الخطاب معى يا بوارو. وتستطيع أنت أن تأخذ نسخة منه لتحتفظ به لو شئت».

وسأل كلارك: «ما خططك يا سيادة المفتش؟» فقال المفتش كروم: «خطط معقولة إلى حد ما». فقال كلارك: «فى هذه المرة يتعين علينا أن نمسك به. ويجوز لى أن أخبرك يا سيادة المفتش أننا قد شكلنا لجنة منا للتعامل مع المسألة. إنها رابطة» الأعضاء المضارين المهتمين بالقضية» وحاول كلارك أن يبدو فى أحسن حال فقال: «أوه، نعم» فقال كلارك: «يبدو لى أنك لا تثق فى قدرات وإمكانات الهواة يا سيادة المفتش؟» فقال المفتش كروم: «أنت لا توجد إليك أى إمكانيات للعمل، هل عندك الإمكانات اللازمة لهذا العمل يا سيد كلارك؟» فقال كلارك: « عندنا فتوسنا الخاصة بنا لكى نطحن بها، وهذا شئ يعتد به». فقال كروم: «أوه، نعم» قال كلارك: «أنا أتصور أن عملك فى هذه القضية لن يكون سهلا يا سيادة المفتش. أنا أتصور أن القاتل وفقا للحروف الأبجدية قد يتغلب عليك مرة رابعة». قال كروم: «وأنا أتصور أن هذا الجمهور لن يجد ما ينتقد عملنا من أجله هذه المرة. إن الأحمق قد أعطانا إنذاراً كافياً. إن اليوم الحادى عشر من هذا الشهر لن يبلغه حتى يوم الأربعاء من الأسبوع القادم. وهذا المدى الزمنى سيعطى وقتا كافيا لكمية هائلة من النشر فى الصحف عن هذا الإنذار المبكر جدا. إن منطقة دونكاستر كلها سيتم تحذيرها عن بكرة أبيها بكل سهولة وبكل وضوح وبكل حسم. وكل شخص فيها يبدأ اسمه بحرف الدال سيكون فى أقصى درجات الحذر واليقظة حرصا على حياته بطبيعة الحال وأولا وقبل كل شئ_ كل هذه الاعتبارات قد توافرت هذا المرة لتقودنا إلى النجاح. إننا أيضا سنحشد رجال الشرطة هناك إلى أقصى حد ممكن. وقد تم ترتيب ذلك فعلا على أعلى مستوى لقيادات الشرطة فى إنجلترا. دونكاستر كلها، جمهورا ورجال شرطة ستخرج لتمسك برجل واحد».

قال كلارك بهدوء: «من السهل أن أقول:إنك لا تتحلى بالروح الرياضية يا سيادة المفتش». فحملق فيه كروم وقال: «ماذا تقصد يا سيد كلارك؟» فقال كلارك: «ألا تعرف يا سيادة المفتش أن يوم الأربعاء القادم سيكون الاحتفال بمهرجان سانت ليجيز فى منطقة دونكاستر؟»

وفغر المفتش كروم فاه إلى حد أن تدلى فكه الأسفل ليزداد الانفراج بين فكيه إلى أكبر حد ممكن ثم قال: «أوه، نعم هذا صحيح. إن هذا يعقد الأمور ويزيدها صعوبة». فقال فرانكلين: «القاتل وفقا للحروف الأبجدية ليس مغفلا حتى ولو كان مجنونا».

وخيم صمت رهيب تام على الجميع. كنا جميعا نفكر فى الموقف. الجماهير ستشترك فى المعمعة، والتعقيدات المتزايدة. وقال بوارو: «الموقف بالغ التعقيد، ولكن من الممكن تصور أبعاده». فقال كلارك: «عقيدتى هى أن الجريمة الرابعة ستقع فى مجرى سباق الجرى المعتاد كل عام فى عيد سانت ليجيز».

وساد بيننا شعور بالاستحسان للحدس الرياضى الذى جعل السيد كلارك يبدى هذا الرأى المتوقع

الحدوث. ونهض المفتش كروم واقفا وقد أمسك بالخطاب فى يده ثم قال: «عيد سانت ليجيز يعقد المسألة. هذه ظروف سيئة بالطبع».

وخرج المفتش كروم. وسمعنا صوت كلمات متبادلة فى مدخل الصالة. وبعد دقيقة واحدة دخلت تورا جراى وهى تقول: «لقد قال لى المفتش كروم إنه قد وصل خطاب آخر. أين هذه المرة؟».

كانت الدنيا تمطر فى الخارج. وكانت تورا جراى ترتدى معطفا أسود اللون وتحته قميص وعليه فراء. وكانت قبعة سوداء اللون صغيرة الحجم تغطى جزءا صغيرا من شعرها الأشقر الجميل. وكان كلامها موجها إلى فرانكلين كلارك، وكانت قد وضعت يدها على ذراعه وهى تكلمه وظلت تضعها على ذراعه تنتظر إجابته... وبعد قليل قال كلارك: «دونكاستر_ فى يوم عيد سانت ليجيز».

وخلا الجو لكى تبدأ المناقشة، ولكن سباق الجرى فى هذا العيد كان سببا فى كثير من التعقيدات التى لا حل لها، وهى تعقيدات لم نكن قد سبق لنا أن تصورنا وجودها من قبل.

وساد بيننا شعور بالإحباط واستسلام للفشل. ماذا تستطيع هذه الرابطة المكونة من ستة أفراد أن تفعل بالغا ما بلغت رغبتهم فى أن يفعلوا شيئا؟ ستكون هنالك عيون لا حصر لها هى عيون رجال الشرطة تراقب كل شئ بعناية، فما فائدة إضافة ستة أزواج من العيون؟

وبدا لى الأمر كما لو كان بوارو قد قرر أن يجيب عن السؤال الذى كان يدور فى ذهنى ولم أنطق به عندما انطلق صوته يتكلم كما يتكلم أستاذ إلى تلاميذه أو كما يتكلم أحد رجال الدين بين أتباعه ومريديه، قال بوارو: «يا أبنائى، يجب ألا نفقد الثقة فى قوانا. يجب علينا أن نواجه هذه المسألة بطريقة منظمة تقوم على أساس من ترتيب أفكارنا. يجب أن نتعامل مع المسألة من خلال الحقائق وليس بصرف النظر عن الحقائق. يجب أن نسأل أنفسنا، وليسأل كل منا نفسه، ماذا أعرف عن القاتل؟ وبهذه الطريقة نستطيع أن نرسم صورة ولو تقريبية للرجل الذى نبحث عنه».

قالت تورا جراى: «نحن لا نعرف أى شئ عنه». فقال بوارو: «لا. لا يا آنسة. ليس هذه صحيحاً. كل واحد منا يعرف شيئا عنه. لو نعرف فقط ما الذى نعرفه، فأنا متأكد أن المعرفة تكمن فى ذلك لو استطعنا الوصول إلى ذلك».

وهز كلارك رأسه وقال: «ما تقوله تورا صحيح. نحن لا نعرف عنه أى شئ. نحن لا نعرف ما إذا كان عجوزا أم شابا، أشقر الشعر أو أحمره أو أسوده. لم يره أحدنا ولم يسمعه أحدنا أبدا ولم يتكلم معه أحدنا أبدا! لقد تجاهلنا كل شئ نعرفه بشأن حقيقة أننا لا نعرفه».

قال بوارو: «لا يصح الزعم بأننا جميعا لا نعرف أى شئ. المشكلة هى أننا لا نعرف ما نعرفه. لا نعرف ما قيمة وأهمية ما نعرف. لا نعرف كيف نستفيد مما نعرف. لا نعرف ما إذا كان ما نعرفه صحيحا أو خاطئا. لا نعرف ما إذا كان ما نعرفه يكون مفيدا أم لا فائدة منه. ليس مجرد كلام كما يتوهم بعض الناس. ولأثبت لحضراتكم أن هذا ليس مجرد كلام دعونى أضرب لكم مثلا من الواقع الفعلى فى إطار خبراتنا كأعضاء فى هذه الرابطة. الآنسة جراى مثلا قد أخبرتنا أنها لم تكن قد شاهدت أى شخص غريب يقترب من القصر يوم وفاة السير كارمايكل ولم يتحدث إلى أى شخص غريب يقترب من القصر فى ذلك اليوم على وجه التحديد».

وأومأت تورا جراى برأسها موافقة على ذلك ثم قالت: «هذا صحيح تماماً». فقال لها بوارو: «هل

هذا صحيح حقا يا آنسة؟ لقد أخبرتنا الليدى كلارك يا آنسة أنها من النافذة التى كانت تجلس بجوارها قد شاهدتك بعينيها تتكلمين مع رجل غريب عن القصر أمام سلم باب القصر». فقالت تورا جراى: «هى تقول إنها كانت قد شاهدتنى بعينيها أتكلم مع رجل غريب عن القصر أمام سلم القصر؟» وبدت الفتاة مندهشة دهشة بالغة، ثم هزت رأسها وقالت: «من الضرورى أن تكون الليدى كلارك قد ارتكبت غلطة-- أوه!».

كان توقفها عن الكلام، ثم اللفظ الدال على الشعور بالغرابة يدلان تماما على التحول المفاجئ الذى طرأ على فكرها، وطافت موجة من اللون الأحمر فى صفحتى خديها وهى تقول: «لقد تذكرت الآن! كم أنا غبية! كنت قد نسيت كل شئ عن هذه المسألة، ولكنها لم تكن مسألة مهمة. مجرد رجل من هؤلاء الرجال الذين يدورون فى كل مكان ويبيعون الجوارب-- أنت تعرف. ناس تركوا الخدمة فى الجيش. يعملون فى تجارة أى شئ لكى يكسبوا عيشهم. إنهم يلحون كثيرا لكى يجعلوك تقبل شراء مالا ترغب في شرائه. كان من الضرورى أن أتخلص من إلحاحه. كنت قد خرجت توا إلى الصالة عندما جاء ووقف أمام الباب. وتكلم الرجل معى مباشرة إذ لم يكن يحتاج إلى أن يدق الجرس، وهو يجدنى أمامه ويجد الباب مفتوحا. ولكنه كان شخصا غير ضار على الإطلاق. كل ما يعنيه هو أن يبيع أى عدد من الجوارب لأى شخص. وحيث إن مثل هذا الشخص لا خطر منه ولا خطر له، لم يخطر ببالى أبدا أن له أى أهمية. كان ذهنى أن الشخص الغريب الذى تسأل عنه شخص غريب كان يحوم حول البيت ويمكن أن يكون قد ارتكب جريمة القتل، والرجل الذى كان يحاول أن يبيع الجوارب لى، وأنا لم اشترها منه يستحيل أن يكون من النوع الذى كنت تسأل عنه، ولذلك أهملت أن أذكره ونسيت بالفعل كل شئ عنه».

وتمتم بوارو بصوت خافت: «جوارب... جوارب... جوارب... ستأتى... جوارب... جوارب. إنها الدافع- نعم... منذ ثلاثة شهور... ومنذ بضعة أيام... والآن... يا إلهى! عرفتها!».

واعتدل بوارو فى جلسته وثبت ناظريه على شخصى المتواضع من بين الحاضرين وقال لى: «هل تتذكر يا هاستينجز؟ فى أندوفر. الدكان. لقد صعدنا إلى مسكن السيدة آستشر وفى حجرة نومها، وفوق أحد الكراسى، كان يوجد زوج من الجوارب الجديدة. وأنا الآن أعرف ما أثار انتباهى منذ يومين. أنت التى أثرت انتباهى يا آنسة ميجان. قد كنت تتحدثين عن أن أمك كانت تبكى وهى ممسكة بزوج جديد من الجوارب كانت قد اشترته حديثا من أجل أختك بيتى فى نفس اليوم الذى قتلت فيه أختك بيتى...»

ونظر بوارو إلينا جميعا ثم قال: «ها أنتم أولاء تدركون أن نفس الشئ يتكرر فى الجرائم الثلاثة، ويستحيل أن تكون هذه مجرد مصادفة. عندما تحدثت الآنسة ميجان عن الجوارب التى كانت أمها تبكى وهى ممسكة بها كنت أحس أننى أحاول جاهدا الربط بين ذلك وبين شئ آخر. ولقد عرفت الآن ما هو ذلك الشئ الآخر. وكلام جارة السيدة آستشر، السيدة فولر يا هاستينجز، لقد سمعناها تتحدث عن الباعة الجائلين الذين يبيعون الجوارب..و..و.. ليس فى حانوت لبيع هذه الأشياء ولكن من باب إلى باب إلى الباب الذى يليه.

قلت: «نعم. نعم.. أنا أذكر أنها قالت ذلك. قالت إنها كانت تشعر بالضيق من أولئك الرجال

المحتقرين الذى يتجولون على الأبواب لكى يتلقوا من الناس طلبات الشراء».

وصاح فرانكلين قائلا: «ولكن ما قيمة هذا الارتباط؟ ما قيمة هذه العلاقة؟ إن وجود رجل يبيع الجوارب على باب منزلنا منظر مألوف متكرر آلاف المرات ولا يدل على أى شئ!».

فقال بوارو: «أنا أريد أن أنبهكم يا أصدقائى. أنا لا أعتقد أن وجود رجل يبيع الجوارب فى ثلاث جرائم ليس مجرد مصادفة أبدا. لقد كان هذا الرجل يستطلع أرض الجريمة وهو يبيع الجوارب».

ثم التفت بوارو نحو تورا وقال لها: «الكلام الآن مناط بك يا آنسة تورا. صِفّى لنا هذا الرجل». فنظرت إليه تورا كما لو كان قد طلب منها المستحيل وقالت: «أنا لا أستطيع... أنا لا أعرف كيف... كان يرتدى نظارة... أعتقد ذلك... ومعطفاً باهت اللون جدا...»

وأخذ بوارو يشجعها ويقول لها: «أفضل من هذا يا آنسة. تذكرى عنه صفات أخرى. هذا جيد، ونريد أحسن من هذا... » فقالت: «هو أحدب قليلا.. ظهره منحنى قليلا. لا أعرف أكثر من هذا... أنا لم أكن أهتم به أبدا... أنا لم أكد أنظر نحوه... كل ما كان يعنينى من شأنه هو أن أقول له إننى لا أريد منه أى جوارب ولن اشترى منه شيئا... لم يكن نوعا من الرجال تهتم بأن تتفحص ملامحه...».

قال لها بوارو بحزن: «معك حق تماماً يا آنسة. سر القاتل يكمن فى وصفك له. لا ريب فى أنه هو القاتل. وتعبيرك الأخير فيه وصف دقيق له»لم يكن نوعا من الرجال تهتم بأن تتفحص ملامحه». نعم، يا آنسة، لا ريب فى ذلك. لقد نجحت أخيرا فى وصف القاتل... إنه رجل لا يهتم أحد بمعرفة ملامحه!



الفصل الثانى والعشرون
(ليس مما يرويه هاستينجز)

جلس السيد ألكساندر بونابرت كاست ساكنا لا يتحرك. وكان طعام إفطاره قد أصبح باردا أمامه وهو لم يتذوق منه أى شئ. وكانت صحيفة موضوعة أمامه بجوار إناء الشاى وكان يقرأ صفحاتها بشغف كبير.

وقفز واقفا فجأة، وأخذ يمشى فى الحجرة جيئة وذهابا. ثم جلس فجأة على الكرسى بجوار النافذة. ولم يسمع صوت الباب وهو يفتح. ووقفت صاحبة البيت فى مدخل الباب وقالت: «أسألك يا سيد كاست ما إذا كنت بخير. ما هذا؟ ما الخبر؟ ألست بصحة جيدة؟» ورفع السيد كاست رأسه عن كفيه وقال: «لا شئ. لا شئ على الإطلاق يا سيدة ماربورى. أنا لا أشعر أننى على ما يرام هذا الصباح».

ونظرت السيدة ماربورى إلى طعامه بشئ من التركيز وقالت: «كذلك أفهم السبب. إنك لم تلمس طعام إفطارك. هل رأسك تؤلمك مرة أخرى؟» فقال: «لا، بل الأصح نعم... أنا فقط أحس أننى لست فى حالتى الطبيعية».

قالت السيدة ماربورى: «أنا آسفة لذلك. أنا متأكدة أنك لن تخرج لعملك من البيت اليوم؟» وقفز

كاست من مكانه فجأة وهو يقول: «لا، لا يلزم أن أخرج لعملى . الشغل شغل. إنه مهم. إنه مهم جدا».

كانت يداه ترتعشان. وعندما رأته مضطربا على هذا النحو حاولت أن تسرى عنه فقالت: «لو كان ضروريا أن تخرج للعمل اخرج- هل ستذهب بعيدا اليوم؟» فقال كاست: «لا، سأذهب إلى--» وتردد بعض الوقت ثم قال: «أنا سأذهب إلى تشيليتنهام».

وكان تردده فى ذكر الجهة التى سيوزع فيها بضاعته غريبا فى سمع صاحبة البيت، ولكنها نظرت إليه بدهشة وقالت: «تشيليتنهام مكان جميل. ذهبت إليها ذات مرة عن طريق بريستول. المحلات فيها جميلة جدا». فقال كاست: «نعم أنا أعتقد ذلك».

وانحنت السيدة ماربورى بصعوبة-لأن الانحناء لم يكن يلائم طبيعة جسمها-والتقطت الصحيفة المكومة على الأرض وهى تقول: «لا شئ سوى هذه الجريمة البشعة فى الصحف هذه الأيام». وأخذت تقرأ العناوين الرئيسية ثم أعادت الصحيفة فوق المنضدة وهى تقول: «تصيبنى بالفزع. إنها كذلك. أنا لا اقرأ أى تفاصيل عنها. يبدو كما لو كان جاك السفاك قد عاد مرة أخرى». وتحركت شفتا السيد كاست ولكنه لم يقل شيئا.

قالت السيدة ماربورى: «دوناكاستر- ذلك هو المكان الذى سيرتكب فيه جريمته التالية، وسيرتكب جريمة القتل التالية غدا. هذا يجعل الدم يهرب من العروق، أليس كذلك؟ لو كنت أنا أعيش جهة دوناكاستر ويبدأ اسمى بحرف الدال لركبت أول قطار يغادر دوناكاستر هذه. يستحيل أن أخاطر بحياتى. ما رأيك يا سيد كاست؟» فقال كاست: «لا شئ، يا سيدة ماربورى، لا شئ». فقالت السيدة ماربورى: «ستكون هناك حفلة السباق وكل مظاهر الاحتفال. لا شك أنه يظن أنه سيجد فرصته سهلة هناك؟ يقولون إن مئات من رجال الشرطة قد تدفقوا هناك. ما هذا يا سيد كاست؟ تبدو معتل الصحة! ألا تأخذ أى دواء؟ فى الحقيقة، الآن، لا يحسن أبدا أن تخرج للعمل اليوم».

ونهض السيد كاست واقفا وقال: «إنه ضرورى يا سيدة ماربورى. لقد كنت دائماً ملتزما فى ارتباطات عملى. الناس يلزم أن- أن يثقوا بالإنسان! وأنا عندما أتعهد بعمل شئ فمن الضرورى أن أنجزه. هذا هو السبيل الوحيدة للاستمرار فى عملى». فقالت السيد ماربورى: «ولكن ماذا يكون الشأن عندما تكون مريضا؟» فقال لها: «لست مريضا يا سيدة ماربورى. أنا فقط قلق بشأن مسأل شخصية مختلفة. ولذلك لم أنم جيدا، وفيما عدا النوم جيدا، أنا بخير يا سيدة ماربورى».

وكان كلامه بحسم وتصميم لدرجة أن السيدة ماربورى جمعت الأشياء الخاصة بالطعام وخرجت من الحجرة.

وجذب السيد كاست حقيبة كبيرة من تحت السرير وبدأ عملية الحزم وترتيب البضاعة. عدد قليل من البيجامات الصغيرة الحجم- أشرطة مما توضع على الملابس بقصد الزينة- حقائب صغيرة جدا ليلهو بها الأطفال_ شباشب من الجلد ومن البلاستيك_ جوارب_ وغير ذلك من الأصناف. وبعد ذلك فتح الدولاب وأخذ منه بعض الأشياء الأخرى. ثم نظر بعد ذلك فى دليل للقطارات ثم غادر الحجرة، وحقيبته فى يده.

ووضع الحقيبة على أرضية الصالة وارتدى معطفه وقبعته. بينما كان يفعل ذلك تثاءب بعنف وبعمق

إلى درجة أن إحدى البنات خرجت من حجرتها ونظرت إليه باهتمام وقالت: «هل تحتاج أى شئ يا سيد كاست؟» وقال: «لا يا آنسة ليللى». فقالت: «إذن أنت كنت تتثاءب فقط ولم تكن تنادينى؟» فقال كاست: «هذا مجرد إعلان عن بدء العمل يستخدم هذه الأيام يا آنسة ليللى. ألا تعرفين ذلك يا آنسة ليللى؟» فقالت: «أنا أعرف ذلك. أنا أعرف فقط أنك فى بعض الأيام تكون على ما يرام، وفى بعض الأيام تكون معتل المزاج. وأنا لا أعرف سبب هذا ولا سبب ذاك.» فقال كاست: «هذا هو الحال بالضبط يا آنسة ليللى». وتثاءب السيد كاست مرة أخرى وقال: «حسنا، وداعا يا آنسة ليللى، وداعا. أنا متأكد أنك كنت طيبة معى هنا دائما». فضحكت الآنسة ليللى وقالت: «لا تقل وداعا بهذه الطريقة كما لو كنت ستذهب بعيدا جدا ولن تعود». فقال لها: «لا، ليس بعيدا جدا. سأعود بسرعة». فقالت الآنسة ليللى: «سأراك إذن يوم الجمعة؟ أين ستذهب هذه المرة؟ هل ستذهب فى مكان قريب من البحر مرة أخرى؟» فقال كاست: « لا لا. إر– تشيلتنهام ». فقالت: «حسنا، إنها مكان لا بأس به، ولكنها ليست جميلة مثل توركواى. توركواى جميلة جدا. أنا أريد أن أذهب إليها فى الإجازة القادمة. على فكرة من الضرورى أنك كنت قد ذهبت إلى مكان قريب جدا من مكان جريمة القتل، القتل حسب الحروف الأبجدية. حدثت الجريمة بينما كنت هناك، أليس كذلك؟» فقال كاست: «أه– نعم. لكن تشارستون على مبعدة ستة أو سبعة أميال من المكان الذى كنت أعمل فيه». فقالت الفتاة: «لا يهم . لابد أن الموقف هناك كان مثيرا للغاية. ما هذا؟ يجوز أنك قد قابلت القاتل فى الشارع هناك دون أن تعرف أنه هو القاتل. كان يجوز أنك كنت قريبا جدا منه». فقال كاست: «نعم، ربما كنت قريبا جدا منه». ودحرج كاست ابتسامة صغيرة نحو الآنسة ليللى ماربورى، ولكنها كانت ابتسامة زاخرة بالألم والحزن، فقالت الآنسة ليللى: «أوه، يا سيد كاست أنت لا تبدو بصحة جيدة». فقال كاست: «أنا بخير تماماً. وداعا يا آنسة ماربورى».

واجتهد فى أن يرفع لها القبعة، وأمسك الحقيبة ورفعها، واستجمع قواه لكي يسرع بالخروج.

وقالت الآنسة ليللى متمتمة لنفسها: «شئ عجيب مضحك. إنه يبدو لى نصف خفاش. واضح أحيانا، غامض أحيانا أخرى».

وفى نفس ذلك الوقت كان المفتش كروم يقول لمساعده: «اعمل لى قائمة بكل الشركات التى تصنع الجوارب ومر عليها كلها. أنا أريد أيضا قائمة بأسماء كل الباعة الجائلين الذى يتعاملون مع هذه الشركات أو مع محلات الجملة التى تبيع الجوارب. يهمنا أن نصل إلى كل الباعة الجائلين الذين يبيعون الجوارب أمام أبواب المنازل. أسماؤهم وعناوينهم بقدر الإمكان مطلوبة. هذا مهم وعاجل». فقال مساعده: «هل هذا الإجراء من أجل قضية القتل وفقا للحروف الأبجدية يا سيدى؟» فقال المفتش كروم: « نعم. وهذه واحدة من بنات أفكار هركيول بوارو المتعبة لنا، ربما تكون غير ذات نفع، ولكن لا ينبغى أن نهمل أى شئ على الإطلاق مهما يكن تافها». فقال مساعده: « هذا صواب يا سيدى. لقد قام السيد بوارو بأعمال مجيدة أيام مجده، ولكننى أعتقد أنه قد خارت قواه إلى حد ما الآن؟» فقال المفتش كروم: «لقد أصبح كمكتب فى بنك. يقدم المقترحات، ويحظى بإعجاب بعض الناس، ولكنه لا يحظى بشئ من إعجابى أنا».

بعد ذلك بقليل كان توم هارتيجان يقول للآنسة ليللى ماربورى: «هل شاهدت صديقك العجوز

هاستينجز فى الصباح؟» فقالت: «من الذى تقصده؟ السيد كاست؟» فقال توم هارتيجان: « هل لك صديق عجوز غيره؟ أنا أقصده بالطبع. أقصد السيد كاست. شاهدته فى أيوستون. كان يبدو مثل دجاجة تائهة كعادته. أنا أعتقد أنه نصف مجنون. إنه يحتاج شخصا يعنى بشأنه. سقطت منه صحيفته على الأرض وهو يمشي ولا يحس بسقوطها.. ثم سقطت منه تذكرة سفر بالقطار... سقطت منه دون أن يدرى.. التقطت التذكرة بعد أن سار مسافة. كنت أظنها تذكرة عودة فأعطيها له، ولكننى وجدتها تذكرة ذهاب إلى أيوستون ثم دوناكاستر . وأعطيته التذكرة، فشكرنى. أنا لا أعتقد أنه تعرف على مع أنه كان قد نظر إلى». فقالت ليللى: «هل تقول أنك قد شاهدت السيد كاست فى أيوستون؟ أم أنك شاهدته فى بادنجتون؟» فقال توم: «أيوستون». فقالت: «هل أنت متأكد؟» فقال توم: «طبعا أنا متأكد. ماذا تعتقدين؟» فقالت: «هذا مضحك. ظننت أنه ذهب إلى تشيلتنهام عن طريق بادنجتون». فقال لها توم: «أنت تعتقدين ذلك. ولكن كاست العجوز لم يكن ذاهبا إلى تشيلتنهام. كان ذاهبا إلى دوناكاستر». فقالت: «تشيلتنهام». فقال توم: «دوناكاستر . أنا أعرف يقينا يا آنستى. أنا التقطت التذكرة وقرأت ما عليها بعينى رأسي. ألم أقل لك إننى فعلت ذلك؟». فقالت ليللى: «أوه، لابد أنك أخطأت. لقد قال لى أنا شخصيا: «إنه كان ذاهبا إلى تشيلتنهام. أنا متأكدة أنه قال لى ذلك. أنا أحب أن أرى السباق. فى دوناكاستر. لو قال لى أنه كان ذاهبا إلى دوناكاستر لذهبت معه». فقال توم: «السيد كاست لديه عمله، ولا أظن أنه يحب السباق. لا يبدو أنه من هذا النوع». فقالت ليللى: «أوه يا توم! أرجو ألا يقتله أحد . ستقع جريمة القتل القادمة اليوم في دوناكاستر التى ذهب إليها كاست العجوز». فقال توم: «كاست العجوز لا يعبأ أحد بمحاولة قتله. اسمه يبدأ بحرف كاف وليس بحرف الدال». فقالت ليللى: «كان يلزم أن يكون مقتولا فى جريمة القتل السابقة لو كان مستهدفا. لقد كان موجودا بالقرب من مكان حدوث الجريمة السابقة بالقرب من تشارستون». فقال لها توم: «هل قال لك ذلك؟ هذه مصادفة غريبة، أليس كذلك؟»

وضحك توم وقال: «ألم يكن موجودا أيضا فى بيكس هيل عندما وقعت جريمة القتل الثانية كما كان موجودا بالقرب من مكان جريمة القتل الثالثة، لماذا يحوم الآن بالقرب من جريمة القتل الرابعة التى هى على وشك الحدوث؟».

وقطبت ليللى جبينها تفكر وتفكر ثم قالت: «كان هناك. كان فى بيكس هيل يوم وقوع الجريمة الثانية أيضا. كان قد نسى لباس البحر، وكانت أمى تخيط بعض ما يلزم أن يخاط فيه. وقالت أمى: «ها هو ذا كاست العجوز قد نسى لباس البحر مرة أخرى. وقلت لها: وأنا أقرأ صحيفة: لا يهم لباس البحر يا أمى. لقد وقعت جريمة قتل رهيبة فى بيكس هيل. كاست العجوز كان هناك أيضا عندما خنقت فتاة على شاطئ بيكس هيل». فقال توم: «بكم تراهنين يا ليللى أن صديقك العجوز هو القاتل فى هذه الجرائم الغامضة؟» وضحكت ليللى وقالت: «كاست المسكين. إنه لا يقتل ذبابة».

وفى اللاوعى كان شئ قد بدأ فى الوجود.



الفصل الثالث والعشرون
دونكاستر فى ١١ سبتمبر

سأظل أتذكر يوم الحادى عشر من شهر سبتمبر فى دونكاستر طوال حياتى. وبالفعل، كلما ذكر أمامى عيد سانت ليجير، لم يكن ذهنى يتذكر سباق الخيل الذى يجرى فى يوم الاحتفال بذكرى هذا العيد كما هو شأن كل الناس، بل كان ذهنى يتجه مباشرة إلى جريمة القتل.

وعندما أستعرض مشاعرى وأدقق فيها يبرز من بينها على الفور شعور مقزز لانعدام الكفاية. كنا هناك جميعا بوارو وأنا، وفرانكلين كلارك، ودونالد فريزر، وميجان برنارد، وتورا جراى، ومارى دროور، وفى خاتمة المطاف، ماذا بوسع أى شخص منا أن يفعل ليحول دون وقوع جريمة القتل هذه؟!

كنا نبنى آمالا فوق أمل واهٍ متهاوٍ. هذا الأمل الواهى المتهاوى كان هو أملنا فى أن تتاح لشخص منا فرصة التعرف بين زحام الآلاف من الناس على وجه شخص غير محدد الملامح عندما يراه فى فرصة ربما تسنح لأى شخص منا.

وكانت الغرائب كلها تتمثل فى أن الشخص الوحيد الذى كنا نأمل أن يكون قد شاهد القاتل من قبل كان يتمثل فى شخص الآنسة تورا جراى وحدها دون سواها. كنا نفترض أن تورا جراى وحدها هى التى رأت القاتل من قبل، وهى التى يمكن أن تتعرف عليه. لقد حاول أن يبيع الجوارب على باب القصر، وكانت هى ترفض الشراء. إن الآنسة تورا جراى هى الشخص الوحيد الذى يجوز أن تكون رأت القاتل من قبل، وهى الشخص الوحيد بيننا الذى يمكن له أن يتعرف عليه لو شاهدته مرة أخرى.وكان قدر كبير من ثبات جنانها قد انهار تحت وطأة شعورها بالتقصير وإهمالها الجسيم فيما لم يصح إهماله، وكانت تعتذر من آن لآخر لبوارو أنها لم تكن تعرف أبدا أن بائع الجوارب كان يمكن أن يكون هو القاتل.كانت تعتبره مجرد بائع جوارب. وكان كلارك يقول: «لماذا تحتم أن يكون بائع الجوارب هو القاتل؟ وكان بوارو يصر على أن الجوارب ليست مجرد مصادفة. وطوال ذلك الوقت وذلك الجدل كانت تورا جراى تشعر بالذنب من جراء التقصير، وتكاد تبكى وتعاود الاعتذار إلى بوارو.

كانت تقول لبوارو: «أنا لم أنظر إلى ملامحه إطلاقا فى حقيقة الأمر. لم يكن ذلك يعنينى أبدا. لماذا فعلت ذلك؟ كان ذلك خطأ منى كم كنت غبية! أنتم تعتمدون على أنا الآن. كلكم تعتمدون على الآن... وأنا سأخيب أملكم... لأننى حتى ولو رأيته مرة أخرى، يجوز ألا أستطيع التعرف عليه! ذاكرتى ضعيفة جدا فى مجال التعرف على وجوه الناس وتفاصيل ملامحهم.» ولم يكن بوارو رغم شكواه المرير لى من جراء ضياع هذه الفرصة تقريبا يولى الآنسة تورا جراى عطفاً كبيراً. كان يعاملها ويتحدث إليها بأقصى درجات اللطف والود والمحبة. ولقد أدهشنى أن بوارو لم يكن يقل عنى رغبة فى مساعدة الجمال عندما يكون الجمال فى محنة حقيقية. كنت أراه أكثر من مرة يربت بحنان أبوى على كتفها ويقول

لها: «الآن يا صغيرتى لا تفيدنا بلاهة الصغيرات. أنت آنسة ناضجة يا صغيرتى. أنا متأكد أنك فور أن تشاهديه مرة ثانية ستتعرفين عليه. كثير من صفاته التى لا توصف ستجدينها أمامك مباشرة. ليته يظهر أمامك! أنا متأكد يا آنسة جراى أنك ستتعرفين عليه. سيكون هذا أكبر خدمة للشعب البريطانى بأسره!».

وكانت تورا جراى تقول له: «لماذا أنت متأكد؟» فيقول لها بوارو لأن الأحمر يأتى دوره بعد الأسود». وصحت أنا به قائلا: «الأحمر يأتى دوره بعد الأسود؟ ما معنى هذا الذى تقوله يا بوارو؟» فيقول بوارو: « بالضبط يا هاستينجز . بالضبط. فى هذا الاعتبار بالضبط يكون المغامر(والقاتل إنما هو مغامر ولكنه يغامر بحياته) مفتقرا إلى ذكائه وحسن إدراكه أثناء انهماكه فى المغامرة. ولأنه كسب مرات سابقة يظن أنه سيكسب فى هذه المرة أيضا! هكذا الشأن أيضا بالنسبة إلى الجريمة! المجرم القاتل الذى يفلت من الاتهام فى جريمة قتل يظن أنه سيفلت فى كل مرة ولا يعتقد أنه سيتم القبض عليه. إنه يتخذ لنفسه كل احتياطات الأمن من أن يوجه إليه الاتهام، ويظن أنه بارع فى ذلك لأنه قد نجح فى ذلك من قبل. ولكنني أقول لكم يا أصدقائى: «إنه لا توجد جريمة قتل تمر دون اكتشاف القاتل إلا بمساعدة الظروف».

قال فرانكلين كلارك : «أليس الاعتماد على الظروف وحده للإمساك بمثل هذا القاتل احتمالا بعيد المنال؟».

ولوح بوارو بيده وهو منفعل إلى أقصى درجات الانفعال وقال: «لا،لا إنها ليست مجرد المصادفة، وليس مجرد الظروف التي تكون مواتية لك أو غير مواتية. فكر في الأمر جيدا. ربما يكون قد حدث أن شخصا دخل محل السيدة آستشر في لحظة انصراف القاتل منه. ويجوز أن يكون هذا الشخص قد شاهد المجني عليها وراء المكتب ودمها لا يزال ساخنا، فيقبض علي المجرم أو يتردد في ذلك ويفلت المجرم، ولكن الرجل يذهب إلى رجال الشرطة ويبلغهم، وربما يحجم عن ذلك ويشاهد القاتل في مكان آخر بعد وقت طويل فيمسك به دون أن يشعر ويقول له: «أنت القاتل. تعال معي».توجد أكثر من فرصة لا تخطر في بال القاتل لإمكانية الإمساك به. أكثر من فرصة دائما. المهم أن توجد فرصة. وربما تكفي فرصة واحدة ويتم القبض علي القاتل».

قال فرانكلين كلارك: « نعم،طبعا،هذا ممكن.. ولكن الذي يحدث بالفعل الآن هو أن القاتل هو الذي تتاح له الفرصة وتحالفه الظروف، ولسنا نحن الذين تتاح لنا الفرصة أو تحالفنا أي ظروف».

قال بوارو: «القاتل مقامر مغامر فى حقيقة الأمر كما سبق لى القول إن القاتل الذى تعود أن يقتل لا يعرف متى يتوقف عن القتل مثل المقامر الذى لا يعرف متى يتوقف عن المقامرة. ومع كل جريمة تزداد ثقته فى قدراته. إنه لا يقول فى قرارة نفسه كنت ماهرا ومحظوظا، ولكنه يقول كنت ماهرا فقط! ويتضخم فى نفسه إحساسه بمهارته، وبعد ذلك يا أصدقائى تدور الدائرة، ويتغير اللون الرابح إلى لون آخر خاسر».

قالت ميجان برنارد وقد قطبت جبينها من كثرة التفكير: «هل تعتقد يا سيد بوارو أن شيئا من هذا القبيل سيحدث فى هذه القضية؟» فقال بوارو: «هذا هو ما يجب أن يحدث فى هذه القضية عاجلا أم آجلا. وأنا أعتقد أن الظروف قد أصبحت فى جانبنا الآن! وقرينة الجوارب هى بداية القرائن وسنصل

إلى الأدلة الدامغة الحاسمة! الآن، بدلا من أن يحدث كل شئ مباشرة لمصلحته، سيحدث من الآن فصاعدا كل شئ لمصلحتنا. وهو سيرتكب أخطاء...».

قال فرانكلين كلارك: «أستطيع أن أقول إنك قد نجحت فى أن تجعل قلوبنا أقوى الآن مما كانت. إننا بحاجة إلى شئ من العزم. أنا شخصيا كان عندى شعور بالعجز يشبه الشعور بالشلل المرضى التام لدرجة أننى كنت أشعر أننى عاجز تماماً عن أى حركة مفيدة فى هذه القضية». وقال دونالد فريزر: القضية تبدو بالنسبة لى معقدة إلى أقصى لدرجة أننا عاجزون عن إنجاز أى شئ له قيمة». فقالت له ميجان برنارد: «لا تكن انهزاميا يا دونالد». وقالت مارى دروور: «ما أقول أنا هو أن هذا الشيطان المجرم موجود هنا. ونحن موجودون هنا. وأنتم لا تفعلون شيئا سوى أن تتقدموا من بعض الناس لتحملقوا فى وجوههم فقط». وزمجرت أنا قائلا: «آه لو كنا نستطيع أن نفعل أكثر من ذلك!»

قال بوارو: «يجب أن تتذكر يا هاستينجز أيضا أن رجال الشرطة يفعلون كل شئ معقول فى استطاعتهم. مخبرون سريون لهم خبرات كبيرة موجودون ويحلم كل منهم أن يكون له شرف الإمساك بالقاتل. وربما كان المفتش كروم رجلاً مزعجا، ولكنه من أكفأ ضباط الشرطة وقد تم اختياره بالفعل لأنه من أكفأ ضباط الشرطة. والكولونيل آندرسون قائد الشرطة المحلية رجل نشيط يهتم كثيرا بعمله. وهم جميعا قد أخذوا أقصى درجات الاستعداد للطوارئ والمسح الشامل للمنطقة ولحلبة السباق. ويوجد رجال الشرطة الذين يرتدون الملابس المدنية فى كل مكان. وتكون أيضا الحملة الصحفية. إن الجمهور نفسه معبأ إلى أقصى حد. وكل شخص سيأخذ حذره إلى أقصى مدى».

قال دونالد فريزر وهو يهز رأسه: «أنا أعتقد أنه لن يفعلها هذه المرة وإلا كان رجلا مجنونا!» فقال فرانكلين كلارك: «لسوء الحظ أنه بالفعل رجل مجنون. ماذا تعتقد أنت يا سيد بوارو؟ هل سيتراجع عن الجريمة هذه المرة أم أنه سيحاول أن ينفذها؟»

قال بوارو: «وجهة نظرى هى أن شدة عناده ستملى عليه أنه يجب عليه وجوبا لا فكاك منه أن يرتكب هذه الجريمة وينفذ تهديداته! وإن لم يفعل ذلك سيكون هذا بمثابة اعتراف عملى بفشله، وهو ما تسمح به طبيعته المريضة. ويجوز لى فى هذا الصدد أن أقول:إن هذه هى وجهة نظر الدكتور ثومبسون أيضا. وأملنا هو أنه يجوز أن يتم القبض عليه وهو يحاول ارتكاب الجريمة».

وهز دونالد فريزر رأسه وقال: «سيكون ماكرا جدا».

ونظر بوارو فى ساعة يده. كنا قد اتفقنا على أن نتجول ونراقب الشوارع بقدر الإمكان، ومكان السباق أيضا. وكان قد تم تحديد جزء لكل شخص.

وأنا أقول»إننا» ولكننى كواحد من أفراد الرابطة لم أكن قد رأيت القاتل من قبل أبدا. وكنت أشعر بالإحباط التام والفشل المؤكد. ولذلك اقترحت على بوارو أن أنضم إلى واحدة من الآنسات. ووافق بوارو على اقتراحى وهو يغمز لى بعينه. وذهبت الفتيات لكى ترتدى كل منهن قبعتها. وكان دونالد فريزر يقف بجوار النافذة ويفكر. وكان فرانكلين كلارك يحملق فيه. وعندما أدرك أنه لا توجد أى فائدة من الكلام معه، تحول نحو بوارو وقال له: «انظر يا سيد بوارو. أنت ذهبت إلى منزلنا فى تشارستون، وقابلت زوجة أخى. هل هى قالت لك ـ أو ألمحت ـ أقصد ـ ألم تقل أى شئ؟» وظهر على وجهه الاضطراب والحرج.

وأجاب بوارو بعفوية بدت فى غاية الغرابة وهو يقول: «كيف ذلك؟ وماذا كانت تستطيع زوجة أخيك فى حالتها المرضية أن تقول؟ لم تقل أى شئ». فقال فرانكلين كلارك وقد احمر وجهه: «ربما تعتقد أن الوقت غير مناسب لمناقشة الأمور الشخصية؟» فقال بوارو: «على الإطلاق». فقال فرانكلين كلارك: «ولكننى أشعر أنه يلزمنى ان أجعل كل شئ واضحا». فقال بوارو: «هذا هو أحسن مسار لتفكير أى رجل».

وأعتقد أن فرانكلين كلارك قد اطمأن تماماً إلى أن بوارو لم يسمع إلا قليلا من كلام زوجة أخيه فقال: «زوجة أخى امرأة لطيفة على نحو مرعب- لكنها طبعا أصبحت مريضة منذ وقت طويل- وهذا النوع من المرض- وهى تتعاطى أدوية ذات تأثير قوى- يميل الإنسان- حسنا- أن يتخيل أشياء عن الناس!» فقال بوارو: «آه» ولمحت غمزة بوارو لى بوضوح كاف هذه المرة، لمحتها أكثر مما لمحت الغمزة السابقة.

فقال فرانكلين: «المسألة تتعلق بالآنسة تورا. الآنسة جراى». فقال بوارو: «هل أنت تتحدث عن الآنسة جراى؟» وبدا بوارو مندهشا وفى غاية البراءة. فقال فرانكلين كلارك: «نعم. تتسلط أوهام على عقل الليدى كلارك! وأنت تدرك أن تورا- الآنسة جراى طيبة، وتبدو بنتا جميلة». فقال بوارو: «ربما نعم. جميلة». فقال فرانكلين: «النساء، حتى أفضل النساء، يغرن من أى بنت جميلة. وبالطبع كانت قيمة تورا لا تقدر بالنسبة لأخى. كان دائما يقول لى أنها أفضل سكرتيرة حظى بخدمتها. كان يحبها جدا أيضا. ولكن كان حبه له حبا نقياً دون أى شائبة. ليست تورا من نوع البنات اللاتى-» فقال بوارو: «لا ليست تورا من هذا النوع الردئ من البنات».

قال فرانكلين كلارك: «ولكن زوجة أخى كانت قد وضعت فى رأسها فكرة ثابتة أن تورا- حسنا- كانت زوجة أخى تغار منها فيما أعتقد لا لأنها رأت أى شئ. ولذلك، وبعد وفاة أخى كارمايكل، وعندما ناقشنا مسألة بقاء تورا فى الخدمة- حسنا- اتخذت شارلوت زوجة أخى موقفا عدائيا قاطعا منها. بالطبع، كان هذا بتأثير المرض والأدوية وتأثير مسكنات المورفين وغير ذلك. هذا هو ما تقوله الممرضة كابستيك. إنها تقول إننا يجب إلا نلزم شارلوت زوجة أخى لوجود هذه الأفكار فى ذهنها».

وتوقف فرانكلين عن الكلام. فقال بوارو: «نعم» فقال فرانكلين: «ما أريد أن أقوله لك يا سيد بوارو هو أنه لا شئ فى الموضوع على الإطلاق. إنه مجرد أوهام امرأة مريضة. انظر هنا». ووضع يده فى جيبه وأخرج ورقة مطوية وقال: «هذا خطاب كان قد أرسله إلّى أخى كارمايكل عندما كنت فى الملايو. وأنا أحب أن تقرأه لكى تعرف بالضبط نوع العلاقة التى كانت بين أخى وسكرتيرته الآنسة تورا. وأعطى الخطاب لبوارو. ووقف بجواره وأشار إلى فقرة من الخطاب بإصبعه وأخذ يقرأ بصوت عال ما يلى:

»_ الأمور تسير هنا كالمعتاد إلى حد كبير. شارلوت، زوجتى تخلصت نوعا من آلام المرض. وكنت أود لو كان الإنسان يستطيع أن يقول أكثر من ذلك. لعلك تتذكر تورا جراى؟ إنها بنت عزيزة وعزاء عظيم لى بأكثر مما يمكن لى أن أخبرك به. أنا لا أعرف ماذا كنت أفعل فى هذا الزمن الردئ لولاها. إن عطفها وإقبالها على العمل لا يخيبان الظن فيها أبدا. لها ذوق رفيع المستوى وإحساس بالأشياء الجميلة، وهى تشاطرنى الاهتمام بالتحف الصينية الفنية. كنت محظوظا بالفعل عندما عثرت عليها. ولا توجد ابنة يمكن أن تكون متعاطفة معى وقريبة منى مثل تورا جراى. كانت حياتها صعبة ولم تكن على الدوام

سعيدة، ولكننى مسرور أنها تجد عندى البيت والمحبة الحقيقية».

وبعد ذلك قال فرانكلين: «أنت تدرك كيف كان أخى يشعر نحوها. كان يعتبرها ابنته. إن ما أشعر أنا أنه ليس عدلا أبدا أنه لمجرد موته تنقلب عليها زوجة أخى عمليا لكى تطردها من المنزل! النساء شيطانات فى حقيقة الأمر يا سيد بوارو» فقال بوارو: «تذكر أن زوجة أخيك مريضة تتألم كثيرا». فقال فرانكلين: «أنا أعرف. هذا هو ما أقوله لنفسى دائما. لا ينبغى أن نؤاخذها. وعلى كل حال، أردت أن أطلعك على هذا الخطاب. أنا لا أريد أن يكون عندك أى انطباع سيئ عن تورا من جراء أى شئ تكون الليدى كلارك قد قالته لك».

وأعاد إليه بوارو الخطاب وهو يبتسم ويقول له: «أستطيع أن أؤكد لك أننى لا أسمح لنفسى أبدا أن أضع فى اعتبارى أى أعتبارات زائفة من جراء كلام يقوله لى أى شخص. عندى القدرة الكافية بفضل الله على التمحيص الكافى. إننى أهتم بتكوين أحكامى بكل دقة وعناية».

قال فرانكلين كلارك: «أنا مسرور أننى أطلعتك على هذا الخطاب على كل حال. لقد عادت البنات. نستطيع أن نخرج».

وعندما كنا على وشك الخروج قال لى بوارو: «هل أنت مصمم أن تنضم لأعضاء اللجنة يا هاستينجز؟» فقلت له: «أوه، نعم. لن أكون سعيدا لو بقيت أنا هنا خاملاً لا أعمل شيئا». فقال بوارو: «يوجد نشاط للعقل كما أنه يوجد نشاط للجسم يا هاستينجز». فقلت وأن أرجو أن أغيظه: « أنت أقدر منى على أن تعمل بعقلك. اجلس أنت هنا ودع عقلك يعمل». فقال: «أنت على صواب يا هاستينجز. هل ما أتوقعه صحيح من أنك ستكون الفارس الذى يتولى حماية إحدى الفتيات؟» فقلت: «لقد كانت هذه هى فكرتك». فقال بوارو: «وأى الفتيات ستتشرف بصحبتك لها؟» فقلت: «حسنا. إر- أنا لم أحسم هذه المسألة بعد». فقال: «هل هى الآنسة جراى؟» فقلت: «نعم. هذا أفضل». فقال بوارو: «أنا آسف لاضطرارى أن أقلب خطتك رأسك على عقب. ولكننى أرجوك أن تتجه بمظلة حمايتك جهة أخرى». قلت: « وهو كذلك. أعتقد أنك بدأت تصفح عنها وتريد أن تصحبها لتعرب لها عن صفحك وغفرانك». فقال بوارو: «الفتاة التى ستبسط فوقها مظلة حمايتك هى مارى درورور. ويجب وأرجوك ألا تغمض عينيك عنها» قلت: «ولكن، لماذا يا بوارو؟» فقال: «لأن اسمها يبدأ بحرف الدال فى لقبها يا صديقى. لا ينبغى أن نخاطر بأى شئ بحيث يقع أحدنا فى المصيدة بدلا من أن يصطاد».

واقتنعت بوجاهة وجهة نظره. بدت بعيدة الاحتمالات فى البداية، ولكن إذا كان القاتل وفقاً للحروف الأبجدية يؤثر بوارو باستلام خطاباته فهو لابد يراقبه بأى وسيلة، ولابد أنه قد عرف بوصول مارى درورور إلى لندن، ويمكن أن يخمن السبب فى ذلك، فيحاول التخلص من الفتاة التى يبدأ اسمها فى اللقب بحرف الدال فتكون الضربة موجعة إلى أقصى مدى، وهكذا تبدو له مارى درورور ضربة قادمة قاصمة. وكان من الضرورى أن أعطى بوارو وعدا بأن أكون أمينا على من يأتمننى عليها. وخرجت وتركت بوارو جالسا على كرسى بالقرب من النافذة سابحا فى بحر من الخيالات والآمال فى غد أفضل».



الفصل الرابع والعشرون
(ليس مما يرويه هاستينجز)

أفلتت صيحة تأفف خافتة تدل على الضيق ونفاد الصبر من بين شفتى السيد ليدبتر عندما تعثر رجل فى الكرسى المجاور له وسقطت قبعته على كرسى فى الصف الذى أمامه فانحنى الرجل لكى يسترجعها.

ولقد حدث كل ذلك عندما كانت نقطة الذروة فى الفيلم يتم عرضها على الشاشة قرب نهاية فيلم «لن يسقط العصفور»، هو فيلم يصور مأساة كبيرة كان السيد ليدبتر مشوقا منذ أكثر من أسبوع أن يراها على الشاشة.

كنت البطلة الذهبية الشعر التى كانت تقوم بدورها الممثلة كاترين رويال (التى كانت فى نظر السيد ليدبتر أعظم ممثلة سينما فى العالم) عندئذ بالضبط، عندما تعثر الرجل فى الكرسى المجاور، كانت الممثلة القديرة تصيح صيحة سخط تأبى المهانة وتقول: «لن يحدث هذا أبدا. تظن أننى سأتضور جوعا! لكننى لن اتضور جوعا! تذكر كلماتى هذه :لن يسقط العصفور من الجوع أبدا وهو يطير عاليا فى السماء!»

وأدار السيد ليدبتر رأسه من اليمين إلى اليسار حتى لا يقطع عليه الرجل الذى تعثر فى الكرسى المجاور له رؤية المشهد ومسمع هذا المقطع الرائع من الحوار تؤديه بكل إتقان هذه الممثلة الرائعة وهو يقول فى نفسه: «ما هؤلاء الناس! ينصرفون عن متابعة الفيلم ورؤية هذا المشهد المؤثر وهو ذروة المأساة فى الرواية لكى يسرعوا فى الانصراف من السينما قبل أن تضاء الأنوار لمجرد خشية الزحام عند الانصراف! لماذا جاءوا إلى السينما أصلا عندما يعزفون عن رؤية وسماع المشاهد الأخيرة من الفيلم وفيها تتمثل كل عظمة وروعة الفيلم؟! ألا يستطيعون أن ينتظروا حتى نهاية الفيلم؟ هل يغادرون الفيلم فى هذه اللحظات المثيرة من نهايته ويتعثر الرجل بجوارى ويكاد يفسد روعة المشهد الذى يهمنى مشاهدته وسماع هذه اللقطة من الحوار فيه؟ منظر رائع، حوار أكثر روعة، وأداء يبلغ ذروة القمة!

آه، هذا أفضل. لقد مر الرجل المتعثر الخطوات، المتعثر المزاج، وخرج مبكرا من السينما. وحظى السيد ليدبتر بمشاهدة أفضل كاملة دون مضايقات للممثلة كاترين رويال وهى تقف بجوار النافذة فى حى فان شرينر مانسيون فى نيويورك. وكانت الآن قد ركبت القطار وطفلها بين ذراعيها... ما هذه القطارات العجيبة فى أمريكا. إنها لا تشبه القطارات فى إنجلترا. إنها أجمل منها وأسرع.

آه، وها هو ذا البطل ستيف فى كوخه فوق الجبال قد ظهر مرة أخرى فوق الشاشة... ويتابع الفيلم مساره نحو نهايته العاطفية. وتنهد السيد ليدبتر فى رضا تام عندما انتهى الفيلم وأضيئت الأنوار على الفور.

ونهض السيد ليدبتر على قدميه وهو يحاول أن يمشى فيحس فى قدميه عرجا خفيفا. لم يكن قد اعتاد أن يغادر السينما بسرعة أبدا. كان دائما ينتظر بضع دقائق ليخف زحام الخارجين من السينما

وليتعود على الإحساس بالحياة الواقعية اليومية وليتخلص من خيال الأفلام.

ونظر السيد ليدبتر حوله. كان عدد الناس فى السينما قليلا هذه المرة - هذا طبيعى. معظم الناس ذهبوا لمشاهدة السباق! لكن السيد ليدبتر لم يحب مشاهدة السباق، ولم يكن يحب لعب الورق، ولم يكن يحب شرب الخمر ولا التدخين. كان يحب القراءة فقط ومشاهدة الأفلام ذات القصص الشهيرة.

وكان كل الموجودين داخل السينما بعد انتهاء العرض يسارعون فى الانصراف. واستعد السيد ليدبتر أن يخرج بهدوء دون عجلة وكان الرجل فى الكرسى الذى أمامه نائما. وعجب السيد ليدبتر أن رجلا يستطيع أن ينام أثناء عرض فيلم رائع مثل فيلم«لن يسقط العصفور».

وكان الرجل تبدو على وجهه أمارات الغضب يقول للرجل النائم فى كرسيه: «معذرة يا سيدى». وكان يريد أن ينهض الرجل عن كرسيه ويمشى للخروج فلا يعطل طريقه، أو يميل برجليه الممدودتين أمامه فيفسح له طريقا لكى يتجاوزه إذا لم يكن الرجل النائم يريد أن يغادر السينما.

ووصل ليدبتر إلى باب الخروج. ونظر وراءه. كان يبدو أن وراءه شيئا من الهياج غير المعتاد. حضر مدير السينما... وتجمعت حول الرجل النائم مجموعة من الناس... ربما كان الرجل النائم أمامه قد أفرط فى الشراب وفقد كل حواسه... ولم يكن مجرد شخص نائم... وكان مدير السينما يقول: «أنا أعتقد أنك على صواب يا سيدى... يبدو أنه مريض!ما هذا؟ ما الحكاية يا سيد؟».

كان الرجل الآخر الذى اقترب من الرجل النائم أو المريض ليتحسسه قد رفع يده عنه وهو يصيح متأملا سائلا أحمر اللون لطخ يده... فصاح:دم! وصاح المدير صيحة دهشة. واقترب المدير بدوره من الرجل، وشاهد تحت الكرسى كتاب أصفر اللون، جذبه من تحت الكرسى وقال: «يا إلـ... يا إلهى! إنه دليل مرتب أبجديا للقطارات!...».



الفصل الخامس والعشرون
(ليس مما يرويه هاستينجز)

خرج السيد كاست من سينما ريجال وتطلع نحو السماء وطاف بذهن كاست بيت شعر للشاعر براوننج يقول:

ما دام الله متربعا على العرش فى سمائه فكل شئ على ما يرام فى أرضه.

كان السيد كاست يحب هذا البيت من الشعر حبا جما. كان يجد فيه السلوى والعزاء كلما صادف صعوبة أو هما.

واستمر السيد كاست فى المشى فى الشارع وهو يبتسم فى رضى عن نفسه وفى سعادة هذه المرة حتى وصل حى بلاك سوان حيث كان يقيم.

وصعد درجات السلم فى مدخل البيت ووصل إلى حجرة نومه، وهى حجرة صغيرة تكتظ بأثاث

قليل فى الطابق الثانى.

وعندما دخل الحجرة غاضت الابتسامة عن وجهه فجأة. كانت هناك بقعة على كمه بالقرب من رسغ يده. لمسها متهيبا جدا. كانت لزجة وحمراء اللون ـ دم!

ودس السيد كاست يده فى جيبه، وأخرج من جيبه شيئا ـ كان ذلك الشئ عبارة عن سكين رفيعة النصل. وكان نصل السكين أيضا ملطخا بالدم! وكان الدم جافا لزجا أحمر اللون... وجلس السيد كاست لا يتحرك مدة طويلة وأخذت عيناه تنظران فى أرجاء الحجرة كعينى حيوان تم صيده. وكان لسانه يلعق شفتيه أكثر من مرة وهو يقول لنفسه: «إنها ليست غلطتى». كما يبدو كما لو كان يجادل آخر ـ كان يشعر أنه تلميذ مخطئ خطأ سخيفا أمام ناظر مدرسته الذى سيختار له العقاب المناسب. ومر لسانه فوق شفتيه مرة أخرى. ولمس لطخة الدم على كمه مرة أخرى. وعبرت عيناه أرجاء الغرفة نحو حوض الغسيل. وبعد دقيقة كان يصب الماء من إبريق ضخم فى الحوض. وخلع معطفه، ووضع الكم الذى يحمل اللطخة فى الحوض وأخذ يحكه بشدة بكل عناية كما لو كان يريد للطخة الدم أن يتبخر منها الدم كله ولا يبقى له أى أثر.

آه، أصبح الماء ذاته أحمر اللون... وسمع طرقة على الباب... ووقف ساكنا لا يتحرك فى مكانه، يحملق ولا يشعر بأى شئ. وانفتح الباب. ودخلت امرأة بدينة ـ فى يدها إبريق كبير الحجم. وقالت: «أوه! معذرة يا سيدى. الماء الساخن أحضرته لك يا سيدى». ونجح أخيرا فى أن يتكلم. قال: «أشكرك... لقد اغتسلت بماء بارد».

لماذا قال ذلك؟ لقد تحولت أنظار المرأة إلى حوض الاستحمام. فقال وهو شبه نائم: «لقد جرحت إصبعى». وسكت عن الكلام... ثم قالت المراة: «نعم يا سيدى» وخرجت من حجرته، وأغلقت الباب.

وظل السيد كاست واقفا كما لو كان قَدْ قُدَّ من حجر. أصغى. لقد وقعت الواقعة أخيرا. هل كانت توجد أصوات فى الخارج ـ صيحات تعجب ـ أقدام تصعد السلم؟ أصغى. لم يكن يسمع شيئا سوى صوت دقات قلبه...

ثم فجأة، من انعدام الحركة كلوح من الثلج لا يتحرك من مكانه، إلى وثبة فى غاية النشاط والحيوية. ألقى معطفه فوق جسمه، ومشى على أطراف أصابع قدميه نحو الباب وفتحه. لم تكن هناك أصوات الزبائن المعتادة داخل المطعم ونزل درجات السلم... لم يقابل أى شخص من الناس. كان الحظ مواتيا. ووقف عند آخر درجة نزل إليها من السلم. أين يتجه الآن؟

حزم السيد كاست رأيه. جد السير فى ممر مفض إلى باب الفناء. وكان اثنان من السائقين هناك يساومان الرابحين والخاسرين من الزبائن. جد كاست السير وعبر الفناء ومضى إلى الشارع. انعطف فى أول منعطف جهة اليمين مع ثانى منعطف جهة اليسار ثم انعطف فى ثالث منعطف جهة اليمين مرة أخرى... هل يستطيع أن يغامر بالوصول إلى المحطة؟ نعم، سيكون هناك فى المحطة زحام من الناس، وقطارات، ولو حالفه الحظ سيعمل ما يجب كما يجب... لو كان الحظ معه... الحظ فقط!.



الفصل السادس والعشرون
(ليس مما يرويه هاستينجز)

كان المفتش كروم يصغى إلى الأقوال المنفعلة التي يدلى بها إليه ليدبتر إذ يقول: «أؤكد لك يا سيادة المفتش أن قلبى تنقص دقة من دقاته عندما أفكر فى ذلك. كان من الضرورى أنه كان يجلس بجوارى طوال العرض السينمائى!».

ويقول المفتش كروم غير مكترث بعدد ضربات قلب السيد ليدبتر: «كيف تجعلنى أستوعب ذلك بوضوح تام بالضبط؟ هذا الرجل خرج قرب انتهاء العرض السينمائى ـ» فقال السيد ليدبتر: «فيلم لن يسقط العصفور ـ بطولة كاترين رويال». فقال المفتش كروم: «مر أمامك، وتعثر وهو يمر أمامك ـ» فقال السيد ليدبتر: «تظاهر بأنه قد تعثر. أنا أدرك ذلك الآن. ثم اتكأ على المقعد الذى أمامي لكى يلتقط قبعته. ومن الضرورى أنه طعن الرجل المسكين عندئذ».

قال المفتش كروم: «ألم تسمع أى شئ؟ صيحة ألم؟ أى أنين؟» ولم يكن السيد ليدبتر قد سمع أى شئ سوى صوت الممثلة الممتازة النطق كاترين رويال فى ذلك المشهد الرائع والحوار الممتاز، ولكنه أمام المفتش كروم لم يجد بأسا فى أن يقول إنه سمع صوت أنين ضعيف.

واعتبر المفتش كروم أن صوت الأنين الضعيف لا يهم وأمر السيد ليدبتر أن يستمر فى الكلام، فقال السيد ليدبتر: «ثم خرج».

قال المفتش كروم: «هل تستطيع أن تصف ملامحه؟» فقال السيد ليدبتر: «كان رجلا ضخما جدا. ستة أقدام على الأقل. كان عملاقا».

قال المفتش كروم: «هل كان أشقر الشعر أو أسود الشعر؟» فقال السيد ليدبتر: «أنا ـ حسنا ـ أنا لست متأكد بالضبط. أعتقد أنه كان أصلع الرأس. رجل يبدو على وجهه الشر».

قال المفتش كروم: «ألم يكن يعرج؟» فقال السيد ليدبتر: «نعم، نعم أنا وقد ذكرت ذلك فأنا أعتقد أنه كان يعرج. كان أسمر اللون جدا. أعتقد أنه كان نصف هندوسى».

قال المفتش كروم: «هل كان موجودا فى مقعده عندما كانت الأنوار مضاءة؟» فقال السيد ليدبتر: «لا. هو كان قد جاء وجلس بجوارى بعد أن أطفأت الأنوار وبدأ عرض الفيلم. وقام وتعثر أو تظاهر بأنه تعثر قبل أن تضاء الأنوار فى نهاية الفيلم».

وأومأ له المفتش كروم برأسه وأعطاه القلم ليزين بتوقيعه تحت أقواله، وتخلص منه بذلك المفتش كروم. وبعد انصراف السيد ليدبتر انفجر المفتش كروم يقول: «هذا هو نوع الشهود الذين تجدهم. لا يكاد يقول شيئا فيه دلالة طفيفة. من الواضح تماماً أنه ليس عنده أى فكرة عن ملامح وجه الرجل الذى نريده. دعنا نستجوب مدير السينما مرة أخرى».

كان مدير السينما رجلا مشدود القامة إلى أكبر حد كما لو كان قد قضى مدة طويلة من عمره فى

حياة عسكرية متزمتة ثم تحول من الجانب العسكرى فى الحياة إلى الجانب المدنى من الحياة، وأصبح مديرا لإحدى دور السينما. دخل ووقف وقفة انتباه عسكرية ويداه مشدودتان ملتصقتان بساقيه، وعيناه مركزتان فى اتجاه واحد نحو الكولونيل أندرسون. وقال له المفتش كروم: «والآن يا سيد جيمسون، دعنا نسمع حكايتك».

وقام جيمسون بأداء التحية العسكرية المبالغ فيه، فرفع يده حتى كادت أصابع يده تلمس حاجب عينه اليمنى ثم أنزلها بشدة وبسرعة ومن أقرب طريق وقال: « تمام يا أفندم. عند نهاية العرض يا فندم، وفى صالة الشلنين وأربعة بنسات أخبرونى أنه يوجد أحد السادة المتفرجين قد أصابه مرض مفاجئ يا فندم. وكان أحد المتفرجين يجلس فى مقعده كالمشلول. وكان بعض المتفرجين ملتفين حوله. كان الرجل يبدو لى أن حالته سيئة جدا يا فندم. ووضع أحد السادة الذين التفوا حوله يده على معطف الرجل، ولفت نظرى أنه يقول: «دم». كان من الواضح أن الرجل ميت. مطعون طعنة قاتلة يا فندم. ولفت انتباهى وجود دليل قطارات مرتب ترتيبا أبجديا تحت مقعد الرجل يا فندم. ولرغبتى فى أن أتصرف على نحو سليم لم ألمس أى شئ واتصلت بالشرطة فور وقوع هذه المأساة يا فندم».

قال المفتش كروم: «عظيم جدا يا جيمسون. لقد تصرفت بطريقة مناسبة يا فندم». فقال جيمسون: «أشكرك يا فندم».

قال المفتش كروم: «هل لاحظت خروج أحد المتفرجين مبكرا عن موعد انتهاء العرض بحوالى خمس دقائق؟» فقال جيمسون: «كانوا كثيرين يا فندم». فقال المفتش كروم: «صفهم لى فردا فردا يا فندم». فقال جيمسون: «يؤسفنى أننى لا أستطيع ذلك يا فندم. كان أحدهم هو السيد جيوفرى بارنل. وكان من بينهم شاب أعرفه هو سام يبكرن معه خطيبته . ولا أعرف بقية الذين خرجوا مبكـرا من قريب أو بعيد يا فندم» . وقال المفتش كروم : «ألف حسرة ! هذا يكفى يا فندم» . فقال جيمسون : «أشكرك يا فندم». وقام السيد جيمسون بأداء التحية العسكرية بشدة مرة أخرى وانصرف.

وقال الكولونيل أندرسون: «لقد وصلنا التقرير الطبى، ومن الأفضل أن نأخذ أقوال الشخص الذى اكتشف الجثة».

ودخل أحد الكونستبلات وأدى التحية ثم قال: «السيد بوارو هنا يا سيدى ومعه شخص آخر».

وقطب المفتش كروم جبينه وقال: «أعتقد أنه من الأفضل أن نقابلهما».



الفصل السابع والعشرون
جريمة دونكاستر

بدخولى مباشرة بعد بوارو سمعت المقطع الأخير من قول المفتش كروم. كان كروم وكان معاونيه يبدو عليهم الانزعاج والشعور بالإحباط.

وحيانا الكولونيل أندرسون بانحناءة يسيرة وقال: «أنا مسرور أن أراكما. أنت تدرك يا سيد بوارو أننا

قد تلقينا طعنة فى الرقبة».

قال بوارو: «جريمة قتل أخرى وفقا للحروف الأبجدية؟» فقال الكولونيل أندرسون: «نعم، عمل وحشى ملعون جديد من سلسلة أعمال ذلك المجرم المجنون المجهول تماماً. انحنى المجنون المجرم فوق رجل وطعنه فى ظهره».

قال بوارو: «هل تم القتل بطعن الضحية هذه المرة؟» فقال الكولونيل أندرسون: «نعم، المجرم المجنون يعمد تغيير أساليبه فى القتل الغادر، أليس كذلك؟ ضربة فى مؤخرة الرأس مرتين، القتل خنقاً، والطعن بالسكين فى هذه المرة. هل هو شيطان فرستايل أم ماذا. ها هى ذى تفاصيل التقرير الطبى لو كان لديك اهتمام أن تراها». وقدم ورقة أخذها منه بوارو وقرأها بعناية وأضاف الكولونيل أندرسون يقول: «ودليل مواعيد القطارات المرتب أبجديا كان موضوعا بين قدمى المجنى عليه».

وسأل بوارو: «هل تم التعرف على المجنى عليه؟»فقال أندرسون: «نعم، لقد أخطأ القاتل حسب الحروف الأبجدية فى مراعاة تسلسل الأبجدية هذه المرة لعل فى ذلك رغبة منه إرضائنا عندما علم أننا نريد منه أى غلطة. ترك الحرف الذى عليه الدور وأخذ الحرف الذى يله. وبدلا من حرف الدال الذى يقابل الحرف الرابع من أبجديتنا الخالدة اختار الحرف الذى يليه وقتل رجلا اسمه إيزلزفيلدز، جورج إيزلزفيلدز مهنته الحلاقة. قال بوارو: «هذا شئ غريب». فقال الكولونيل أندرسون: «ربما سقط منه حرف سهوا».

وهز بوارو رأسه.

وقال المفتش كروم: «هل تأخذ أقوال الشاهد الذى عليه الدور؟ إنه يريد أن يعود إلى منزله». فقال الكولونيل أندرسون: «نعم. نعم، فلنستمر. نريد أن ننتهى من هذه الرسميات التى لا فائدة منها، ولكنها يلزم أن تنتهى».

ودخل رجل فى منتصف العمر يشبه الرجل الضفدع فى رواية أليس فى أرض العجائب. كان مضطربا جدا، كان صوته مختنقا من جراء شدة الانفعال، وقال بصوت يشبه نقيق الضفادع: «تجربة مفجعة من أفظع ما شهدته من التجارب البشعة. قلبى ضعيف. قلبى ضعيف جدا. كدت أموت».

قال له المفتش كروم: «اسمك من فضلك» فقال الرجل: «دونز روجر إمانويل دونز». وقال المفتش: «المهنة». فقال دونز: «أنا مدرس فى مدرسة هاى فيلد للبنين». وقال المفتش كروم: «والآن يا سيد دونز نود أن تخبرنا بكلماتك الخاصة بك ما قد حدث؟»

قال دونز: «أنا أستطيع أن أخبركم عما حدث باختصار جدا يا سادة. فى نهاية العرض نهضت عن مقعدى. كان المقعد الذى يوجد عن يسارى لا يجلس فيه أحد، ولكن المقعد التالى له كان رجل يجلس ويبدو نائما. ولم أكن أستطيع أن أمّر منه لكى أخرج لأن ساقيه كانتا ممدودتين أى مشدودتان أمامه. طلبت منه أن يسمح لى بالمرور. ولأنه لم يتحرك إطلاقا كررت طلبى - فى - نبرة صوت أعلى قليلا. ظل لا يستجيب. وتنبهت آنئذ إلى أن الرجل كان إما فاقدا للوعى أو أصابه مرض مفاجئ. وصحت قائلا: «هنا رجل فاجأه المرض. ابحثوا عن المدير ليتصرف»... وجاء مدير السينما. وكنت قد وضعت يدى على كتف الرجل، وعندما رفعت يدى عنه وجدتها مخضبة بالدم... وتحققت أن الرجل كان مطعونا طعنة قاتلة. وفى نفس هذه اللحظة كان المدير قد شاهد دليل مواعيد القطارات المرتب أبجديا... وأنا

أستطيع أن أؤكد لكم يا سادة أن الصدمة كانت مفزعة! كان من الممكن أن يحدث لى أى شئ! منذ سنوات وأنا أعانى من مرض قلبى - ».

وكان الكولونيل أندرسون يتطلع إلى وجه السيد دونز بفضول شديد ثم قال له: «أنت تستطيع أن تعتبر نفسك رجلا محظوظا يا سيد دونز». فقال دونز: «أنا أعتبر نفسى كذلك بالفعل يا سيدى. لم يظهر رسم القلب الذى أجرى لى بعد الحادث عن نبضة واحدة زائدة». فقال الكولونيل أندرسون: «أنت لم تفهم قصدى بالضبط يا سيد دونز. أنت تقول أنك كنت تجلس بعد مقعدين من المجنى عليه. كان المجنى عليه يجلس فى مقعده، وبعده كان يوجد مقعد خال، ثم كان مقعدك. أليس كذلك؟» فقال دونز: « فى الواقع أنا كنت أجلس أولا فى المقعد المجاور للمجنى عليه، ثم انتقلت منه إلى مقعد مجاور لكى أستفيد من وجود مقعد خال فى الصف الذى أمامنا لكى أحصل على مشاهدة أفضل للشاشة عندما أجلس وراء مقعد خال أمامى». فقال الكولونيل أندرسون: «ولك نفس حجم جسم المجنى عليه، أليس كذلك؟ وكنت تضع حول رقبتك شالا من الصوف كما كان المجنى عليه يضع حول رقبته شالا من الصوف».

قال دونز: «لا أكاد أدرك ما تقصده من هذا كله!» فقال الكولونيل أندرسون: «أنا أقول لك أيها الرجل إنك تحركت من مقعد إلى مقعد حركة جعلت لك عمرا أطول لكى تدلى بأقوالك أمامنا الآن بدلا من أن تكون أنت المجنى عليه بطريقة أو بأخرى إذ أن القاتل كان يتتبعك أنت ويقصدك أنت لأن أول حرف من لقبك يبدأ بحرف الدال. لقد أخطأ القاتل الشخص الذى يوجه إليه الطعنة القاتلة وبدلا من أن يطعنك طعن الرجل الآخر الذى كان يفصل بينك وبينه مقعد واحد. ووجه القاتل طعنته إلى ظهر رجل لم يكن يريده. أنا مستعد أن أمضغ كل قبعتى يا سيد دونز لو لم تكن أنت المقصود بهذه الطعنة القاتلة!».

وبالرغم من أن قلب السيد دونز كان أثبت عدم تأثره وعدم اضطراب نبضاته بعد الفحوص التى أجراها بعد الحادثة مباشرة، فإن نبضات قلبه لم تستطع بالتأكيد أن تتحمل الصدمة التى تلقاها توا من الكولونيل أندرسون: صاح بصوت خافت:ماء. ماء... ! وجاءه بكوب من ماء جعل يشرب منه ببطء شديد وهو يضم شفتيه ليجعل أقل قدر من الماء يتسرب بين شفتيه. وعندما استعاد قلبه شيئا من انتظام النبضات قال: «أنا؟ لماذا أنا؟» فقال المفتش كروم: «هكذا المسألة حقا! هذا هو التفسير المعقول الوحيد لإسقاط القاتل حرف الدال الذى كان عليه الدور».

قال دونز: «هل تقصد أن هذا الرجل، هذا، هذا الشيطان الذى اتخذ شكل الرجل، هذا المجنون المتعطش إلى الدماء كان يتتبعنى أنا من مكان إلى آخر منتظرا فرصة ينتهزها ليقتلنى؟!» فقال المفتش كروم: «أستطيع أن أقول إن هذه هى حقيقة الأمر». فصاح الأستاذ دونز قائلا: «ولكن لماذا أنا؟!» فقال المفتش كروم: «ولم لا؟ اسمك يبدأ بحرف الدال، وليس مطلوبا من المجنون أن تكون دوافع سلوكه واختياره معقولة على كل حال». ونهض واقفا وقد تقدم به العمر وازداد شحوبا وكان جسمه كله يرتجف. واستجمع كل قواه ليقول: «إذا لم تريدونى أكثر من ذلك اسمحوا لى أن انصرف يا سادة. أنا أريد أن أذهب إلى البيت. أنا أشعر أننى لست كما يرام» فقال المفتش كروم: «وهو كذلك يا أستاذ دونز. سأرسل معك أحد رجالنا ليطمئن أنك بخير حال حتى تصل إلى منزلك». فقال الأستاذ دونز:

«لا، لا، هذا غير ضرورى» وانصرف الأستاذ دونز وهو يرتجف.

وقال الكولونيل أندرسون: «نعم. يا سيدى. سنراقبه دون أن يشعر حتى يصل إلى منزله. والمفتش رايس قد أتخذ ترتيبات لمراقبة منزله بعد أن يصل إليه بصفة مستمرة لحين صدور أمر آخر».

قال المفتش كروم: «هل تظن يا بوارو أن القاتل عندما يكتشف غلطته سيحاول تصويبها؟» فقال بوارو: «هذا ممكن. إنه يبدو عاشقا للعمل وقفا لنظام صارم. وسيعكر صفو مزاجه أن الجريمة الرابعة لم تتوافر فيها الدقة الكاملة حسب برنامج عمله».

فقال الكولونيل أندرسون: «كم أرغب بشدة أن نحصل على وصف دقيق لملامحه. إننا لا نزال فى ظلام دامس». فقال بوارو: «ربما نحصل على ذلك». فقال المفتش كروم: «هل أنت تعتقد ذلك؟ اللعنة على كل شئ! أليس لأحد عينان فى وجهه؟» قال بوارو: «اصبر». فقال المفتش كروم: «أنت تبدو متفائلا يا سيد بوارو! هل لديك أسباب لهذا التفاؤل؟» فقال بوارو: «نعم، لم يرتكب القاتل أخطاء خطيرة حتى الآن. ولكنه معُرض للخطأ فى القريب العاجل».

فقال رئيس الكونستابلات: «لو كان هذا هو كل ما عندك، ـ » ولم يكمل كلامه عندما دخل جندى وقال: «السيد بول صاحب فندق بلاك سوان موجود يا سيدى ومعه فتاة شابة ويقول إن لديه معلومات مهمة».

فقال المفتش كروم: «أدخله. أدخله. نستطيع ان نستفيد من أى شئ يساعدنا». كان السيد بول صاحب فندق بلاك سوان رجلا ضخم الجسم بطئ التفكير بطئ الحركة. وكان معه امرأة شابة يلمع الانفعال فى عينيها.

وقال السيد بول: «آمل ألا أضيع وقتكم الثمين. ولكن هذه مسألة مهمة. مارى هنا، وهى تعتقد أن عندنا شيئاً تقوله لكم ويهمكم أن تعرفوه». وتحركت مارى خطوة للأمام فقال لها الكولونيل أندرسون: «حسنا أيتها الفتاة. ما الأمر؟ ما اسمك؟» فقالت: «مارى يا سيدى. مارى سترود». فقال الكولونيل أندرسون: «حسنا يا مارى. هاتى ما عندك». وتطلعت مارى إلى صاحب الفندق، فقال: «عملها يتطلب منها أن توصل الماء الساخن اللازم لاغتسال النزلاء فى حجراتهم عند عودتهم إلى الفندق. وكان عندنا فى الفندق حوالى اثنى عشر نزيلا، بعضهم حجزوا غرفاتهم بمناسبة السباق وبعضهم الآخر من الباعة الجائلين الذين يحتاجون إلى المبيت لزوم مزاولة أعمال تجارتهم». فقال أندرسون: «نعم. نعم. هذا مفهوم. ما المهم؟» فقال السيد بول: «تقدمى يا فتاة. قولى قصتك. لا تخافى».

وشهقت مارى، وتأوهت، وبدأت تحكى حكايتها بأنفاس لاهثة كما لو كانت خارجة من سباق للجرى، فقالت: «دققت الباب، ولم تكن هناك أى إجابة. وأنا لم أكن يليق بى أن أدخل ما لم يقل لى السيد داخل الحجرة ادخلى. وحيث إننى انتظرت ولم يقل شيئا وكنت أحمل الماء الساخن له، أنا دخلت الحجرة، وهو كان هناك يغسل يديه».

وقفت عن الكلام وتنفست بعمق وعنف. فقال لها أندرسون: «استمرى» فقالت: «أنا قلت له: هذا ماء ساخن من أجلك يا سيدى، وأنا دققت على الباب، فقال لى: ولكن، أوه، نعم، أنا اغتسلت بماء بارد. ولذلك نظرت بطبيعة الحال فى حوض الاغتسال، وأوه، فليساعدنى الله، كان حوض الاغتسال كله أحمر اللون!».

قال أندرسون بحدة: «أحمر اللون!» وتدخل السيد بول يقول: «أخبرتنى هذه الفتاة أنه كان قد خلع معطفه، وأنه كان ممسكا بالكم فى يده، وكان الكم مبتلا ـ أليس هذا صحيحا يا بنت؟» فقالت مارى سترود: «نعم يا سيدى هذا صحيح. أنا قلت لك ذلك». واستطردت تقول: «ووجهه يا سيدى، كان يبدو غريبا. كان وجهه غريبا لدرجة أنه مميت. جعلنى أتراجع للخلف عائدة من حيث أتيت».

قال أندرسون بحدة: «متى كان ذلك؟» فقالت مارى سترود: «كان ذلك فى حوالى الساعة الخامسة والربع فيما أعتقد يا سيدى». فقال أندرسون: «منذ حوالى ثلاث ساعات. ولماذا لم تأت إلى هنا فورا». فقال السيد بول: «أنا لم أسمع ذلك الخبر فور حدوثه. لم يصلنى الخبر إلا بعد أن بلغتنا الأخبار أن جريمة قتل أخرى قد حدثت. ثم فوجئنا بهذه الفتاة تصرخ وتصيح قائلة إنه كان هنالك دم فى حوض الاغتسال. وسألتها عما تعنيه بذلك بالضبط فأخبرتنى. حسنا لم أعتقد أن ما تقوله كان صحيحا، وذهبت بنفسى إلى الحجرة التى حددتها. ولم يكن أحد فى الحجرة. وسألت عنه فقال لى أحدهم إنه كان قد رأى رجلا يتسلل خارجا من باب الفندق، وأعطانى أوصافه ووصف ملابسه أيضا. وكانت هى أوصاف ونفس ملابس الرجل الذى كان يستأجر الحجرة. ولذلك قلت للجميع إننى يجب أن أحضر مارى هنا عندكم. ولم تكن هى تحب أن تأتى معى إلى الشرطة لأنها تخاف من الشرطة. وظلت ترفض الفكرة وأنا أحاول أن أطمئنها، حتى أقنعتها فى النهاية وحضرت معى».

وجذب المفتش كروم ورقة أمامه وقال: «صف الرجل، بأسرع ما يمكن. ليس عندنا وقت لنضيعه».

قال مارى سترود: «كان متوسط الطول ـ أحدب الظهر قليلا ـ وكان يلبس نظارة».

فقال كروم: «وملابسه؟» فقالت: «بدلة غامقة وقبعة هامبورج وهو رث الملابس عموما». وحاول كروم أن يحصل على صفات أكثر، ولكن الفتاة لم تستطع أن تعطيه ما هو أكثر مما أعطته. ولم يصر المفتش كروم على أن يحصل على ما هو أكثر.

وانشغلت أسلاك التليفون، ولكن المفتش كروم ورجاله لم يكن عندهم أمل حقيقى كبير فى أنهم سيصلون إلى شئ محدد.

وذهب اثنان من رجال الشرطة إلى فندق بلاك سوان. وكان السيد بول مزهوا بأنه قد حرك معه رجال الشرطة، وكانت مارى سترود تبكى وهى تمشى معهم.

وعاد رقيب إلى المفتش كروم ومعه دفتر بأسماء النزلاء فى الفندق وقال: «فى هذا الدفتر يا سيدى اسمه وتوقيعه». وتجمع الجميع حول الدفتر. كانت الكتابة بحروف صغيرة غير واضحة أ.ب.كاس أم هل هى كاش؟» فقال كروم: «يكفى جدا الحروف الثلاثة الأولى من الأبجدية موجودة فى هذا الاسم!».

قال الكولونيل أندرسون: «وماذا بشأن أمتعته؟» فقال السيد بول: «حقيبة كبيرة مملوءة بلعب صغيرة». فقال أندرسون: «علب صغيرة، وماذا بداخل العلب الصغيرة؟» فقال السيد بول: «جوارب يا سيدى. جوارب من الحرير».

وهنا التفت المفتش كروم نحو بوارو وقال له: «أهنئك! كنت على صواب فيما كنت قد ذكرته عندما نبهت إلى باعة الجوارب!».



الفصل الثامن والعشرون
(ليس مما يرويه هاستينجز)

كان المفتش كروم موجودا فى مكتبه فى إدارة سكوتلانديارد. دق جرس التليفون والتقط المفتش كروم السماعة، وسمع صوتا يقول له: «أنا جاكوب يا سيدى. يوجد عندنا الآن شاب وله قصة أعتقد أنه ربما يكون مفيدا أن تسمعها منه يا سيدى».

وتثاءب المفتش كروم. كل يوم يستمع إلى عشرات من الناس يقول كل منهم إن عنده معلومات عن الجرائم المرتبة أبجديا. وكان بعضهم من المصابين بمرض عقلى على درجات مختلفة من السوء والهلوسة، وكان بعضهم الآخر أشخاصا أسوياء تماماً وكانوا يعتقدون أن معلوماتهم مهمة وحاسمة كما تبدو لهم. ولهذا السبب خصص المفتش كروم جاكوب لكى يستقبل أولئك الناس ولا يعرض على المفتش كروم إلا المعلومات ذات الأهمية الحقيقية التى يحتمل أن تكون مؤثرة على سير لقضية.

ولذلك قال المفتش كروم: «حسنا يا جاكوب. أرسله عندى». وبعد دقائق قليلة كان الرقيب جاكوب يستأذن فى الدخول إلى مكتب المفتش كروم ومعه شاب طويل القامة فى منتصف العمر، وقال الرقيب جاكوب: «هذا هو السيد توم هارتيجان يا سيدى. عنده شئ يقوله لنا ويمكن أن يكون له أهمية فى قضية الجرائم الأبجدية».

ونهض المفتش كروم عن مقعده وصافح الشاب وقال له: «هل تتفضل بالجلوس يا سيد هارتيجان؟».

وجلس توم هارتيجان على الكرسى أمام مكتب المفتش كروم بشئ من الوجل والتوجس والترقب. إنه يرى أمامه أحد الأجنحة القوية الكبيرة فى جهاز الشرطة وإن كان قد خاب ظنه بشأن عدم وجود هالة حول رأسه، واندهش للمظهر العادى للمفتش كروم عندما وجده رجلا لا يختلف عن غيره من الرجال!

وسمع صوت المفتش كروم وهو يقول له: «الآن إذن أنت عندك شئ مهم، ومهم جدا، وتريد أن تقوله لنا، وأنت تعتقد أنه له صلة بالقضية التى نعرفها جميعا. أطلق رصاصتك فوراً وقل ما عندك دون مقدمات طويلة».

فقال توم هارتيجان: «يجوز بالطبع ألا يكون لما أقوله قيمة على الإطلاق. إنه مجرد نظرية شخصية تخصنى. ويجوز أن أضيع وقت سيادتك دون فائدة». وتثاءب المفتش كروم مرة أخرى متضجرا ثم قال: «أنت قد حضرت هنا بالفعل بمحض إرادتك، وأنا مستعد أن أسمعك. ونحن الذين نستطيع أن نقدر بالضبط ما إذا كان ما تخبرنا به يفيد أم لا يفيد. دعنا أولا نعرف ما عندك من الحقائق يا سيد هارتيجان».

قال توم هارتيجان: «حسنا. هذا صحيح. ما أقوله ينحصر فى أن لى فتاة هى خطيبتى. وتمتلك أمها منزلا تؤجر بعض حجراته. وهو موجود فى كامدن تاون. والحجرة التى فى خلفية الطابق الثانى

يستأجرها منذ أكثر من عام رجل اسمه كاست».

وقال المفتش كروم: «إيه؟ كاست». فقال توم هارتيجان: «نعم، هذا صحيح يا سيدى. رجل فى منتصف العمر، عبارة عن كتلة من اللحم الباهت الشكل، ليس له من حياة الأسوياء من البشر إلا القليل لو صح هذا التعبير. رجل تستطيع أن تقول إنه من المستحيل أن يؤذى ذبابة، وأنا لم أكن أشك فيه لولا حدوث مفارقة غريبة إلى حد ما».

وحكى توم هارتيجان الحديث الذى تبادله مع ابنة صاحبة البيت الآنسة ليللى ماربورى، وكيف كان قد أخبرها أنه كان سيذهب إلى تشيلتنهام ثم قابله توم هارتيجان بنفسه فى دونكاستر حيث وقعت الجريمة الرابعة. وكيف تذكرت ليللى ماربورى أنه كان موجوداً أيضا فى بيكس هيل فى نفس يوم وقوع جريمة قتل الفتاة بيتى برنارد.

وأخيرا قال توم هارتيجان: «وبعد وقوع جريمة القتل فى دونكاستر يا سيدى كان قد نشر فى كل الصحف أن المعلومات مطلوبة عن شخص يبدأ اسمه بحرف الألف واسم أبيه بحرف الباء ولقبه كيس أو كاش، وأعطت الصحف بعض صفات قليلة لهذا الشخص، وهى صفات كانت متوافرة فى السيد كاست. سألت خطيبتى ليللى ماربورى ما إذا كانت تعرف اسمه بالكامل فقالت لى أنها لا تعرف إلا لقبه فقط مثلى، ولكن أمها قالت إنها تعرفه لأنه كان وقع على عقد الإيجار بالحرفين أ.ب قبل لقبه كاست. وهكذا كان توقيعه هكذا أ.ب.كاست. وهو نفس التوقيع الذى يستخدمه صاحب الجرائم الأبجدية فى خطاباته التى يعرفها كل الناس حيث إنه يستخدم الحروف الأولى من اسمه الثلاثى هكذا:(أ.ب.ك.) ـ وكل هذه الاعتبارات يا سيدى جعلتنى أحضر عندكم لكى أضع هذا الافتراض بين أيديكم لتتصرفوا بشأنه بالطريقة المناسبة، وإذا لم تكن نظريتى سليمة أعتقد أننا لن نخسر شيئا، ولو كانت نظريتى فى أن السيد كاست المقيم فى منزل والدة خطيبتى هو القاتل وفقا للحروف الأبجدية تكون هذه المعلومات فى غاية الأهمية. وعلى كل حال آمل ألا أكون قد ظننت الحبة قبة».

قال المفتش كروم: «لا. أبدا. أنت كنت على صواب تماماً أنك قد أتيت هنا. طبعا. هذه قرينة ضعيفة جدا. يجوز أن تكون مصادفات أم مجرد تشابه فى الأسماء أيضا. ولكن يلزمنى بالتأكيد أن أرى السيد كاست هذا الذى تحدثت معى عنه كل هذا الحديث. هل هو فى مسكنه عندكم الآن؟ فقال توم هارتيجان: «نعم، يا سيدى». فقال المفتش كروم: «متى عاد إلى المنزل؟ فقال توم هارتيجان: «عاد فى نفس يوم جريمة القتل فى دونكاستر يا سيدى، فى المساء. فى وقت متأخر من المساء». فقال المفتش كروم: «وماذا كان يفعل بعد عودته؟» فقال توم هارتيجان: « كان يلزم مسكنه معظم الوقت يا سيدى. وكان غريب الأطوار جدا كما تقول السيدة ماربورى نفسها. وهو يشترى كمية كبيرة من الصحف ـ يخرج مبكرا فى الصباح ويشترى صحف الصباح. وعندما يحل الظلام ينزل ويشترى صحف المساء. والسيدة ماربورى تقول إنه يكلم نفسه كثيرا أيضا. وهى تظن أن أطواره تزداد غرابة».

قال كروم: «ما هو عنوان السيدة ماربورى؟» فأعطاه توم هارتيجان العنوان، وقام المفتش كروم بكتابته. وبعد ذلك قال المفتش كروم: «أشكرك يجوز أننى سأمر عندكم فى أى وقت من النهار. ولا حاجة بى أن أحذرك ألا تقترب كثيرا من السيد كاست هذا». ونهض المفتش كروم وصافح توم هارتيجان وقال له:أرجو أن تعتبر أنك كنت على صواب تماماً عندما أتيت عندنا. طاب صباحك يا سيد

هارتيجان».

وعندما غادر توم هارتيجان المبنى، رجع الرقيب جاكوب إلى مكتب المفتش كروم وقال له: «حسنا يا سيدى؟ هل تعتقد سيادتك أن هذه هى البضاعة المطلوبة؟» فقال المفتش كروم: «إنها بضاعة واعدة، قد تكون هى البضاعة المطلوبة لو أن الحقائق التى ذكرها هذا الولد كانت كما يتصور هو بشأنها فى حقيقة الأمر. إننا لم نوفق حتى الآن فى الاستفادة من مصانع الجوارب. ولقد كنا نظن أننا قد أمسكنا خيطا. على فكرة هات لى ملف قضية تشارستون».

وعندما تناول الملف أخذ يتصفحه بعض الوقت. ثم قال: «نعم هذه هى المعلومات المطلوبة. شاب اسمه هيل. قال إنه شاهد رجلا يغادر سينما بالادنيوم وهو يكلم نفسه ويقول: «هذه فكرة لن يسقط العصفور. كان ذلك هو الفيلم فى سينما ريجال فى دونكاستر» فقال الرقيب جاكوب: «نعم، يا سيدى» فقال المفتش كروم: «يجوز أن يكون شئ ما فى الموضوع. لا شئ حتى الآن. ولكن من الجائز أن فكرة الجريمة كانت تطوف فى ذهن»الرجل» فى تلك اللحظات. عندنا الاسم الكامل. للشاب هيل وعنوانه فيما أعتقد. أنا مدرك أن وصفه للرجل كان وصفاً غير دقيق، ولكنه يتسق تماماً مع الوصف الذى قدمته عاملة الفندق مارى سترود، ويتسق تماماً مع الوصف الأكثر وضوحا الذى قدمه السيد توم هارتيجان... »

واتضحت الفكرة فى ذهن المفتش كروم إلى حد كبير، وهز رأسه ثم قال: «بدأنا نشعر بالدفء، ليس هذا دقيقا تماماً، لأن توم هارتيجان نفسه كان متشككا». فقال الرقيب جاكوب: «أى تعليمات يا سيدى؟»

قال المفتش كروم: «أرسل رجلين لمراقبة العنوان فى كامدن تاون ولكننى لا أريد إزعاج عصفورنا. سأحتاج أن أتكلم مع الإدارة. وبعد ذلك سأرى ما إذا كنا نستطيع أن نحضر السيد كاست هذا هنا لنرى ما إذا كان يريد أن يقول لنا شيئا. تبدو الأمور كما لو كان قد بدأ يشعر أننا نقترب منه».

وخارج المبنى كان توم هارتيجان قد انضم إلى ليللى ماربورى التى كانت تنتظره على ناصية تقاطع شارعين، فبادرته بقوله: «كل شئ تمام يا توم؟» وأومأ لها توم برأسه بأن كل شئ قد تم على خير وجه ثم قال: «رأيت المفتش كروم نفسه! إنه هو المسئول عن القضية كلها». فقالت: «كيف كان يبدو عندما رأيته؟» فقال توم: «هادئاً إلى حد كبير. وسلساً جدا. لم تكن هذه هى فكرتى عن مفتش رتبته كبيرة فى الشرطة». فقالت ليللى ماربورى: «حسنا، وماذا قال؟» وحكى لها توم ملخصا للحوار الذى دار بينه وبين المفتش كروم. فقالت ليللى ماربورى: «وهكذا فَهُمْ يعتقدون أنه هو؟» فقال توم: «هم يعتقدون أنه يجوز أن يكون هو. وعلى كل حال سيحضرون ويسألونه وجها لوجه». فقالت: « السيد كاست المسكين!» فقال توم: «ليس من الصواب أن تقولى السيد كاست المسكين. لو كان هو القاتل وفقا للحروف الأبجدية يكون قد ارتكب أربع جرائم قتل فظيعة».

شهقت ليللى وهزت رأسها وقالت: «هذا يبدو رهيبا بالفعل». وقال توم: «حسنا. أنت ستتفضلين بتناول العشاء، وبينما تفكرين ما إذا كنت أنا على صواب أم خطأ، ستجدين أن اسمى سيكون موجودا فى كل الصحف!» فقالت: «أوه يا توم. هل ستنشر كل الصحف اسمك؟» فقال توم: «هذا محتمل جدا. وربما ينشرون اسمك أنت أيضا... إننى لم أفكر وحدى. أنت كنت تفكرين معى. وأمك أيضا

حتى أمكن لنا تحديد كل شئ ويمكن لى القول أن الصحفيين سيحضرون عندنا لكى يأخذوا صورتى وصورتك أنت أيضا». وأمسكت ليللى بذراعه بشدة وضغطت عليه وقالت: «أوه، توم!» فقال لها توم: «وحتى يتم ذلك ما رأيك فى أن نتناول العشاء فى كورنر هاوس». وضغطت ليللى على ذراع توم أكثر وأكثر وهى تقول: «هيا نذهب إلى كورنر هاوس. ولكن انتظرنى هنا دقيقة واحدة. يلزم أن اتصل بأمى بالتليفون حتى لا تنزعج لتأخرنا».

وعبرت ليللى الشارع، وأجرت المكالمة التليفونية وعادت بعد ثلاث دقائق إلى توم وقالت له: «احك لى عن سكوتلانديارد أكثر يا توم. هل رأيت الرجل الآخر هناك». فقل توم: «من الرجل الآخر هناك؟» فقالت: « الرجل البلجيكى الذى يرسل إليه القاتل خطابا قبل كل جريمة». فقال توم: «لا. لم يكن هناك». فقالت: «حسنا. احك لى عن كل شئ. ماذا حدث أولا عندما دخلت؟ من الذى تكلمت معه؟ وماذا قال لك؟».

وكان السيد كاست قد وضع سماعة التليفون فى مكانها فوق آلة التليفون واستدار إلى حيث كانت السيدة ماربورى تقف فى مدخل الباب يكاد حب الاستطلاع يطل من كل جوارحها، وبدأت على الفور فى مناوشة السيد كاست وقالت له: «إنك لم تتلق مكالمات تليفونية من قبل يا سيد كاست؟» فقال كاست: «لا ـ إر ـ لا، يا سيدة ماربورى». فقالت: «لم يكن فى المكالمة أخبار سيئة. هل يمكن لى أن أطمئن عليك؟» فقال كاست: «لا. لا».

كم تبدو هذه المرأة متطفلة وملحة فى تطفلها يا كاست. لماذا لا تتركنى دون أسئلة. فلأحاول أن أتشاغل عنها بأى شئ. وأمسك كاست بإحدى الصحف فى يده: مواليد ـ زواج ـ وفيات... وخطرت فى رأسه فكرة أوحى بها وجود أخبار وتهانى تتعلق بالمواليد فقال للسيدة ماربورى بصوت عال: «أختى ولدت اليوم طفلاً جميلاً».

أخته هو الذى لم يكن له أخت أبدا! على كل حال لا باس أن يزداد المواليد مولودا خياليا ما دام لن يأكل ولن يشرب ولن يمرض ولن يذهب إلى المدرسة ولن تكون له أى مطالب فى الحياة.

وقالت السيدة ماربورى: «أوه! يا عزيزى، ما أجمل هذا؟ أنا متأكدة أنه لابد أن يكون جميلا. (وقالت فى نفسها: وأنت لم تذكر لى طوال سنين أن لك أختا، واليوم فجأة فى أول مرة تقول إنها ولدت ولداً جميلاً).

وانطلقت فى صمت تراجع أفكارها وتعيد ترتيبها فى ذهنها دون كلمة واحدة تقولها له:

عندما طلب صوت نسائى أن يتكلم مع السيد كاست ظننت أنه صوت ابنتى ليللى ـ الصوت يشبه صوتها إلى حد كبير. كانت نبرات صوتها عالية ومتعجلة ـ كما لو كانت مفزوعة أو مرعوبة: تريد السيد كاست، تريد السيد كاست، تريد السيد كاست. هل تتكلم أخت السيد كاست فى التليفون فى نفس اليوم الذى ولدت فيه؟ هو قال إن أخته ولدت هذا اليوم طفلا جميلا. ألا يوجد أحد غيرها ليتصل به تليفونيا؟ هل أخته هى التى تكلمت فى التليفون أم ليللى؟ حسنا يا سيد كاست. أهنئك. هل هذا هو المولود الأول؟ أم أن عندك أولاد أخت وبنات أخت آخرين؟ متى تقول لى الحقيقة يا سيد كاست بدلا من الأكاذيب غير المعقولة؟ كنت أتعاطف معك يا سيد كاست، ولم تعد تستحق أى تعاطف. أنا لا أتعاطف مع كذاب! لن أتركك تنعم بأكذوبة واحدة يا سيد كاست ولكن أكف عن توجيه الأسئلة

لك.

وقالت السيدة ماربورى: «هل هذا هو المولود الأول؟» فقال السيد كاست: « إنه المولود الأول. أعتقد أننى يجب أن أذهب إليها فورا الآن. إنهم. إنهم يريدوننى أن اذهب إليهم ..أنا أعتقد أننى يمكن لى أن ألحق بالقطار لو أسرعت». فقالت السيدة ماربورى: «هل ستبتعد عنا مدة طويلة يا سيد كاست؟» فقال كاست: «لا يومان أو ثلاثة أيام ـ هذا هو كل ما فى الأمر».

ودخل حجرة نومه. وتراجعت السيدة ماربورى إلى المطبخ وهى تفكر فى ذلك البرغوث الصغير الذى يحظى بكثير من عطفها كما كان يحلو لها أن تقول عن السيد كاست.

فى الليلة الماضية كان توم هارتيجان، وكانت ابنتها ليللى يشكلان فريق صيد يحاول بكل جهده أن يراجع الأيام وتاريخ الأيام وشتى المصادفات لكى يثبت توم هارتيجان هو القاتل الذى ارتكب الجرائم الأبجدية. وهذا الرجل الهادئ جدا يستحيل أن يكون هو القاتل المتوحش الذى ارتكب الجرائم وفقا للحروف الأبجدية لمجرد وجود بضعة شكوك ومصادفات تضخمت فى رأس توم هارتيجان. مسكين أنت فى كل شئ يا كاست... ولكن لماذا تكذب يا كاست؟! أنا لا أظن أنهما يقصدان ذلك... مجرد كلام يتسليان به، ومجرد خيال جامح فى رأس توم هارتيجان. آمل ألا تكون شكوك توم غير صحيحة. كم يكون مضحكا لو كذبت شكوك توم! وكم تكون مبكيا لو صدقت شكوك توم! لا، إنها مجرد شكوك! ولكن ما قاله كاست تواً عن أخته وطفلها وليد اليوم قد دعم بعض الشئ شكوك توم هارتيجان، وأرادت السيدة ماربورى أن تمحص الأكذوبة تمحيصا أكثر فقالت للسيد كاست: «آمل ألا تكون أختك قد عانت كثيرا من الآلام أثناء الولادة!»

لم يرد السيد كاست على هذه الأمنية. كان قد أمسك بحقيبته واتجه نحو الباب وألقى نظرة طويلة على جهاز التليفون... واستعاد فى ذهنه قول الفتاة الطيبة ليللى ماربورى عندما قالت له: «هل أنت السيد كاست؟ أعتقد أنك قد يفيدك أن تعرف أن أحد المفتشين من شرطة سكوتلانديارد ربما يحضر عندك اليوم ليراك...» وحاول كاست أن يذكر ما قاله ردا على ذلك، ولم يستطع أن يتذكر منه كلمة واحدة! آه، إنه يتذكر أنه كان قد قال لها: «أشكرك ـ أشكرك يا عزيزتى... هذا عطف كبير منك...» أو ربما قال شيئا آخر بهذا المعنى...

واستمر كاست يفكر فى هذه اللحظة فى صمت رهيب! لماذا اتصلت به الفتاة الطيبة ليللى ماربورى؟! هل من الممكن أن تكون قد خمنت حقيقة الظروف الخطيرة التى تحيط به وتكاد تطبق على رقبته! ماذا تظن به؟ أيا ما تكون ظنونها، لابد أنها قد قررت أن من الخير له أن يبتعد ـ لو يشاء ـ عن رجال الشرطة مهما كان من شأنه ومن شئون الشرطة. وربما كانت تريد أن تضيف قرينة أخرى لقرائن شكوكها عندما ترى ما إذا كان يستطيع أن يبقى لمواجهة رجال الشرطة أم أنه سيطلق ساقيه للريح. ولكن كيف عرفت هى أن مفتش الشرطة قادم فى الطريق إليه؟ وصوتها؟ كان صوتا متغيرا. غيرت صوتها حتى لا تتعرف عليه أمها:! ربما كانت قد وضعت منديلا على الناحية التى تتكلم منها فى سماعة التليفون... تبدو المسالة هكذا كما لو كانت قد عرفت..! ولكن بالتأكيد أنها مع أنها قد عرفت فهى... ولكنها يجوز... النساء أطوارهن غريبة:قاسيات دون سبب، محبات متعاطفات دون مبرر. آه، لقد رأى الفتاة الطيبة ليللى ماربورى ذات مرة تطلق سراح فأر من المصيدة! فتاة طيبة! فتاة طيبة جميلة!

وتوقفت خطاه البطيئة جدا عند شماعة موجودة بالصالة عليها مظلات وقبعات ومعاطف. هل يتعين عليه... ؟ وسمع صوتا صادرا من داخل المطبخ. وجعله ذلك الصوت يحسم إجابة ذلك السؤال. قال في نفسه: «لا، ليس عندى وقت! يجوز فى أى لحظة أن تخرج السيدة ماربورى من المطبخ فجأة وترانى! فتح باب الصالة، ومر منه ثم خرج من الباب الأمامى وأغلقه وراءه.. إلى أين؟



الفصل التاسع والعشرون
فى إدارة سكوتلانديارد

مؤتمر مرة أخرى.

وكان المؤتمر هذه المرة يتكون من مساعد مدير الأمن، والمفتش كروم، وبوارو، وأنا. استهل مساعد مدير الأمن الكلام فى بداية المؤتمر بقوله: «كانت فكرة مراجعة مبيعات الجوارب فى الشركات التى توزعها فكرة صائبة وهدية قيمة لنا ياسيد بوارو». فقال بوارو: « كان من الطبيعى أن الرجل لا بد من أن يكون بائع جوارب جوال، وليس له محل مستديم يبيع فيه الجوارب. كان من الضرورى أن يكون كثير التنقل من مكان إلى مكان آخر مما يعنى بداهة أنه بائع جوال يبيع الجوارب للجمهور مباشرة فى أماكن متعددة».

قال مساعد مدير الأمن: «هل اتضحت لك الأبعاد الآن يا سيادة المفتش كروم؟» فقال المفتش كروم وهو يقلب صفحات أحد الملفات: «أعتقد هذا يا سيدى. هل ألخص لسيادتك الموقف حتى الآن؟» فقال مساعد مدير الأمن: «نعم، من فضلك».

قال المفتش كروم: «مسحت منطقة تشارستون ومنطقة بيجنتون ومنطقة توركواى. ودونت قائمة بأسماء الناس الذين كان قد ذهب إليهم وباع لهم الجوارب ويلزمنى أن أقول إنه كان يقوم بهذا العمل بنفسه فى كل الحالات. ينزل فى بعض الفنادق للإقامة المؤقتة أثناء قيامه بالعمل فى الأماكن المختلفة ليغتسل وليأكل وليستريح بعض الوقت. نزل فى فندق بيت، وهو فندق صغير بالقرب من محطة تورز وعاد إلى الفندق فى الساعة ١٠,٣٠ فى ليلة وقوع الجريمة. وأخذ قطار الساعة ٩,٥٧ من محطة تشارستون ووصل إلى تور الساعة ١٠,٢٠ ولم يدل أحد بأوصافه فى أى من هاتين المحطتين ربما لازدحامهما بالناس، ولكن من الضرورى أن يكون هذا هو خط سيره.

وبالنسبة لقضية بيكس هيل حدث نفس الشئ تقريبا. نزل فى فندق جلوب مستخدما نفس اسمه. وانطلق منه وباع الجوارب أو عرض بيعها على حوالى دستة من العناوين المختارة من جانبه وكان من ضمنهم السيدة برنارد أو القتيلة المخنوقة فى بيكس هيل، وكان من ضمنهم مقهى جينجر كات. وغادر الفندق مبكرا فى المسار. وعاد إلى لندن فى حوالى الساعة ١١,٣٠ صباح اليوم التالى. وبالنسبة إلى جريمة أندوفر كان قد سار بنفس الطريقة. نزل فى فندق فيذرز، وعرض بيع الجوارب على سيدة اسمها فلورز، وهى جارة للسيدة آستشر التى قتلت آنذاك، وإلى نصف دستة من الناس كان هناك فى نفس

الشارع. وكان زوج الجوارب الذى كانت قد اشترته منه السيدة آستشر فى حوزة ابنة أختها مارى درروور وقد أخذته منها وتحفظت عليه، وهو من نفس النوع الذى يبيعه الرجل». قال مساعد مدير الأمن: «هذا هو المتوقع. استمر يا سيادة المفتش كروم».

قال المفتش كروم: «بالتصرف على أساس المعلومات التى حصلت عليها من توم هارتيجان ذهبت إلى العنوان الذى كنت قد أخذته منه، حيث كان رَجُلنا يقيم إقامة دائمة، ولكننى وجدت أن رجلنا المدعو كاست كان قد غادر المنزل منذ حوالى نصف ساعة قبل وصولى إلى المنزل. كان قد تلقى مكالمة تليفونية كما أخبرونى بذلك مؤكدين أنها كانت أول مكالمة تليفونية يتلقاها السيد كاست طوال إقامته بذلك المنزل. لقد أكدت لى السيدة ماربورى صاحبة المنزل ذلك».

قال مساعد مدير الأمن: «هل له شريك قام بتحذيره؟» فقال المفتش كروم: «المهم يا سيدى هو أن نصل إلى الفاعل الأصلى ثم نبحث ما إذا كان له شريك أم لم يكن له شريك. أنا أجريت تفتيشا دقيقا وشاملا لمسكنه الذى كان يشغله. وهذا التفتيش يجعل الأمور تصل إلى اليقين الذى يعلو على أية شكوك. وجدت رزمة من الورق الذى يطابق فى صفاته مع خطابات القاتل إلى السيد بوارو. ووجدت كمية كبيرة من الجوارب، ووراء علب الجوارب فى دولاب، وجدت لفافة لا تحتوى على جوارب، ولكنها تحتوى على ثمانى نسخ من جداول مواعيد القطارات المرتبة ترتيباً أبجدياً».

قال مساعد مدير الأمن : «دليل إثبات حاسم الدلالة». فقال المفتش كروم: «ووجدت شيئا آخر، اكتشفته صباح اليوم يا سيدى. لم تكن السكين المستخدمة فى الجريمة الرابعة موجودة فى حجرته على الإطلاق».

قال بوارو: «يكون معتوها لو أحضر معه أداة الجريمة ليضعها فى الحجرة التى ينام فيها ويحتفظ بها فى نفس الحجرة».

قال المفتش بوارو: «ولكننى لم استسلم لليأس بصدد هذه المسألة المهمة جدا. وقلت فى نفسى، ليس من المعقول أن يحتفظ بالسكين فى ذات الحجرة التى ينام فيها كما لاحظ السيد بوارو الآن. ولكن من الجائز أن تكون فى مكان آخر مجاور لحجرته. وسألت نفسى عن المكان المناسب الذى كان يجوز قد خبأ فيه السكين التى استخدمها فى الجريمة الرابعة. وتوصلت إلى إجابة هذا السؤال بسرعة. قلت: «من الجائز أن يكون قد أخفاها فى تجويف شماعة الملابس والقبعات الموجودة بالصالة. إنها مصنوعة من الخشب، لها أربعة أضلاع والمشاجب مثبتة فى وجه كل ضلع، وبين الأضلاع الأربعة تجويف كبير. جذبت الشماعة أرضا، وظهر التجويف الكبير وكانت هناك».

قال مساعد مدير الأمن: «السكين؟»

قال المفتش كروم مزهوا بهذا النصر الكبير: «السكين! لا ريب فيها، والدم الجاف لا يزال لاصقا عليها!».

قال مساعد مدير الأمن: «إنجاز عظيم يا كروم. نحن نحتاج شيئا واحدا الآن». فقال المفتش كروم: «ما هو يا سيدى؟» فقال مساعد مدير الأمن: «الرجل نفسه! كاست!»

فقال المفتش كروم: «أصبح رجلا محددا، وسنحصل عليه. لا تخش شيئا يا سيدى».

قال مساعد مدير الأمن: «ما رأيك الآن يا سيد بوارو؟» وكان بوارو شارد الذهن فقال: «عفوا. ما

السؤال؟» فقال مساعد مدير الأمن: «كنا نقول إنه لم يبق إلا أن نقبض على الرجل وهذه مسألة وقت فقط».

قال بوارو: «يشغلنى شئ إلى حد كبير، بل إنه يلح كثيرا على خاطرى ويزعجنى وهو: لماذا؟ - وما الدافع؟ لماذا يرتكب بائع جوارب هذه الجرائم المتتالية البشعة؟ ما الدافع الذى دفعه إلى ذلك؟» فقال مساعد مدير الأمن: «ولكن يا عزيزى الرجل مجنون. ليس من الضرورى وجود دافع لتصرفات شخص مجنون!».

وقبل المفتش كروم التحدى الذى يتمثل فى السؤال الذى طرحه بوارو للبحث وحاول التصدى لإجابته فقال: «أنا مدرك لما يقصده السيد بوارو. السؤال وجيه جدا. أنا أعتقد أننا سنجد جذور المسألة تمتد لكى تصل إلى عقدة مركب الشعور بالدونية والانحطاط عن الآخرين. وربما كان هناك جنون الشعور بالاضطهاد الذى يسببه الآخرون للمصاب بهذا النوع من الجنون. ولو كان الأمر كذلك لكان فى ذلك إجابة لسؤال السيد بوارو. أما فيما يتعلق بنقطة إرساله الخطابات للسيد بوارو فربما كان تعليل ذلك أن الرجل كان يتوهم خطأ أن السيد بوارو قد استأجره أحد للإيقاع به».

قال مساعد مدير الأمن: «للأسف هذا هو الشائع بين الناس الآن. يتوهم الناس أن بوارو هو الذى سيلقى القبض على القاتل وفقا للحروف الأبجدية! أنا فى اعتقادى أنه إذا كان الرجل القاتل مجنونا فهو مجنون ولا حاجة بنا إلى الجرى وراء المصطلحات الطبية والأسماء التى اخترعوها للأصناف المتعددة من الجنون التى صنفوها وأطلقوا على كل منها اسما من الأسماء وشغلوا أنفسهم بذلك. وأنا أظن أنه سيطلع علينا أطباء نفسيون يطالبون بوضع الرجل فى مصحة للأمراض النفسية وليس بوضعه على المشنقة أو حتى بين جدران أحد السجون، ليقضى فى المصحة مدة خمسة وأربعين يوما ثم يخرج ويقولون لنا كان مريضا قد نجحنا فى علاجه ولقد أعدناه عضوا صالحا فى المجتمع!»

وابتسم بوارو ولم ينبس ببنت شفة.

وانفض الاجتماع ومساعد مدير الأمن والمفتش كروم يشعر كل منهما بزهو الانتصار. وقال مساعد مدير الأمن: «كما تقول أنت يا كروم اصطياده مسألة وقت».

فقال المفتش كروم: «كان من الممكن أن نكون قد أمسكنا به بالفعل لولا أنه رجل عادى جدا يتحرك بين الناس العاديين. لقد أزعجنا بعضهم من جراء ذلك حتى الآن. ولكننا لن نزعج أحدا بعد اليوم. لقد تحدد أمامنا الهدف يا سيدى».

قال مساعد مدير الأمن: «أعجب أنا: أين هو الآن؟!».



الفصل الثلاثون
(ليس مما يرويه هاستينجز)

وقف السيد كاست بجوار محل بائعة الخضراوات وحملق عبر الطريق.

نعم، ذلك هو اسمها لا يزال ضمن الموجودات: «السيدة آستشر لبيع الصحف والطباق والمجلات» وعلى نافذة فوق المحل لا يقف وراءها أحد، كانت لافتة للإيجار معلقة. وكان المكان خاليا... لا حياة فيه لأحد. وقالت بائعة الخضراوات: «معذرة يا سيدى. هذا الليمون يصعب أن أحضره بيدى».

اعتذر السيد كاست، وتنحى جانبا. وخرج من المحل ببطء، ولم يشتر شيئا... خرج خائبا ومشى فى الشارع الرئيسى للمدينة. كان صعبا وصعبا جدا أن يتجول فى الشارع دون نقود. لم يبق معه أى نقود. لم يأكل طوال النهار أى شئ من الزاد. الجوع يجعل الرأس تكاد تنفجر. رأسه بالفعل تكاد تنفجر.

نظر إلى مانشيت فى واجهة صحيفة معلقة يقول: «قضية القتل وفقاً للحروف الأبجدية شرحها طويل...»، »مقابلة صحفية مع السيد هركيول بوارو». إننى أعجب: ماذا يعرف السيد هركيول بوارو؟

هل يعرف ظواهر الأمور؟ أم تمتد معرفته إلى الخفى المستور؟

وعاود المشى مرة أخرى فى فتور. وقال لنفسه: «أنا لا أستطيع أن أمشى أكثر... لا تكاد قدم تبتعد عن قدم أصبح السير يتعثر... طريقة غريبة فى المشى! قدم بجوار القدم ليس أكثر... هذا سخيف ومضحك . مضحك السير على هذه الحال... كانت حياتى كلها سخيفة ومضحكة على نفس هذا المنول... لكن الإنسان سخيف ومضحك على أى حال. وهو ألكاسندر بونابرت كاست، يعتبر نفسه خير مثال. لقد كان دائما سخيفا ومضحكا يسخر منه الناس ويضحكون ولم يستطع أن يمنعهم من ذلك. من عساه أن يكون؟ إلى أين كان هو ذاهبا الآن؟ لم يكن هو يعرف إجابة السؤال. وصل إلى النهاية! ونظر إلى قدميه وقد أصابهما الكلال، رفع عينيه عن قدميه، وتلألأت الأنوار فوق بعض الحروف...«نقطة الشرطة»... هذا مضحك. وضحك. وضحك. لم يعد لديه ما يخيف! اتجه نحوها... مشى خطوات قصيرة جدا، وسقط فوق الرصيف!



الفصل الحادى والثلاثون
هركيول بوارو يثير الأسئلة

كان يوما من أيام شهر نوفمبر، وكان الجو جميلا عندما كان قد حضر لزيارتنا كبير مفتشى الشرطة جاب، والمفتش كروم ومعهما الدكتور ثومبسون لكى يطلعا بوارو على مسار القضية فى المحكمة، أقصد

قضية الكساندر بونابرت كاست.

كان بوارو قد أصيب بنزلة برد خفيفة حالت بينه وبين متابعة مجريات وتطورات القضية، وعندما بدأت القضية تتعقد خشى مساعد مدير الأمن أن تسفر جهود رجال الشرطة عن لا شئ، ولا يقبل القضاة بالأدلة التى كان رجال الشرطة يحسبونها دامغة ضد كاست، فأوفد كبير المفتشين ومعه الدكتور ثامبسون لاستطلاع رأى بوارو فى ذلك والوقوف منه على ما يمكن أن يكون قد استجد عنده لإحكام عرى الاتهام ضد كاست لتنتهى الشرطة من أداء واجبها نحو هذه القضية التى شغلت الرأى العام فى إنجلترا وأجهدت أجهزة الشرطة أكثر من أى قضية أخرى.

قال كبير مفتشى الشرطة جاب: «تم تقديم كاست للمحاكمة ووجهت له الشرطة الاتهام رسميا. وتجرى محاكمته الآن. هكذا توضع الأمور فى نصابها».

وقلت أنا: «أليس غريبا أن يتقدم محام للدفاع عن كاست وأدلة الاتهام محكمة دامغة ضد كاست؟» فقال جاب: «هذا عرف قضائى شكلى متبع فى كل القضايا الخاصة بجنايات القتل. لابد ان يتولى الدفاع عن المتهم محام مهما تكن ظروف القضية وأدلة الاتهام فيها ومهما كانت أدلة الاتهام أدلة مادية دامغة حتى لو اعترف القاتل طواعية باقترافه جريمة أو جرائم القتل. وأنا أعتقد أن المحامى لوكاس الذى تطوع للدفاع عن كاست يظن أنه يستطيع بالفعل أن يفعل شيئا فى هذه القضية الشهيرة جدا. إنه محام مجتهد. وهو يحاول. وأنا أعتقد أنه سيركز فى دفاعه عن كاست على مسألة الجنون. الجنون هو الأساس الوحيد الذى يمكن أن يعلق عليه أى محام فى هذا القضية بعض الأمل».

وهز بوارو كتفيه وقال: « لو ثبت الجنون بالنسبة للقاتل فى عدة جرائم يستحيل أن يكون سببا فى الحصول على البراءة له من العقوبة، والجنون مشكوك فيه ولن يستطيع أى محام إثباته بالنسبة إلى كاست. توجد اعتبارات كثيرة تنفى عنه الجنون. وفضلا عن ذلك يعتبر دفع المتهم بالجنون بمثابة إعدام للمتهم، بل الموت أفضل بالنسبة إلى المتهم».

قال جاب: «لقد علمت أخيرا أن المحامى لوكاس بالفعل لا يدفع ارتكازا على الجنون، بل يحاول أن يستند على إثبات وجود المتهم كاست فى مكان آخر غير مكان الجريمة فى وقت وقوع جريمة القتل الثانية فى بيكس هيل على وجه التحديد. ولو نجح المحامى لوكاس فى ذلك وهو ما يحاوله فهو سيضعف جدا موقف الإدعاء فى القضايا الأربع كلها لأنه من الثابت أن الجرائم الأربع كلها ارتكبها قالت واحد هو كاست. ولو تمكن المحامى لوكاس من إثبات أن كاست لم يكن هو القاتل الحقيقى فى جريمة القتل الثانية سينهار الاتهام الموجه إليه فى كل القضايا وعلى ورجال الشرطة أن يبحثوا من جديد عن قاتل آخر غير كاست. وهذا هو ما أصبح يخشاه مساعد مدير الأمن العام. وأنا أعتقد على كل حال أن المحامى لوكاس لن ينجح فى محاولته هذه. إنه محام شاب، وهو يظن انه سيغدو مشهورا إلى أكبر حدا لو نجح فى إطلاق سراح كاست فى هذه القضايا».

فقال بوارو: «وما رأيك يا دكتور ثومبسون؟» فقال الدكتور ثومبسون: «فى كاست؟ شأنه محير. يبدو رجلا عاقلا إلى حد كبير لقرائن كبيرة، ولكن يبدو أيضا أنه مصاب بالصرع أيضا بطبيعة الحال».

وقلت أنا: «ما هذه الحيرة؟ هل عاقل أم مجنون؟» فقال الدكتور ثومبسون: «تأمل فقط آخر خطوة من خطواته. سقوطه أمام نقطة شرطة أندوفر بالذات. فيها الصراع الذى أفضى إلى سقوطه فاقدا لكل

إحساس، وفيها أيضا الانتقاء والاختيار للمكان المناسب الذى يسقط فيه أثناء نوبة الصراع. ليس الخلط من عندى أنا، ولكن اختلاط العقل مع الجنون موجود عنده هو، موجود عند كاست وليس عندى أنا».

وقلت أنا: «هل من الممكن أن يرتكب جريمة دون أن يدرى بها؟ إن إنكاره ارتكاب هذه الجرائم فيه نبرة صدق غريبة».

وابتسم الدكتور ثومبسون ابتسامة صغيرة وقال: «لا ينبغى أن تغتر بهذا الإنكار المسرحى. أقسم بالله أن وجهة نظرى هى أن كاست يعى تماماً أنه ارتكب جرائم القتل واعد لكل منها ما تستلزمه بكل دقة وإتقان وهو يريد أن يتظاهر بالجنون».

وهنا فقط قال المفتش كروم الذى كان يخيم عليه الوجوم ولا ينطق بأى كلمة: « عندما تضيق حلقة الاتهام حول القاتل وتكون الأدلة دامغة ضده يفعل ذلك. لا يصبح أمامه سبيل آخر غير ادعاء الجنون».

وقال الدكتور ثومبسون: «بالنسبة للحالة التى تتكلم عنها يا كابتن هاستينجز يكون المتهم مصابا بالصرع، ولا يكفى الصرع وحده لكى يكون غير مدرك ولا مسئول عن الجرائم التى يرتكبها، لأنه فى حالة الصرع وحده يكون المصاب بالصرع عندما تهاجمه نوبة الصرع غير واعٍ، نعم ولكنه لا يرتكب أى جريمة. لابد أن يكون مصابا بمرض عقلى آخر هو«مرض الجولان النومى» الذى يمكن أن يتحرك المريض المصاب به ويعمل أشياء دون أن يعى. وليس هذا المرض موجود عند السيد كاست. هاجمته نوبة صرع عند باب نقطة شرطة أندوفر. لابد من إضافة الجولان النومى إلى حالة المرض العقلى، وهو ما لا يتوافر فى حالة السيد كاست».

وهكذا مضى الدكتور ثومبسون يتكلم عن اختلاط العقل بالجنون، والجنون بالعقل، وعن الحالة البسيطة من الأمراض العقلية والحالة غير البسيطة أو المركبة على نحو أربكنى كل الإرباك شأن أى شخص متخصص يتكلم فى مجال تخصصه ولا يريد أن يعارضه أحد فى أى شئ لمجرد أنه يتكلم فى مجال تخصصه مهما كان ما يقوله غريبا ويناقض بعضه بعضا. هل كاست على وجه التحديد عاقل أم مجنون؟ ولو كان مجنونا فهل جنونه بسيط أم أنه جنون مركب؟ هل يدرى ويتحمل مسئولية ما يفعل أم لا. هل يعاقب أم يعالج؟ هل قام بارتكاب الجرائم فى أوقات لم تكن نوبات المرض تهاجمه؟

واستمر الدكتور ثومبسون يقول: «وعلى كل حال أنا ضد نظرية أن كاست ارتكب هذه الجرائم دون أن يعى أنه ارتكبها. أنت تستطيع أن تقول بهذه النظرية لولا الخطابات. الخطابات تضرب النظرية فى أم رأسها. الخطابات تدل على الإعداد المسبق وسبق الإصرار والتعمد والتخطيط الدقيق المحكم لهذه الجرائم بدليل نجاحه فى ارتكابها دون أن يتمكن رجال الشرطة من القبض عليه متلبسا بارتكاب الجريمة فى مكان وقوع الجريمة».

قال بوارو: «ومسألة الخطابات هذه لم يتم تمحيصها تمحيصا كافيا حتى الآن؟ ما الرأى فيها؟ من الذى كتبها وأرسلها عندى. ولماذا؟»

فقال الدكتور ثومبسون: «هل هذه الخطابات تهمك؟» فقال بوارو: «هذا طبيعى. من الضرورى أن أهتم بها حيث إنها كانت موجهة إلى شخصى المتواضع. وحتى أحصل على السبب فى كون هذه الخطابات قد تم إرسالها لى دون أى شخص آخر، فأنا أعتبر أن القضية لا تزال مفتوحة ولم يتم حلها بعد ولا تزال حقائقها مجهولة تماماً».

قال الدكتور ثومبسون: «نعم ـ أنا أستطيع أن أتفهم ذلك من وجهة نظرك. لا يبدو أنه يوجد أى سبب للاعتقاد بأن الرجل كان يعمل ضدك بأى حال من الأحوال». فقال بوارو: «لم يحدث منه أى شئ ضدك على الإطلاق». فقال الدكتور ثومبسون: «أنا أقترح تفسيرا. اسمك!» فقال بوارو: «اسمى؟» فقال الدكتور ثومبسون: «إن كاست فيما يبدو لى مكبل بقيود تعلقه بأمه (عنده عقدة أديبوس كومبلكس. وأنا لا أعجب من ذلك بأى حال من الأحوال) ـ فى اسمه يوجد اسمان من الأسماء الرنانة جدا: «الكساندر، اسم رنان، يذكرنا بالإسكندر الأكبر المقدونى. بونابرت، اسم آخر رنان، يذكرنا بالإمبراطور الفرنسى نابليون. من الواضح أنه يحب الشهرة، أو أن أمه التى كان يحبها جدا كانت تحب له الشهرة. ومن أجل الشهرة أراد أن يضيف شهرتك أنت يا بوارو إلى شهرته هو... أنت هركيول بوارو، الإمبراطور هرقل العظيم الرومانى. إنه جنون شهرة الأسماء الرنانة بالإضافة إلى محاولة إضافة شهرتك إلى شهرة الأسماء الرنانة التى يتمتع بها اسمه هو شخصيا، وهو يريد تحقيق أكبر قدر من الشهرة فى الواقع الفعلى الذى يعيشه، ورأى أن إضافة شهرة اسمك إلى جانب شهرتك الفعلية يمكن أن يحقق له هدفه فى تحقيق الشهرة السريعة وفى الواقع الفعلى، وهو ما نجح بالفعل فى تحقيقه ولكن فى عالم الجريمة. غدا كاست أكبر المجرمين شهرة فى وقت قصير بالفعل، وقد حققت خطاباته إليك الهدف الذى ينشده وساعدت فى تحقيق شهرته المدوية الآن فى الآفاق وفى أقل وقت ممكن!».

قال كبير المفتشين جاب: «كلماتك معبرة جدا يا دكتور ثومبسون: «إنها مجرد اجتهادات واقتراحات. يجب أن أنصرف الآن. عندى محاضرات. والطلاب ينتظروننى».

وتركنا الدكتور ثومبسون وانصرف بالفعل وبقى كبير مفتشى الشرطة جاب والمفتش كروم. فقال بوارو: «هل مسألة أن يتمكن المحامى لوكاس من أن يثبت وجود كاست فى مكان آخر غير مكان جريمة القتل الثانية فى وقت حدوثها تزعجك يا جاب؟»

فقال جاب: «إنها تزعجنا قليلا من الإزعاج. ولكن ضع فى اعتبارك أننى لا أعبأ بها ولا أعتقد فى صحتها ولا أصدقها بأى حال من الأحوال. أنا أعلم علم اليقين أنها غير صحيحة. ولكن يبدو لى بالفعل أنها ستكون هنالك معمعة حامية الوطيس حول هذه النقطة بالذات. سيحاول ممثل الدفاع عن كاست إثباتها بكل الطرق، وسيحاول ممثل الإدعاء تفنيدها ودحضها بكل الطرق ولكن هذا الرجل الذى اسمه سترينج رجل صعب الرأس متمسك بصحة أقواله. وأخشى ما أخشاه هو أن يتمكن من العثور على شهود آخرين يثبتون صحة أقواله. وفى هذه الحالة نفشل فى القضية تماماً ويحصل كاست على البراءة التامة!»

قال بوارو: «ومن يكون سترينج هذا، وما مهنته. وما دوره فى القضية؟» فقال جاب: «سترينج هذا مهندس، فوجئنا به يحضر الجلسة ويطلب الإدلاء بشهادته، وحلف اليمين، وأدلى بشهادة عجيبة مدهشة تكاد تكون نقطة تحول فى القضية. وهو رجل مهندس فى الأربعين من عمره، صلب الرأى، واثق جدا من نفسه. أخذ يقسم بكل أنواع القسم أنه التقى مع كاست فى فندق هوايت كروس فى إيست بورن يوم ٢٤ يوليه مساء. ذكر فى شهادته أنه كان يشعر بالوحدة، وتحدث مع كاست وأعجبه كلامه، وكان كاست لا يتكلم كثيرا ولكنه يجيد الإصغاء لكلام المهندس سترينج. ودعاه المهندس سترينج إلى مسكنه فى ذلك المساء، أى فى وقت حدوث الجريمة الثانية، وأراد أن يتسلى معه بمشاركته

فى «لعبة الشطرنج» كان المهندس سترينج كما قال بنفسه بارعا جدا فى لعبة الشطرنج إلى حد أنه وصف نفسه بأنه تمساح فى لعبة الشطرنج، وأدهشه جدا أن السيد كاست كان يجيد للعبة أفضل منه وكسب منه أدواراً فى بداية اللعب مما جعل اللعب بينهما يستمر مدة طويلة جدا فى تلك الليلة. ولو كان السيد كاست منهمكا فى لعب الشطرنج فى مسكن المهندس سترينج إلى ما بعد منتصف الليل فى منطقة إيست بورن فمن المستحيل إذن أن يكون هو الذى خنق وقتل الفتاة بيتى برنارد على شاطئ بيكس هيل فيما بين الساعة الثانية عشر عند منتصف الليل والساعة الواحدة صباحا من ذات الليلة التى كان يلعب فيها الشطرنج مع المهندس سترينج!».

فقال بوارو: «المسألة على هذا النحو الذى تصورها به يستحيل القفز عليها بسهولة. وطبعا تمسك بها تماماً المحامى الشاب لوكاس، ولم يكن بحاجة أبدا إلى الدفع بجنون موكله. من الضرورى إعادة التفكير فى القضية يا صديقى جاب». فقال جاب: «هذه النقطة بالذات جعلت لصديقنا المفتش كروم شيئا يفكر فيه بعد أن كان يظن أنه لم يعد بحاجة إلى التفكير السليم!».

فقال بوارو: «هل هذا المهندس سترينج متمسك بأقواله؟» فقال جاب: «نعم إنه يقف أمامنا مثل شيطان عنيد. يقول إن ضميره لا يسمح له أبدا أن يتهم رجلاً طيباً مثل كاست بجريمة بشعة خنق فيها فتاة شابة فى نفس الوقت الذى كان يلاعبه فيه الشطرنج. وهو يقول أيضا إن كاست لم يتصل به، ولم يدعه للشهادة، وأنه قد قرأ فى الصحف، واندهش، ولم يسمح له ضميره... وأن كل ما يهمه هو الحقيقة والعدالة وألا يحيق الظلم بإنسان برئ كل البراءة... هذا المهندس عنيد، ويجيد الكلام ببراعة... لم يكن المحامى فى حقيقة الأمر يستطيع أن يفعل بدون سترينج هذا سوى الدفع بالجنون وطلب الرأفة».

قال بوارو: «هذه مشكلة ـ نعم. هذه مشكلة» فقال جاب: «بالطبع لو تكلمنا كلاما جادا، ولو استطعت أن تكف عن الاستخفاف بى لمجرد أن تنجح فى مضايقتى كما هى عادتك معى يا صديقى، ولو أمكن ذلك، ولو تكلمنا كلاما جادا نجد أن محاولة إثبات وجود كاست فى مكان آخر غير مكان الجريمة فى وقت حدوثها لن تنجح أبدا فى مواجهة أدلة مادية ثابتة وحاسمة وكاملة الحجية والدلالة. عندنا أن كاست فى جريمة القتل التى وقعت فى دونكاستر داخل السينما قد أعطانا معطفه الملوث بدم المجنى عليه. إنه من نفس فصيلة عينة الدم. وعثرنا عنده على السكين الذى استخدمه فى الجريمة. يستحيل أن تتطرق أية شبهة شك فى هذين الدليلين. وهكذا سيستحيل على أى مهندس أو محامى أن يقنع هيئة المحلفين ببراءة كاست. المهندس والمحامى يحاولان تبرئة كاست. وهى مجرد محاولة محكوم عليها بالفشل، ولكنه فشل بعد جدال عنيف شرس لشراسة كل من المهندس والمحامى كما سبق لى أن أشرت. الأدلة الحاسمة ضد كاست وشهادة المهندس بالذات ضدنا. وأنا أعتقد يا بوارو أن شهادة المهندس يستحيل أن ترجح الأدلة المادية الحاسمة... نحتاج فقط يا بوارو ألا ندع لهم ثغرة، وألا تزداد اتساعا. ولكننا لا نعرف كيف نغلق الثغرة... هذه هى المشكلة... ونحن نخشى أن تزداد الثغرة اتساعا!».

وهز كبير مفتشى الشرطة جاب رأسه فى حيرة، ونهض واقفا على قدميه وقال: «لهذا أرسلنى مساعد مدير الأمن إليك ومعى الدكتور ثومبسون والمفتش كروم. والآن، هذه هى فرصتك يا صديقى بوارو! المفتش كروم قد أصبح فى ضباب كثيف. ليس عنده إلا الصمت والوجوم! أرجو يا صديقى

بوارو أن تجعل الخلايا الرمادية الصغيرة فى ذهنك تعمل. مساعد مدير الأمن يعرف صداقتنا، وقد أرسلنى إليك لكي تجعل هذه الخلايا تعمل. أصبح الوقت حرجا. ودخلت القضية على أسس معينة تعبنا من أجل ترسيخها... هذه الخلايا الرمادية مشهورة جدا. ونحن نريدها أن تعمل... لقد اعتدنا أن نسمع عنها، وسمع عنها مساعد مدير الأمن ولذلك أرسلنى إليك... مهمتك هى أن توضح لنا كيف ندحض محاولتهم إثبات وجود كاست فى مكان آخر غير مكان الجريمة الثانية فى وقت وقوعها. أرنا كيف تنجح فى ذلك. نريد أن تنجح فى ذلك».وانصرف جاب ومعه المفتش كروم. وبعد انصرافهم قلت: «ما الحل يا بوارو؟ هل الخلايا الرمادية اللون المشهورة جدا التى أصبح يعتمد عليها مساعد مدير الأمن شخصيا ستستطيع أن تكون على مستوى هذا العمل وعلى مستوى هذا لتحدى؟»

وأجاب بوارو سؤالى بسؤال آخر فقال: «قل لى يا هاستينجز، هل أنت كنت تعتبر أن القضية منتهية بحيث يمثل كاست أمام القضاء والأدلة المادية الحاسمة جاهزة ضده، ولم يبق إلا أن يصدر عليه المحلفون حكمهم ويعتمد صحته القاضى فقط لا غير؟» فقلت: «حسنا. نعم أنا مازلت أعتقد أن هذه هى الحقيقة. أمامنا الرجل المتهم. ومعنا الأدلة المادية الحاسمة. الحكم عليه بعقوبة مناسبة لجرائمه وظروفه هو فقط الشئ المطلوب. وهو ما سيتم بطبيعة الحال. اقتضى الإمساك بالرجل بعض الوقت. ويحتاج الحكم على الرجل بعض الوقت. القضية كانت منتهية فى نظرى، ولا تزال القضية منتهية فى نظرى يا بوارو».

هز بوارو رأسه وقال: «القضية منتهية! القضية! القضية هى الرجل يا هاستينجز. وحتى نعرف كل ما يلزم أن نعرفه عن الرجل تكون القضية لم تنته وتكون أسرارها لا تزال بعيدة الغور لم يسبر أحد غورها بعد! ليس مجرد وضعنا للرجل فى قفص الاتهام أمام القضاة نصرا حقيقيا بالمعنى الحقيقى للانتصار!».

فقلت: «نحن الآن وبالفعل نعرف الكثير عن الرجل، وأنت معنا تعرف الكثير عن الرجل يا بوارو». فقال بوارو: «نحن ـ أنتم وأنا ـ لا نعرف عن الرجل أى شئ على الإطلاق! نعم، نحن نعرف أين وَلِدَ. نحن نعرف أنه اشترك فى الحرب وأصيب أثناء الحرب بجرح خطير فى رأسه وأنه قد تم تسريحه من الجيش بسبب مرض الصرع الذى أصيب به جراء أحداث الحرب وربما بسبب الجرح فى رأسه. ونحن نعرف أنه أقام فى مسكن للإيجار فى منزل السيدة ماربورى لمدة تقترب من عامين. نحن نعرف أنه كان هادئ الطباع مثل كل المحالين إلى الاستيداع وكان إنسانا لا يكاد يحس بوجوده أحد ولا يكاد يعيره التفاتا أحد، لم يكن منه خوف، ولم يكن فيه رجاء. نحن نعرف أنه ابتكر وخطط وقام بتنفيذ خطط محكمة لارتكاب سلسلة من جرائم القتل العمد مع سبق الإصرار والترصد ضد ضحايا أبرياء لم تكن تربطه بأحدهم رابطة أو تصله بأحدهم أى رابطة أو أى صلة من قبل مهما كان ذلك مدهشا ومحيرا لنا. ونحن نعرف انه قد مارس ارتكاب جرائمه هذه بغدر ووحشية وقسوة بالغة وببساطة مذهلة، وبخطط محكمة ناجحة. نحن نعرف أنه ارتكب فى آخر جرائمه بعض الأخطاء الجسيمة تمكن رجال الشرطة بسببها من الإمساك به. ونحن نعرف أيضا أنه كان من كرم الأخلاق ويقظة الضمير وحب الإنسانية والتعاطف مع الأبرياء بحيث لم يكن يدع أحدا غيره عرضة لشكوك الاتهام. ولذلك كان يحرص على أن يضع بجوار الجثة ما يدل بالقطع على أن مرتكبها ليس هو الشخص الذى يمكن أن يتهم ظلما فى الأحوال العادية مثل زوج السيد آستشر العجوز بسبب الرغبة فى الحصول على المال من أجل الخمر أو خطيب لشابة بيتى برنارد بسبب الغيرة، أو شقيق السير كارمايكل كلارك طمعا فى الحصول على

الميراث. كان يحرص على إبعاد الشبهات عن كل هؤلاء، وهذا نبل لا شك فيه، وعدل، واستقامة خلق وسواء طبع وحسن تصرف بالرغم من أن تركه لدليل يصرف ويمنع الشبهات عن أولئك الأبرياء قد تستخدم فى أى وقت قرينة ضده، وقد تم استخدام دليل القطارات الأبجدى الذى كان يضعه بجوار جثة كل من المجنى عليهم بالفعل كقرينة ضده! هل تدرك الآن وتفهم وتُقَدر يا هاستينجز أن الرجل عبارة عن كتلة من المتناقضات؟ إنه غبى وماكر. قاسٍ وحانٍ. هل تدرك الآن وتفهم وتُقَدر الآن يا هاستينجز أنه لابد من إيجاد عامل من العوامل يحقق الاتساق والتوافق بين هاتين الطبيعتين الموجودتين فى هذا الرجل؟ ما هذا العامل من العوامل الذى يزيل هذا التناقض داخل الرجل؟ وأين يوجد بالضبط وكيف نعثر عليه يا هاستينجز؟»

قلت: «يجوز أن تحصل عليه لو عاملته بطريق سيكولوجية محضة». فقال بوارو ماذا عساها بالضبط أن تكون هذه القضية إن لم يعن أحد ببحث هذه المسألة منذ بدأت القضية وحتى الآن؟ طوال الوقت، وطوال مسيرتى فى هذه القضية كنت أضع نصب عينى أن أحاول أن أعرف الرجل القاتل، ولقد تحققت وتأكدت الآن يا هاستينجز أننى لم أعرف الرجل على الإطلاق! إننى فى وسط البحر!» قلت: «شهوة الرجل فى أن يكون قويا ـ » فقال بوارو: «نعم. نعم، شهوة الرجل فى أن يكون قويا أو شهوة الرجل فى أن يكون مشهورا ـ كما يقول الدكتور ثومبسون ـ هذا أو ذاك أو كلاهما يمكن أن يفسرا أو يمكن أن يفسرا قدرا كبيرا من هذه القضية أو غيرها من القضايا وليس هذه القضية وحدها... ولكن هل يكفينى أنا ـ هركيول بوارو ـ مثل هذا التفسير العمومى. البشر وحدهم هم الذين لا تنطبق عليهم نظرية من النظريات أو قاعدة من القواعد يا هاستينجز. يتمدد الحديد بالحرارة عندما يتعرض الحديد للحرارة بدرجة كافية يا هاستينجز، ولكن ليس الناس أسياخا من الحديد يا هاستينجز وتوجد أعداد هائلة من البشر لا يستطيعون العيش إلا فى جو بارد ويموتون لو عاشوا فى جو حار، وتوجد أعداد هائلة من البشر لا يستطيعون العيش إلا فى جو حار، ويموتون لو عاشوا فى جو بارد. لا يكفينى أنا هذا التفسير العمومى بالرغبة فى القوة، من الذى لا يرغب فى القوة؟ ولا يكفينى أنا ذلك التفسير العمومى بالرغبة فى الشهرة، من الذى لا يرغب فى الشهرة؟ كل الناس يرغبون فى القوة وكل الناس يرغبون فى الشهرة. ولا يرتكب كل الناس الجرائم من أجل تحقيق القوة أو الشهرة. وليس مجرد طمع منى أن الرغبة فى القوة أو الرغبة فى الشهرة لا تكفينى لفهم الرجل ولا تكفينى لتفسير جرائمه البشعة. الدكتور ثومبسون مثلا يبرر ارتكاب كاست لهذه الجرائم ـ كما تقول أنت أيضا ـ بالرغبة فى الشهرة. الناس يخلطون بين الدوافع العامة للسلوك وبين الدوافع إلى ارتكاب الجريمة. لذلك أرجو ألا تعتبر أننى مغال أو أستسلم لأى شطط عندما أقول إن الرغبة فى القوة كما تقول أنت الآن أو الرغبة فى الشهرة كما كان يقول الدكتور ثومبسون هى الدافع إلى الجريمة. الدافع إلى جرائم كاست شئ آخر أو أشياء أخرى غير الرغبة فى القوة أو الرغبة فى الشهرة، والرجل، كاست، لم يقل لأحد، أنا، كاست، ارتكب هذه الجريمة أو تلك، بل الرجل كاست ينفى عنه التهمة بثبات وشراسة. الرغبة فى القوة أو الرغبة فى الشهرة لا تكفينى أى منهما أو كلتاهما كدافع لارتكاب جرائم كاست، ويظل السؤال كما هو فى نظرى: لماذا ارتكب الرجل هذه الجرائم؟ لماذا اختار أولئك الضحايا بعينهم ليقتلهم؟ ولماذا اختارنى أنا بالذات لكى يؤثرنى باستلام خطاباته؟!»

قلت: «من المعروف أن كاست كان قد اختار ضحاياه وفقا للحروف الأبجدية». فقال بوارو: «وهل كانت بيتى برنارد هى الشخص الوحيد الذى يبدأ اسمه بحرف الباء مثلا؟ ولماذا اختارنى لكى يؤثرنى باستلام خطاباته؟ هل كان ذلك وفقا للحروف الأبجدية أيضا؟ لا يا هاستينجز. ليست الحروف الأبجدية هى أساس اختيار الضحايا. يوجد ملايين من الناس يبدأ اسم كل منهم بحرف أبجدى معين. ملايين من الناس تبدأ أسماؤهم بحرف الألف ولم تكن السيدة آستشر وحدها هى التى يبدأ اسمها بحرف الألف. لا تصلح الحروف الأبجدية أساسا للاختيار كما تحاول أن توهم نفسك بذلك وكما يتوهم الناس ذلك. إنها مجرد تمويه من القاتل، لا أكثر ولا أقل، وليست هى أساس الاختيار بأى حال من الأحوال. إن عندى فكرة بخصوص هذه المسألة... ومن الضرورى أن تكون صحيحة... ولكن لو كانت صحيحة... »

وسكت بوارو عن الكلام. وعرفت أنه يفكر فى مسألة من المسائل بعنف وعمق... ولم أشأ أن أقطع عليه حبل أفكاره مع شدة رغبتى فى أن أسأله عن الفكرة التى قال إنها قد أصبحت عنده. وعلى كل حال سأعرفها عندما تنضج تماماً وتصبح جاهزة للاستخدام الآدمى. عندئذ، وعندئذ فقط سيخبرنى بها بوارو من تلقاء نفسه. ويبدو أن انتظارى سيطول هذه المرة. يبدو لى أن بوارو قد نام واستغرق فى النوم وأغمض عينيه، بل أعتقد أننى أيضا كنت قد نمت واستغرقت فى النوم، ولقد تحققت من ذلك عندما وضع بوارو يده على كتفى. وهزنى بلطف وهو يقول لى : «يا عزيزى هاستينجز، أيها العبقرى الطيب!».

ولقد اضطربت تماماً تحت وطأة هذا الإطراء المفاجئ. ترى ماذا سيجئ بعده؟ ولكن زادت دهشتى وزاد اضطرابى عندما وجدت بوارو فى حال مزاجية ممتازة وهو يبتسم لى ابتسامة جميلة جدا ويقول لى كلاما فى غاية اللطف والحلاوة وعرفان الجميل. لقد فوجئت أن بوارو يقول لى: «صحيح. دائما ـ دائما أنت تساعدنى ـ أنت تجلب لى كل الحظ الحسن. أنت تلهمنى يا هاستينجز!»

قلت: «وكيف ألهمتك أنا هذه المرة يا بوارو؟» فقال: «بينما كنت أوجه إلى نفسى سلسلة من الأسئلة تذكرت فجأة ملاحظة من ملاحظاتك ـ ملاحظة تلمع لمعانا وتومض وميضا وتنير مساحات شاسعة حولها. ألم أقل أنا لك ذات مرة إنك عبقرى فى التعبير عن الأفكار الواضحة؟ أنت ملك من ملوك صياغة«الواضح» بأبسط وأوجز وأدق عبارة من أقرب طريق وبأسهل طريقة يا هاستينجز: «هذا الواضح» على وجه التحديد هو ما كنت أنا قد أهملته طول هذه القضية يا هاستينجز!»

قلت: «أرحنى يا بوارو! ما هذا الواضح الذى صُغْتُه أنا فى ملاحظة عبقرية فأضاء لك كل ما حوله فى مساحات شاسعة عل طول امتداد سلسلة أفكارك المتتابعة الأسئلة. بخصوص المشاكل والمعضلات المتشابكة الغامضة؟»

قال بوارو: «إنه يجعل كل شئ واضحا وصافيا وخاليا من الشوائب مثل البللور الأصلى. لقد أصبحت أرى إجابات صحيحة لكل الأسئلة مثل لماذا قُتِلَتْ السيدة آستشر؟ لماذا قُتِلَتْ بيتى برنارد؟ لماذا قُتِلَ سير كارمايكل كلارك؟ لماذا قُتِلَ الحلاق المسكين جورج إيرلزفيلد وهو بداخل السينما يشاهد أحد الأفلام فى ناحية دونكاستر؟ ولماذا كان القاتل يؤثرنى أنا شخصيا باستلام خطاباته؟ أليست هذه كلها حلقات متعددة فى سلسلة الأسئلة التى تحاول أن تسخر منها ومنى يا صديقى هاستينجز؟»

قلت: «أنا أستفزك لكى تجعل الخلايا الرمادية الصغيرة تعمل ولا تكسل، ولست أسخر منك أبدا يا صديقى بوارو. وهذا أيضا هو »الواضح» الذى أجيد التعبير العبقرى عنه كما تقول يا صديقى. ألا تستطيع من »هذا الواضح» أن تشرح وتفسر لى هذا الذى قلته آنفا لو تكرمت بذلك يا صديقى بوارو؟»

فقال بوارو: «ليس فى هذه اللحظة يا هاستينجز. أعدك أننى سأشرح وأفسر كل ما تريد، بل أعدك أنك ستجد الشرح الآن يا هاستينجز. أنا أحتاج الآن فقط إلى معلومات قليلة أكثر مما عندى. وأنا آمل أن أحصل علي هذه المعلومات من أعضاء الرابطة الخصوصية المحترمين الذين تطوعوا لجمع المعلومات عن القاتل الشرير. وبعدئذ، عندما أحصل على إجابة سؤال متبق في مؤخرة رأسي لم تصل إليه أى خلية رمادية حتى الآن، سأذهب فورا لمقابلة القاتل وفقا للحروف الأبجدية نفسه سأطلب تصريحا خاصا لزيارته. وسنتقابل، وجها لوجه أخيرا: القاتل وفقا للحروف الأبجدية وهركيول بوارو ـ المتنافسان سيكونان وجها لوجه».

قلت: «وماذا بعد أن يتقابل المتنافسان وجها لوجه؟» فقال بوارو: «وبعد أن نتقابل سنتكلم. أنا أؤكد لك يا هاستينجز أنه لا يوجد شئ أكثر خطورة على الرجل الذى يخفى سرا فى أعماق نفسه من المحادثة مع الآخرين. ولقد أتحفنى أحد المفكرين الفرنسيين بحكمة تقول إن»الكلام» هو اختراع يمنع الإنسان من التفكير وهى وسيلة فعالة فى اكتشاف ما يخفيه الإنسان عن غيره. إن الكائن البشرى يا هاستينجز لا يستطيع سوى أن ينتهز الفرصة لكى يعبر عما يخفيه فى سريرته وتبعته ويضنيه عند أول فرصة تسنح له لكى يقتنص محادثة مريحة مع إنسان يثق به أو لا يتوقع خطرا منه. فى كل مناسبة من مناسبات المحادثة سيكشف عن جزء من قراءة نفسه ومطوى أسراره».

قلت: «وماذا تتوقع أن يقل لك كاست؟»

وابتسم هركيول بوارو ابتسامة حلوة أخرى وقال: «أكذوبة أخرى، ومن خلالها سأعرف أنا الحقيقة!».



الفصل الثانى والثلاثون
وَيَصطادُ ثَعْلباً

طوال الأيام القليلة التالية كان بوارو مشغولا جدا. كان يبدو عليه أحيانا شرود غامض. وكان يتكلم قليلا، وكان يقطب جبينه دون أن يتحدث مع شخص آخر، وكان يرفض أن يشبع ما كنت أشعر به من فضول طبيعى فى أن أعرف ما الملاحظة الذكية التى كنت قد أبديتها له على حد قوله ففتحت له مغاليق إجابات أسئلة كثير مهمة لم يكن يجد لأى سؤال منها أى إجابة.

ولم يدعنى أبدا لكى أصحبه فى غدوه أو رواحه فى الأيام الأخيرة كما كان يفعل من قبل إذ كان يستحيل أن يخرج من مسكنه أو يعود إلى مسكنه دون أن يصحبنى معه، أما فى هذه الأيام الأخيرة فهو لا يصحبني معه أبدا فى خروجه أو عودته. وعلى الرغم من كل ذلك، وفى نهاية الأسبوع، أعلن بوارو

لى عن عزمه على أن يصحبنى معه فى زيارة إلى منطقة بيكس هيل. ولا حاجة بى إلى غير القول بأنى رحبت بذلك بحماس شديد.

واكتشفت بعدئذ أن الدعوة إلى زيارة منطقة بيكس هيل لم يواجهها بوارو لى أنا وحدى كالمعتاد، ولكن الدعوة كانت موجهة أيضا إلى جميع أعضاء رابطة المضارين من جرائم القتل وفقا للأبجدية.

كانوا جميعا مهتمين بهذه الدعوة اهتماما كبيرا كما كنت أنا مهتما بها. وعلى الرغم من كل شئ استطعت فى آخر النهار على نحو تقريبى أن أستنتج اتجاه أفكار بوارو والمسار الذى بدأت تتخذه هذه الأفكار، وعرفت أن الخلايا قد نشطت بعد خمول.

زار فى بدء المطاف السيد والسيدة برنارد فى بيكس هيل وعرف بالضبط ما يريده منهما عن الساعة التى شاهدت فيها السيد كاست واشترت منه الجوارب لابنتها بيتى والكلمات التى قالها لها بالضبط حتى تم البيع وانصرف من أمام منزلها... وذهب بعد ذلك إلى الفندق الصغير الذى كان كاست قد نزل فيه وحصل على وصف دقيق لوقت مغادرته الفندق وكيفية ذلك... وبقدر تقديرى الشخصى لم يحصل بوارو على معلومات جديدة، ولكنه كان يجرب ويحاول أن يتأكد من صحة معلوماته... وكان بوارو راضيا مرتاحا لما حصل عليه فى هذا الصدد.

ثم ذهب إلى شاطئ البحر وإلى نفس المكان الذى تم فيه اكتشاف جثة بيتى برنارد، وأخذ يدور فى دوائر لبضع دقائق وهو يدرس ويفحص المكان بعناية. ولم يستطع أن يعثر على أشياء ذات قيمة هنا لأن المد والجزر كان يغمر المكان أكثر من مرة فى اليوم.

وكنت أنا أدرك على كل حال عند ذلك أن حركات وأفعال وتصرفات بوارو كانت تمليها عليه فكرة معينة مهما كانت هذه الفكرة تبدو غير ذات معنى. ثم مشى بوارو من البلاج إلى أقرب مكان ممكن أن تقف فيه سيارة، وأخذ يفحص الأرض وهو منحنى بشدة وبكل عناية. ومن هذا المكان، ذهب بوارو إلى مكان آخر هو عبارة عن الحد الفاصل بين منطقة إيست بورن ومنطقة بيكس هيل.

وأخيرا، اقتادنا بوارو إلى مقهى جينجر كات حيث تناولنا الشاى والشطائر وكانت تقدمها لنا العاملة الثمينة ميلى هيجلى التى حظيت ببعض دعابات بوارو، وضحكت منها، ولكنها طلبت منه أن ألا يستمر فى ذلك حيث أنها تؤدى عملها. واحترم بوارو رغبتها على الفور وأخطرها بذلك فضحكت أيضا.

وبعد وقت طويل قال بوارو: «لقد فرغت من منطقة بيكس هيل، وسأذهب الآن إلى منطقة إيست بورن. سأستعلم عن شئ بسيط جدا هناك وليس من الضرورى أن تأتوا معى. اذهبوا إلى الفندق وسأحضر عندكم بعد قليل وتستطيعون أن تتناولوا شراب القهوة اللذيذ حتى أحضر إليكم».

وعاد بوارو وانضم إلينا فى الفندق. وبينما كنا نشرب القهوة قال فرانكلين كلارك لبوارو باهتمام كبير: « أعتقد أننا نستطيع أن نخمن ما تجرى وراءه. أنت تفحص كل هذه الأماكن لتجد أى شئ يحطم محاولة الدفاع عن السيد كاست لكى يثبت وجوده فى غير مكان الجريمة الثانية فى بيكس هيل وقت وقوع الجريمة. الصحف كلها تتحدث عن هذه المفاجأة فى مسار القضية. وأنا لا أعرف لماذا أنت مسرور هكذا وتقيم لنا كل هذه الولائم. إنك لم تحصل على حقيقة جديدة من أى نوع. ولو كنت قد حصلت على أى حقيقة جديدة فما هى؟»

اكتفى بوارو بأن هز رأسه وقال: «لا ليس هذا صحيحا» فقال فرانكلين كلارك: « حسنا، ماذا إذن؟» فقال بوارو: « الصبر، كل شئ يرتب نفسه بنفسه لو أتيح له وقت كاف». فقال فرانكلين كلارك: «أنت معجب بنفسك جدا على أى حال!» فقال له بوارو بكل هدوء وثقة: «لا شئ على الإطلاق قد تناقض مع فكرتى الصغيرة حتى الآن وهذا هو السبب!».

وظهر الجد على وجه بوارو وقال: «صديقى هاستينجز. قال لى ذات مرة أنه كان يلعب مع أصدقائه فى مقتبل العمر لعبة جميلة اسمها«لعبة الحقيقة» وهى لعبة تتطلب أن نوجه إلى كل واحد فى دوره ثلاث أسئلة بحيث يجيب عن سؤالين منهما إجابة صادقة وإجابة السؤال الثالث يمكن التجاوز فيها ولا يشترط الصدق فى السؤال الثالث فقط. ومن البديهى أن الأسئلة ربما تكون أسئلة محرجة جدا ولابد من الإجابة على سؤالين على الأقل بصدق. ولكن قبل أن تبدأ اللعبة يجب أن يقسم كل شخص بالدور أنه سيقول الحقيقة، والحقيقة وحدها ولا شئ غير الحقيقة بالنسبة لإجابته عن سؤالين على الأقل».

وتوقف بوارو عن الكلام فقالت ميجان برنارد: «حسنا؟» فقال بوارو: «أنا أرى أن هذه لعبة مسلية تساعدنا على قضاء وقت ممتع هنا، ولكننى سأجعل اللعبة أكثر سهولة. سأكتفي بسؤال واحد فقط لكل متسابق».

قال فرانكلين كلارك: « أنا مستعد أن أجيب أى سؤال بصدق» فقال بوارو: «لا يكفى هذا. من أساسيات اللعبة أن تبدأ بأن يقسم كل واحد فى دوره أن يقول الصدق. كل الصدق ولا شئ غير الصدق. الموافق يرفع يده ويؤدى القسم بصوت واضح مسموع ويحجز دوره». وسارت الجدية والحماس للعبة بين الجميع. لم يكن أمامهم ما يفعلونه. وبدت لهم اللعبة مسلية تزجي الوقت.

وحاول فرانكلين أن يقاوم اللعبة فى البداية فقال: «هل هذه نكتة؟» فقال بوارو: «بالتأكيد لا».

وحجز كل من الموجودين دوره وأدى القسم بوضوح وبصوت مسموع. والتفت بوارو إلى دونالد فريزر وقال له: «متى أخذت إجازة هذا العام يا سيد؟» فقال دونالد: «إجازتى؟ فى الأسبوعين الأولين من شهر أغسطس». ولم يبد أن بوارو التفت أو اهتم بالإجابة والتفت بسرعة إلى تورا جراى وقال لها: «يا آنسة لو كانت الليدى كلارك قد ماتت فى حياة السيد كارمايكل كلارك، هل كنت توافقين على أن تتزوجينه لو كان قد طلب الزواج منك؟» وقفزت الفتاة واقفة وقالت: «كيف تجرؤ أن تسألنى مثل هذا السؤال؟ إنه ـ إنه إهانة؟» فقال بوارو بهدوء: « ربما ولكنك قد أقسمت بمحض إرادتك واختيارك أن تقولى الحقيقة. وأنا نبهت أن السؤال قد يكون محرجا. نعم أم لا؟» فقالت تورا جراى: « كان السير كارمايكل رائعا وكريما معى. كان يعاملني تقريبا كما لو كنت ابنته. وهذا بالضبط هو ما كنت أشعر به. مجرد محبة أبوية وامتنان منى له». فقال بوارو: «معذرة، ولكن هذه ليست إجابة باستخدام نعم أو باستخدام لا يا آنسة». وترددت تورا جراى قليلا ثم قالت: «ا لإجابة بالطبع هى لا» ولم يعلق بوارو على الإجابة بأكثر من قوله: «أشكرك يا آنسة».

واستدار نحو ميجان برنارد وقال لها: «يا آنسة، ماذا تتوقعين أن تكون نتيجة أسئلتى. هل تريديننى أن أصل إلى الحقيقة أم لا؟» وجاءت إجابة ميجان وسريعة وحاسمة ومخيبة لما توقعته. قالت ميجان برنارد: «لا!» وقفنا جميعا على أقدامنا من فرط الدهشة. وحملق بوارو فى وجهها وقال لها: «يا آنسة ميجان أنت لا تريدين الحقيقة ولكنك تقولينها بشجاعة».

والتفت بوارو نحو مارى درورو وقال لها: «قولى لى يا طفلتى:هل لك صديق من الشباب؟» وبدت مارى مرعوبة واحمر وجهها وقالت: «أوه، يا سيد بوارو ـ أنا، أنا، حسنا، أنا لست متأكدة» وابتسم بوارو وقال لها: «إذن هذا أفضل. إجابة مقبولة كاستثناء طبيعى أنا وحدى كمدير للعبة أجيزه أو أرفضه. إجابتك مقبولة على سبيل الاستثناء من القاعدة يا بنتى لسبب بسيط هو أننى ألمس فيها الصدق».

والتفت بوارو نحوى وقال لى: «هيه، حسنا، يا بنى. تعال يا هاستينجز يجب أن نبدأ فى التحرك إلى إيست بورن الآن. انتهت اللعبة لانتهاء الوقت وتم إعفائك من السؤال بشرط أن تتحرك معى بسرعة إلى إيست بورن».

وكانت السيارة فى انتظارنا وكانت السيارة تسير بنا على الطريق الموصل بين بيفنسى إلى إيستبورن. وقلت: «هل يمكن أن أسألك عن شئ يا بوارو؟» فقال بوارو: «ليس فى هذه اللحظة. استنتج ما تشاء مما أعمله وليس مما أقوله».

وبدأ بوارو الذى كان مسرورا من نفسه يغمغم بمقطع من أغنية. وعندما تخطينا بيفنسى اقترح بوارو أن نتوقف لنزور القلعة.

وبينما كنا نعود من القلعة نحو السيارة كان بعض الصبية يلعبون وهم يرددون نشيدا شعبيا مألوفا لفت انتباه بوارو فقال لى: «ماذا يقولون هؤلاء الصبية يا هاستينجز؟» فقلت له: «من الواضح لى أنهم يقولون:

هيا اصطَدْ ثَعْلَباً، وخذه معك مُعَلَّبا. لا تدعه يفلت أبدا. إن شئت ألا تُغْلبَا.

وأدهشنى أن بوارو أعجبه جدا هذا النشيد وأخذ يردده أكثر من مرة وهو مسرور منه سرورا كبيرا. وفجأة، أصبح وجهه حزينا وجادا ومهموما وقال لى: «هذا فظيع يا هاستينجز. الأصل الطبيعى أن يكون الكائن الحى سواء كان إنسان أو ثعلبا حرا طليقا. ولكن تقييد الحرية للإنسان أو الطير أو الحيوان شئ فظيع. هل مارست هواية صيد الثعالب هنا يا هاستينجز؟» فقلت له: «لا. لم يكن معى أبدا ما أنفقه على هذه الهواية. إنها هواية مكلفة. أنا لا أعتقد عموما أنه يوجد صيد كثير هنا».

قال بوارو: «أنا أقصد صيد الثعالب من أجل الحصول على الفراء الغالى الثمن فى إنجلترا كلها يا هاستينجز. من أين يأتى الفراء على معاطف النساء؟ من هذه الثعالب. إنها هواية قاسية عنيفة، بل هى حرفة فى غاية الظلم والقسوة. اصطياد الثعالب بعد أن يصيبها الفزع، وتجرى وتجرى، والخيول تجرى وتجرى والكلاب تنبح وتجرى وتجرى. الثعالب تجرى إلى الأمام، ثم قد يخطر لها أن تعود إلى الخلف. وترتبك... وتقع أو تقف حائرة وتمسكها الكلاب ويتسلمها الصيادون ويذبحونها على الفور. صيد وقتل! إنها لقسوة!».

وسكت بوارو قليلا ثم قال: «أيهما أخف وطأة وآلاما: الصيد والحبس فى صندوق أو قفص أم الصيد والقتل فورا يا هاستينجز؟» فقلت: « الحبس فى صندوق أو قفص قسوة مستمرة وهو أشد وطأة وإيلاما من الصيد والذبح فور تمام الصيد».

وهز بوارو رأسه وقال: «غدا سأزور الرجل كاست. وسنعود إلى لندن الآن». فقلت: «ألست تقول أننا ذاهبون إلى إيست بورن؟» فقال بوارو: «وما حاجتنا إلى الذهاب هناك؟ أنا أعرف ـ أعرف ما يفى تماماً الغرض».



الفصل الثالث والثلاثون
ألكساندر بونابرت كاست

لم أكن موجودا أثناء تلك المقابلة التى جرت وقائعها بين بوارو وذلك الرجل الغريب الشأن - ألكساندر بونابرت كاست. ونظرا لاتصال هذا الشأن بالشرطة ونظرا للخطورة وللطبيعة الحساسة لهذه القضية لم يجد بوارو أى صعوبة فى الحصول على تصريح بمقابلة المتهم الخطير باعتباره ضابطا متقاعدا عن الخدمة ولشهرته المدوية ولحاجة الشرطة الحاسمة إلى جهوده فى القضية، ولكنه حصل على تصريح لنفسه فقط، واعتبرت إدارة الشرطة أننى غير ذى صفة، ووجدت على التصريح الذى حصل عليه بوارو عبارة: «خاص جدا بحامله وحده». وهكذا تمت المواجهة بين الرجلين وجها لوجه دون أى تدخل منى أو من أى شخص آخر.

وعلى كل حال روى لى بالضبط صديقى بوارو تفاصيل ووقائع هذه المقابلة الغريبة الفريدة من نوعها. ولقد عنيت عناية فائقة بتدوينها فور سماعى لها على الورق خوفا من أن تفلت أى جزئية من تفاصيلها من ذاكرتى، وأنا أرويها بالضبط كما رواها لى صديقى بوارو.

كان يبدو أن السيد كاست قد انكمش ونقص وزنه، وزاد انحناء ظهره؟ وكانت أصابع يده تبدو معروقة واهنة خارج كم معطفه.

وظل بوارو لا يتكلم إطلاقا بعض الوقت. جلس على كرسى أمام كاست صامتا لا يتكلم وينظر إلى كاست فقط... بوارو لا يتكلم وكان كاست لا يتكلم. وبعد مضى بعض الوقت أصبح هذا الموقف الصامت تماما مملا، يثير القلق، مملوء بفراغ لا يحتمل.

ومن الضرورى أن هذا اللقاء كان لقاء فريدا من نوعه بين هذين الغريبين اللذين كان كل منهما يلعب ضد الآخر فى مباراة امتدت بضعة شهور بأيامها ولياليها وتتفرج إنجلترا بأسرها، وربما دول أخرى على جولات عديدة متلاحقة عنيفة دموية عاصفة توالت فيها جرائم القتل، يصر أحد الطرفين على ارتكابها، ويخطط وينفذ منها ما استطاع إلى تنفيذه سبيلا ولقد استطاع ببراعة وذكاء أن يخطط وأن ينفذ ما أراد من جرائم مثنى وثلاث ورباع، وبلغ فى ذلك مبلغا عظيما من الدقة والجرأة وطول الباع؛ ويصر الطرف الآخر على أن يمسك بتلابيب الجانى الخطير المجرم ليمنعه من ارتكاب جرائم أخرى وليلقى جزاءه الصارم على ما اقترفته يداه كما تقدم. ولو كنت أنا مكان بوارو لعصفت الإثارة بمشاعرى ولأعجزتنى تماما عن أن أتكلم. ولست أدرى ما إذا كان بوارو فى صمته عن الكلام يبكى أم يبتسم. التقى المنتصر فى أول الأشواط بالمهزوم فى تلك الأشواط الأولى. والتقى المنتصر فى آخر الأشواط بالمهزوم فيها. انجلى الموقف عن أن الجريمة لا تفيد وأن من يدافع عن الحق والعدل هو الذى ينتصر فى النهاية ويفيد ويستفيد.

ولابد أن بوارو كان يهدف من فترة الصمت الأولى فى هذه المقابلة المثيرة إلى أن يزيدها إثارة إلى

الحد الذى يجعل الطرف الآخر يتمنى أن يتكلم هذا الزائر العجيب ليكشف عن شخصيته وهو يقول من هو وماذا يريد أم أنهم قد أدخلوا عنده شخصاً أبكم لا يتكلم ولا يبدى ولا يعيد؟! وإذا كان أبكم لا يتكلم ألا يبدى أى إشارة من قريب أو بعيد؟

وأخيرا تكلم بوارو فقال بلطف وأدب شديد: «ألا تعرف من أنا؟» واكتفى كاست بأن هز رأسه بما يفيد النفى... وظل صامتا يفكر ثم قال: «لا ـ لا ـ لا أستطيع أن أقول أننى أعرفك. أخمن أنك جئت من طرف السيد لوكاس المحامى، أو ربما تكون قد جئت من طرف السيد ماينار. السيد لوكاس هو المحامى. والسيدان ماينار وزميله كول هما المكلفان بتمثيل الدفاع عنى أيضا».

كان صوته هادئا، وكانت لهجته فى الكلام مؤدبة، ولم يعترها أى انفعال أو هياج. كيف يكون رجل متمالك الأعصاب هادئ فى مثل هذه الظروف مجنونا؟ وها هو ذا يعرف كل شئ حوله. يعرف محاميه، ويعرف عضوى هيئة الدفاع عنه، ويعرف الفرق بين المحامى وعضو هيئة الدفاع.

قال بوارو بهدوء وهو يراقب بعناية شديدة وقع كلماته على ملامح وجه كاست: «أنا... هركيول... بوارو» ورفع كاست وجهه قليلا وقال: «أوه، نعم» كان واضحا أنه لا يعرف بوارو من قبل، فكيف كان قد اختار بوارو ليرسل إليه الخطابات؟ إنه لم يبد أى ابتهاج. لم يبد أى انزعاج. ولم يقل أى كلمة واحدة تدل على سابق معرفة. وبعد حوالى دقيقة كرر ذات اللفظين المستخدمتين عندما يدلى إليك شخص غريب عنك باسمه: «أوه، نعم» وحملق بوارو فى نظرة كأنها تقول له: أنا لا أعرفك فماذا تريد؟ وما غرضك من حضورك عندى هنا؟ وهز بوارو رأسه مرة أو مرتين وقال: «نعم، أنا الرجل الذى كنت ترسل إليه الخطابات». ربما كان يتوقع شيئا مفيدا له فى موقفه الصعب من وراء زيارة هذا الشخص الغريب له، ويبدو الآن كما لو كان قد خاب أمله، فكف عن التطلع إلى وجه بوارو، وسقطت نظراته نحو الأرض وقال: «أنا لم أرسل لك أى خطابات أبداً. هذه الخطابات كتبت بيد شخص غيرى. قلت ذلك فى التحقيق أكثر من مرة». تحقيق، ويعرف ما قاله فى التحقيق، ويعرف ما كرره فى التحقيق، ويعرف ما نفاه فى التحقيق، وينفى ما سبق أن نفاه فى التحقيق.

قال له بوارو: «أنا أعرف أنك لم تكتبها ولم ترسلها عندى، ولكن من الذى كتبها وأرسلها عندى؟» فقال كاست: «عدو. من الضرورى أنه يوجد عدو لى. وكلهم الآن ضدى. الشرطة ـ وكل من هب ودب ـ كلهم ضدى. إنها مؤامرة ضخمة!»

ولم ينطق بوارو، ولم يعارض مزاعمه الخطيرة هذه ولو بكلمة واحدة واستمر يصغى إليه كما لو كان يتيح له الفرصة ليقول المزيد، فقال كاست أيضا: « يد كل شخص أصادفه إنما هى ضدى ـ دائما».

وهنا باغته بوارو بسؤال مفاجئ يرجعه عشرات السنين إلى الوراء فقال له: «حتى عندما كنت طفلا صغيرا؟» فقال كاست وقد فتح له السؤال مجالا فسيحا للكلام: «لا ـ لا ـ لم يكن الموقف هكذا بالضبط. كانت أمى تحبنى حبا جما. ولكنها كانت طموحة جدا..طموحة إلى ما وراء حدود الطموح، طموحة بشكل مخيف. وهذا هو السبب فى أنها صرت على أن تعطينى هذه الأسماء الضخمة الرنانة التى يتألف منها اسمى الثلاثى، ألكساندر بونابرت كاست! كان لديها فكرة ثابتة مسيطرة على خيالها تمثلت فى اعتقادها أننى يمكن لى أن أصير شخصية مهمة فى التاريخ شأن الإسكندر الأكبر أو نابليون بونابرت. ولقد كان الإسكندر طفلا. وكان نابليون طفلا. كانت دائما تحثنى على أن أثبت وجودى

وقوة شخصيتى لأفرضهما على كل من حولى، وكانت تحدثنى كثير عن قوة الإرادة... وكانت تقول لى إن الإنسان من خلال الإرادة يمكن له أن يصبح سيد مصيره... كانت تقول لى إنني يمكن لى أن أفعل كل ما أريده!»

سكت ثم قال: «كانت مخطئة فى ذلك تماماً بطبيعة الحال. واكتشفت خطأها هذا بنفسى وبسرعة كبيرة جدا. لم أكن أنا ذلك النوع من الأشخاص الذى يستطيع أن يشق طريقه فى الحياة كما يريد ويشتهى. كنت أتصرف تصرفات حمقاء ـ مما كان يجعلنى أبدو كشخص أحمق فى نظر الآخرين المحيطين بى الذين كانت تتصل حياتى بحياتهم، وكنت أبدو لهم شخصا غبيا ومضحكا. وكنت فى نفس الوقت شديد الحياء شديد الشعور بالخجل، وتفاقم داخل نفسى الشعور بالخوف من الآخرين. وكان الوقت الذى أقضيه فى المدرسة وقتا رهيبا عصيبا مؤلما لى كل الإيلام. اكتشف الأولاد المكونات التاريخية الضخمة التى يتضمنها اسمى ـ واعتاد الأولاد أن يسخروا منى مركزين السخرية حول كل اسم منها... وكنت سيئ التصرفات فى المدرسة ـ فى ممارسة الألعاب الرياضية وفى تحصيل العلوم المختلفة وفى كل شئ».

وهز رأسه وقال: «وزاد الطين بلة إلى أكبر حد موت أمى... كان قد خاب أملها بالفعل قبل أن تموت. وماتت. حتى عندما التحقت بكلية التجارة كنت غبيا. استغرقت وقتا أطول من أى شخص آخر لكى أتعلم الكتابة على الآلة الكاتبة والاختزال. ومع ذلك لم أكن أشعر بالغباء ـ لو استطعت أن تدرك قصدى». ونظر كاست فى وجه بوارو كما لو كان سيتعلم ما إذا كان قد أدرك قصده أم لم يدرك، فقال له بوارو: «أعرف ما تقصده. استمر».

قال كاست: «كان عندى فقط إحساس بأن كل الناس يحسبوننى غبيا، ولكننى لست غبيا. ولقد سبب لى الصراع بين ما يتصوره الناس عنى وما أتصوره أنا عن نفسى شيئا من الشلل فى التفكير وفى التصرفات أيضا. كنت أريد أن أثبت للناس عكس ما يتصورون فتدل تصرفاتى على عكس ما أحب أنا أن أتصور. وهكذا كان الحال أثناء عملى فى أحد مكاتب الأعمال التجارية». وقال بوارو فجأة: «وهل سار الحال على هذا المنوال عندما التحقت بالجيش بعد ذلك؟»

وأضاء وجه كاست وقال: «أتعرف؟ لقد كنت أستمتع كثيرا بالحرب. وكان أهم شئ كسبته أنا من الحرب شعورى لأول مرة فى حياتى بأننى رجل مثل كل الرجال. كنا جميعا فى نفس الصندوق. وكان أدائى جيدا مثل أداء أى شخص آخر».

ولكنهم اكتشفوا أننى تعترينى نوبات... وكنت أنا أعرف بطبيعة الحال أنه كانت تعترينى أحيانا نوبات لم أكن أنا أدرى ما كنت أفعله. نوبات صرع كما تعرف. ومرة أو مرتين عرفت أننى قد سقطت على الأرض فجأة فى حالة إغماء. ولكننى أعتقد أنه لم يكن يصح أن ينهوا خدمتى فى الجيش من أجل هذا السبب وحده. لا، أنا لا أعتقد أن قرار تسريحى من الجيش كان قرارا صائبا».

فقال بوارو: «وبعد انتهاء خدمتك من الجيش؟» فقال كاست: «حصلت على وظيفة أعمال كتابية. وبالطبع كنت أتقاضى أجرا كبيرا. ولم أكن سيئ التصرفات بعد الحرب، ولكننى لم أكن متميزا بأحسن أداء للعمل... وكان لى زملاء أداؤهم للعمل أفضل تميزا منى. حصلوا على ترقيات ومرتبات أعلى، ولم أحصل أنا على ترقية وأصبح مرتبى أقل من مرتباتهم. وغدا موقفى فى المكتب صعبا، صعبا جدا،

خصوصا عندما فأجاتنى نوبة من نوبات الصرع أثناء العمل بالمكتب... بعدها، كان من الصعب جدا أن أحافظ على توازن الجسم والروح سويا عندما تلقيت عرضا للعمل فى توزيع الجوارب وفى الشوارع وفى الهواء الطلق ودون زملاء يحصلون دونى علىالترقيات، ومع مرتب ثابت وعمولة بيع وقبلت عرض العمل بتوزيع الجوارب».

فقال بوارو: «ولكنك تدرك أن الشركة التى تقول إنك كنت تعمل بتوزيع الجوارب لحسابها أنكرت أنك كنت تعمل لحسابها؟» فقال كاست وقد ثارت ثائرته: «ذلك لأنهم مشتركون فى المؤامرة ضدى. من الضرورى أنهم جزء من المؤامرة..»

واستطرد كاست قائلا: «عندى دليل مكتوب - دليل مكتوب عندى خطاباتهم الموجهة باسمى وعنوانى، خطابات فيها تعليماتهم التى تحدد لى الأحياء والمناطق والبلاد المخصصة لتجوالى بالبضاعة حيث لا يوجد أكثر من موزع فى كل منطقة، وكانت التعليمات أيضا تتضمن تحديدا للمنازل والمحلات التجارية التى أعرض على الناس فيها شراء الجوارب».

قال بوارو: «الخطابات التى وصلت إليك من الشركة ليست مكتوبة بخط اليد طبعا، بل هل مطبوعة؟» فقال كاست: «لا فرق! من الطبيعى أن تستخدم شركة إنتاج ضخمة الآلة الكاتبة فى تحرير الخطابات الصادرة عنها».

قال بوارو: «ألا تعرف يا سيد كاست أن الآلة الكاتبة أيضا يمكن تحديدها؟ كل الخطابات المكتوبة على آلة كاتبة واحدة. ولقد اتضح أن بالشركة آلات كاتبة، وليس منها واحدة تمت كتابة الخطابات التى تزعم أن الشركة قد حررتها إليك عليها».

فقال كاست: «وما معنى ذلك؟» فقال بوارو: «معناه أنه قد تم اكتشاف وجود الآلة الكاتبة التى تمت كتابة الخطابات عليها فى مسكنك ومعناه أنك كنت ترسل لنفسك هذه الخطابات ولم ترسلها الشركة إليك».

قال كاست: «الماكينة التى عندى كانت الشركة هى التى زودتنى بها». فقال بوارو ولكن هذه الخطابات أنت قد استلمتها بعد ذلك. هكذا يبدو الأمر الآن. يبدو أنك قد كتب الخطابات على الآلة الكاتبة التى عندك وأرسلتها إلى نفسك على عنوانك». فقال كاست: «لا - لا - هذا كله جزء من الخطة الموضوعة ضدى».

وقال كاست: «وبالإضافة إلى ذلك خطاباتهم مكتوبة بنفس النوع من الآلة الكاتبة». فقال بوارو: «نفس النوع ولكن ليس نفس الآلة الكاتبة» فكرر كاست بعناد ما سبق له قوله فقال: «إنها خطة!».

قال بوارو: «وجداول القطارات المرتبة أبجديا التى كانت موجودة فى الدولاب داخل مسكنك؟» فقال كاست: «أنا لا أعرف عنها شيئا. كل العلب التى كانت موجودة فى الدولاب كانت علبا تحوى بداخلها الجوارب فقط».

قال بوارو: «ولماذا وضعت علامة بالقلم أمام اسم السيدة آستشر فى القائمة التى تتضمن أسماء العملاء فى منطقة آندوفر؟» فقال كاست: «لأننى قررت أن أبدأ طوافى فى المنطقة من جهة المحل المملوك لها. لابد أن يحدد الإنسان لنفسه نقطة البداية». فقال بوارو: « بداية ماذا ؟» فقال كاست : «أنا لا أقصد ذلك. أنا لا أقصد ما تقصده أنت». فقال بوارو: « ولكنك عرفت ما كنت أقصده أنا؟»

وسكت كاست قليلا ثم ارتجف وقال: «أنا لم أفعلها! أنا برئ كل البراءة! كل هذا خطأ. لماذا؟ انظر إلى جريمة القتل الثانية - فى بيكس هيل - كنت ألعب لعبة الشطرنج فى إيست بورن من الضرورى أنك تعترف بهذه الحقيقة!» وبدا فى صوته رنين الانتصار وهو يدلى بهذه الحجة. فقال بوارو بصوت هادئ نعم: «نعم، ولكن هذا ليس سهلا. ليس سهلا أن تخطأ يوما. ومهما تكن عنيدا متمسكا برأيك مثل الشاهد المهندس سترينج فمن الممكن أن تكون المسألة مجرد خطأ فى الذاكرة بخصوص التاريخ، تاريخ اليوم بفارق يوم واحد مثلا؟ من الممكن أن يظن الإنسان أن اليوم وهو يوم الأربعاء، ويكون اليوم فى حقيقة الأمر هو يوم الثلاثاء؟ وسجل نزلاء الفندق من الضرورى أن يكون قد ورد فيه ذكر يوم نزولك بالفندق ويجوز أنه لم يلتفت إليه أحد».

قال كاست: «كنت ألعب الشطرنج فى نفس ذلك المساء». فقال بوارو: «أنت تلعب الشطرنج جيدا جدا؟» فقال كاست مزهوا إلى حدا ما: «أنا - أنا ألعبها جيدا. أعتقد ذلك». فقال بوارو: «إنها لعبة مسلية جدا تشغل وقت وكل ذهن الإنسان بما فيه من خطط وحسابات وهى تحتاج إلى مهارة كبيرة؟» فقال كاست: «أوه، فيها مجال كبير للعب. مجال كبير للعب! اعتدنا أن نلعبها كثيرا فى المدينة فى ساعات تناول الغداء وأنا أعمل فى المكتب التجارى وتندهش عندما تجد أناسا غرباء تماماً وقد انخرطوا فى اللعب معا فى إطار هذه اللعبة».

وفكر كاست قليلا ثم قال: «أنا أتذكر رجلا - لم أنسه أبدا لأنه قال لى شيئا مهما جدا أثناء اشتراكنا سويا فى هذه اللعبة - كنا نتكلم ونحن نلعب الشطرنج ونشرب القهوة. حسنا، وبعد مضى ثلث ساعة كنت أشعر كما لو أننى أعرف هذا الرجل معرفة صداقة منذ مدة طويلة».

قال بوارو: «وماذا قال لك ذلك الرجل؟» وخيم شئ كالسحابة على وجه كاست وقال: «كانت نقطة تحول فى حياتى. نقطة تحول سيئة جدا. تكلمنا عن أن مصير الإنسان موجود فى خطوط كفه. وارانى كفه هو وأن فيها خطين واضحين يوضحان أنه كان سينجو مرتين من الغرق، وأنه قد نجا بالفعل مرتين من الغرق. وبعد ذلك نظر الرجل فى كفى أنا، وقال لى بعض الأشياء المحيرة. قال لى إننى سأكون واحدا من الناس المشهورين جدا فى إنجلترا قبل أن أموت. وقال إن القطر كله سيتكلم عنى. ولكنه قال - ولكنه قال - » وخارت قدرة لسان كاست عن الكلام فقال له بوارو مستنهضا همته فى الكلام: «نعم» وكان بوارو أيضا يحملق فى وجه كاست حملقة مشجعة على الاستمرار فى الكلام، وكان كاست أيضا ينظر فى وجه بوارو نظرات تذهب بعيدا، بعيدا جدا، ثم عادت نظرات كاست كرة أخرى لتكون نظرات إلى شئ قريب ثم قال كاست: «قال - قال إننى كنت أبدو له كما كنت سأموت ميتة عنيفة، ثم ضحك الرجل وقال إن الأمر يبدو له كما لو كنت سأموت على المشنقة ثم ضحك وقال إن هذه مجرد نكتة...»

وسكت كاست عن الكلام فجأة، ثم انصرفت نظراته عن وجه بوارو، وجالت نظراته هنا وهناك فى مختلف الأرجاء التى يمكن أن تمتد إليها نظراته ثم قال: «دماغى - أعانى من آلام فظيعة فى دماغى... نوبات الصداع تكون قاسية جدا فى بعض الأحيان. وبعدها تحدث أشياء أنا لا أعرفها - وعندها لا أعرف ما يحدث...» وانهار جسد كاست كله.

وانحنى بوارو بالقرب من جسم كاست الممدد أمامه واقترب من أذنه وقال: «لكنك تعرف بالتأكيد.

أنت تعرف، أليس كذلك؟»

وتتطلع السيد كاست بعينه إلى أعلى. وكانت نظراته هادئة وبسيطة فى تعبيراتها ومباشرة فى دلالتها، وكانت كل خطوط المقاومة داخل نظراته قد انهارت تماماً، وبدا هادئا مستسلما استسلاما تاما وقال: « نعم، أنا أعرف». فقال له بوارو: «ولكننى على صواب عندما أقول: إنك لا تعرف لماذا فعلت ذلك؟ هل أنا على صواب فى ذلك؟» وهز كاست رأسه وقال : «لا، أنا لا أعرف لماذا فعلت ذلك!».



الفصل الرابع والثلاثون
شرح القضية

كنا نجلس فى حالة من تمام الانتباه المركز لكى نصغى إلى شرح بوارو النهائى للقضية التى بدأ يشرحها لنا بقوله:

«طوال الوقت كنت منزعجا أفكر فى الدافع إلى الجرائم المتتالية فى هذه القضية.وكان صديقى هاستينجز قد قال لي منذ بضعة أيام إن القضية قد انتهت. وقلت له أنا:إن القضية هى الإنسان! لم يكن السر يَتَمَثَّلُ فى جرائم القتل ولكن السر هو سر القاتل الذى ارتكبها. لماذا وجد القاتل وفقا للحروف الأبجدية أنه»يلزمه» أن يرتكب هذه الجرائم؟ ولماذا اختارنى أنا لكى أكون الباب الذى يدخل منه من أجل الدعاية لها والإعلان عنها، فاختارنى من بين الناس طُرًّا لكى يرسل إلي الخطابات معلنا عن موعد ومكان جريمته التالية؟

«وليست إجابة مقنعة على الإطلاق تلك التى تقول إن القاتل مختل عقليا. وعندما تقول إن رجلا يعمل عملا مجنونا لأنه مجنون فليس هذا تفسيرا مقبولا ولا كافيا وليس فيه أى ذكاء، بل على العكس من ذلك يدل هذا التفسير على الغباء.ليس كل عمل مجنون دليل على أن الشخص الذى قام به مجنون والرجل مجنون أيضا لديه دوافعه الخاصة بسلوكه مثلما للرجل السوى دوافعه وسلوكه- حيث أنه توجد لدي كل منهما-على كل حال- وجهة نظر معينة كامنة وراء السلوك فى الحالتين.

«وكمثال يوضح ذلك: « لو أن رجلا أصر على أن يخرج ويتجول فى الشوارع وهو يرتدى مجرد ثوب من القماش غير المخيط سيبدو تصرفه هذا تصرفا غير معقول ومثيرا للشعور بالغرابة إلى أقصى الحدود. ولكن عندما تدرك أن الرجل يعتقد أنه هو بالفعل المهاتما غاندى فانت ستدرك على الفور أنه من الطبيعى أن يرتدى الرجل لباسا هو أقرب ما يستطيع الحصول عليه من ملابس تشبه المهاتما غاندى، وعندئذ سيبدو تصرفه مفهوما ومقبولا على أساس اتساقه مع ما يعتقد الرجل.

«كان من الضرورى فى قضيتنا هذه أن نحاول الوصول إلى تصور صحيح لكيفية عمل عقل الرجل الذى كان يعمل بحيث يكون من المقبول والمعقول لديه هو أن يرتكب أربع جرائم قتل أو أكثر وأن يعلن عن كل منها مُقَدَّمًا من خلال رسائل مكتوبة أرسلها إلى هركيول بوارو.

«صديقى هاستينجز سيخبركم أننى منذ استلمت الخطاب الأول من هذه الخطابات كنت قلقا

ومضطربا. وبدا لى على الفور أنه يوجد شئ خطأ خطأ جسيما يتعلق بهذا الخطاب الأول الذى كنت قد استلمته من القاتل».

وهنا قال فرانكلين كلارك بجفاء: «كنت أنت على صواب فى ذلك تماما». واستطرد بوارو كأنه لم يقاطعه أحد فقال: «نعم، ولكن، هناك، عند نقطة البداية هذه، ارتكبتُ أنا خطأ جسيما محزنا. لقد سمحت لشعورى ـ شعورى القوى جدا بوجود خطر جسيم جدا أن يظل مجرد شعور غير مصحوب بأى عمل أو تصرف حاسم. تعاملت مع هذا الشعور بخطر كما لو كان مجرد وسوسة. وبالنسبة للعقل المتزن السليم لا يصح أن يكون هناك مجال للتصرف على أساس من مجرد وسوسة أو تخمين شخصى دون أى دليل أو برهان. أنت تستطيع بطبيعة الحال أن تخمن، وقد يكون التخمين مجرد خطأ أو صواب. ولو كان التخمين صوابا فأنت تسميه إلهاماً. ولو كان التخمين خطأ فأنت فى العادة لا تذكر أى شئ عنه. ولكن ما يسمى بالإلهام إنما هو فى حقيقة الأمر مجرد انطباع أو إحساس أو تخمين شخصى يقوم على أساس من استنتاج منطقى أو تجربة حسية ويعتبر الحدس فى حالة التجربة الحسية استنباطا لنتيجة تترتب على هذه التجربة الحسية لن تحدث ولن تتحقق هذه النتيجة بعد ولكنها تأخذ شكل الحدس لدى الشخص الملهم الذى يستطيع أن يستشف هذه النتائج قبل تحققها فى الواقع الفعلى. وعندما يشعر شخص خبير أنه يوجد شئ خطأ فى إحدى الصور المرسومة أو فى إحدى قطع الأثاث أو فى توقيع على أحد الشيكات أو فى ورقة من أوراق العملة فهو فى الحقيقة يؤسس إحساسه أو شعوره هذا على مجموعة من العلامات الصغيرة التى ربما لا يدركها ولا يعرف دلالتها الشخص غير الخبير. ولا حاجة للشخص الخبير أن يلمح هذه العلامات أو القرائن المادية الصغيرة مكتملة على الفور، ربما يكون متأكدا من وجودها أو غير متأكد يقول فى نفسه يحتمل أن تكون إحدى تفاصيل هذا التكوين هنا فيها خطأ ما، ولكن تجاربه وخبرته السابقة تجعله يستطيع أن يقول ذلك، وفى النهاية تكون المحصلة النهائية لمجمل تأملات وملاحظات الخبير هى شعوره شعورا قويا أنه يوجد شئ خطأ أو هى وجود حدث قوى يستشعره فى نفسه يملى عليه الإحساس بوجود خطأ ما. ولكن مثل هذا الشعور أو الحدث لا يكون مجرد تخمين من حيث إنه يقوم على أساس من التجربة.

»إيه، حسنا، أنا أعترف أننى لم أتعامل مع هذا الخطاب الأول بالطريقة التى كان ينبغى أن أتعامل معه بها. إنه فقط جعلنى غير مستريح واعتبر رجال الشرطة إنه مجرد مزاح ثقيل من جانب شخص مهووس عابث. ولكننى أنا نفسى كنت أنظر إليه بخطورة وجدية. كنت مقتنعا أن جريمة قتل ستقع فى منطقة أندوفر كما أشار الخطاب الأول الذى استلمته. وكما تعرفون وقعت جريمة القتل الأولى فى هذه القضية بالفعل فى منطقة أندوفر.

»ولم تكن هنالك وسيلة آنذاك فى تلك القضية لمعرفة القاتل الذى ارتكب جريمة القتل الأولى فى أندوفر. وكان المجال الوحيد المفتوح أمامى آنذاك يتمثل فقط فى محاولة أن أعرف ما نوع الشخص الذى ارتكب تلك الجريمة الأولى.

»وكانت عندى مؤشرات معينة مثل الخطاب، وكيفية وقوع الجريمة، والمرأة المقتولة. وكان الشئ الذى يتعين على أن أكتشفه هو الدافع إلى ارتكابه الجريمة، والدافع إلى إرسال القاتل الخطاب لى قبل ارتكابه للجريمة».

وهنا أيضا قاطعه فرانكلين كلارك قائلا: «الشهرة!» وقالت تورا جراى أيضا: «الشعور بالدونية والانحطاط عن الآخرين يفسر ذلك بالتأكيد».

ومضى بوارو فى كلامه دون أن يلتفت إلى هذا الكلام أو يهتم بالرد عليه فقال: «كان ذلك هو الخط الواضح لكى أسير عليه بطبيعة الحال. ولكن لماذا أنا؟ لماذا كنت أنا الشخص الذى اختاره القاتل لكى يرسل إليه الخطاب؟ لماذا هركيول بوارو بالذات؟ إن القاتل كان يستطيع أن يحقق شهرة أكثر طولا وأكثر عرضا لو كان قد أرسل الخطاب نفسه إلى إدارة سكوتلانديارد مباشرة. وكان يستطيع أن يحقق شهرة عريضة أيضا لو أرسل الخطابات إلى صحيفة من الصحف الشهيرة الكبرى. وربما لا تطبع ولا تنشر الصحيفة الخطاب الأول لأية أسباب تتعلق بمدى الجدية مثلا، ولكن احتمال ألا تنشر الصحيفة الخطاب الثانى احتمال لا مسوغ له. ولقد كان القاتل يستطيع أن يحقق قفزة فى الشهرة تفوق أى قفزة من قفزات كبار المشهورين فى العالم. لماذا والحال هى هذه الحال اختار القاتل هركيول بوارو واختصه على طول الخط بخطاباته؟ هل كان ذلك لسبب شخصى؟ كانت هناك نبرة تحد خفية فى الخطاب فيها رائحة كراهية لأى جنسية غير الجنسية البريطانية، وأنا رجل بلجيكى الجنسية، ولكن لم يكن ذلك كافيا لتفسير السبب فى اختيارى أنا بالذات، ولست أنا البلجيكى الوحيد الذى يعيش فوق الأراضى البريطانية، ولست أنا الشخص غير البريطانى الوحيد فى بريطانيا.

«ثم وصل الخطاب الثانى ـ وكان مصحوبا بمصرع الفتاة الشابة بيتى برنارد فى بيكس هيل. وأصبح من الواضح الآن أن جرائم القتل تتوالى وفقا للنظام الأبجدى كما كنت أخشى، ولكن هذه الحقيقة التى كانت تبدو حقيقة مؤكدة لكل الناس تركت السؤال بدون إجابة فى ذهنى. وهذا السؤال هو: «لماذا يحتاج القاتل وفقاً للحروف الأبجدية أن يرتكب جرائم القتل هذه وفقا لترتيب الحروف الأبجدية؟»

وهنا قالت ميجان برنارد: «ألا يوجد شئ يطلقون عليه اسم شهوة الدم»

ولم يهمل بوارو الالتفات إلى هذا السؤال. التفت نحو ميجان برنارد وقال: «أنت على صواب تماما يا آنسة. يوجد بالفعل شئ اسمه شهوة الدم. شهوة القتل.ولكن هذه الشهوة لا تتلاءم مطلقا مع ظروف ووقائع هذه القضية. المجنون الدموى المتوحش المصاب بشهوة الدم أو شهوة الرغبة فى القتل يرغب فى أن يقتل أكبر عدد من الضحايا قدر استطاعته. والفكرة الأساسية لدى مثل هذا القاتل التى يحرص عليها دائما هى أن يخفى طرقه ومسالكه ليستفيد تماما من عنصر المفاجأة. وهو لا يعمد أبدا إلى الإعلان عنها. وعندما نتأمل حالات الضحايا الأربعة المختارة التى توجد فى قضيتنا هذه أو بالأصح فى ثلاث قضايا منها نتحقق أن القاتل لو كان قد اختار لكان القاتل قد تعامل مع ضحاياه دون أن يثير أى شكوك، ولكنه فى كل مرة ينفى شكوك الاتهام عن أى شخص غيره، ويقول أنا الذى... وأنا الذى... ولا أحد سواى... كان فرانز آستشر زوج القتيلة الأولى، ودونالد فريزر أو ميجان برنارد، والسيد فرانكلين كلارك هم الأشخاص الذين يمكن أن يتجه إليهم الاتهام فى القضايا الثلاث على التوالى، وكانت شكوك رجال الشرطة ستتجه إليهم حتى لو لم يكن لديهم أدلة كافية ضد أى شخص منهم. يتم الاشتباه أولا على أمل ظهور أدلة الاتهام ثانيا بعد ذلك مع استمرار البحث والتحرى والتحقيق. فى كل حالة من الحالات الثلاثة لن يكون هناك مجال أبدا لافتراض وجود قاتل يحب سفك الدماء ما لم يعلن عن نفسه بنفسه.

تتجه شكوك رجال الشرطة فى العادة إلى أى شخص يحتمل أن تكون له أى مصلحة مادية أو عاطفية، أو أدبية من جراء قتل الضحية. لماذا إذن كان القاتل فى قضيتنا هذه يشعر أنه من الضرورى أن يلفت الأنظار إلى نفسه وإلى أنه هو الذى... وهو الذى... ولا أحد سواه؟ لماذا كانت الضرورة تحتم عليه أن يضع علامة مسجلة تتمثل فى دليل مواعيد القطارات المرتب أبجديًا وتقول هذه العلامة أن القاتل هو القاتل وفقا للحروف الأبجدية ولا قاتل ارتكب هذه الجريمة سواه؟ هل كان مضطرا إلى ذلك؟ وما سبب اضطراره لو كان مضطرا إلى ذلك؟ هل كان مصابا بعقده جداول مواعيد القطارات لو شئنا أن نفكر كما يفكر علماء النفس فنضيف إلى العقد النفسية المعروفة عقدة جديدة اكتشفناها بفضل الجهود غير المتواضعة لهذا القاتل الفريد من نوعه؟

«ولقد وجدت أنه من المناسب تماماً أن أدخل فى عقل القاتل وأن أدرسه دراسة وافية إلى أبعد حد ممكن. يستحيل أن يكون ذلك مجرد جنون العظمة! هل هو الخوف المرضى من أن يتهم شخص برئ فى جريمة قتل لم يرتكبها؟ وإذا كان القاتل يمارس القتل بهذه الوحشية والقسوة، فهل يتصف أيضا بالرقة والشهامة والنبل؟ وماذا لم تمنعه الرقة والشهامة والنبل من أن يقتل مثنى وثلاث ورباع؟ ومن أين تنبع فى أعماق نفسه أسباب القسوة وهو يقتل؟ ومن أين تنبع فى أعماق نفسه أسباب الرقة والشهامة والنبل وهو يبذل كل رخيص وغال ليمنع اتهام شخص برئ فى إحدى الجرائم التى ارتكبها هو، فى حين أن اتهام شخص برئ يصرف النظر عنه هو وعن أى محاولات لاقتفاء أثره؟. وعلى الرغم من أننى لم أستطع أن أعثر على أى إجابة مقنعة للسؤال الرئيسى الذى تدور حوله هذه الأسئلة إلا أننى استطعت القيام بأعمال معينة لمعرفة القاتل معرفة أكثر شمولا وأدق فى التفاصيل».

وهنا سأله دونالد فريزر: «ثم ماذا؟» فقال بوارو: «لاحظت أولا أن القاتل يمتاز بعقل مرتب منظم إلى حد أنه كان يصر أن يكون ارتكابه لجرائمه وفقا لترتيب الحروف الأبجدية ـ كان ذلك مُهمًا جدا بالنسبة له. ومن جهة أخرى، لم يكن لديه معيار معين آخر فى اختيار ضحاياه: السيدة آستشر، بيتى برنارد، سير كارمايكل كلارك، كان كل منهم يختلف تماماً عن الآخر ولم يكونوا من نوعية واحدة. ولم تكن هنالك عقدة شذوذ جنسى، ولا أى عقدة تتصل بمرحلة معينة من مراحل العمر، وبدا لى أن هذه الحقائق كلها تتجمع لتعطى حقيقة واحدة مؤكدة غريبة. لو أن رجلا ارتكب جريمة قتل دون تمييز أقصد دون وجود عقدة نفسية من العقد النفسية المتسببة فى جرائم القتل، فهو رجل يريد أن يزيح من طريقه شخصا يقف حائلا دون مطمع له أو يضايقه وجوده لأى أسباب قوية من أسباب المضايقات. ولكن جرائم القتل فى قضيتنا قد أظهرت أن الحال لم يكن من هذا النوع من الجرائم. كيف تكون السيدة آستشر مثلا عقبة فى سبيل مطامع إنسان لا يمت لها بأى صلة؟ وهنالك نوع آخر من القتلة يعمد القاتل من هذا النوع إلى قتل ضحية مختارة من أفراد فئة معينة باطراد غالبا ما تكون من الجنس الآخر. ولكننا نجد ارتجالا وعدم التزام بفئة أو عينة واحدة من الضحايا فى جرائم القتل الموجودة فى قضيتنا.

»وأعطانى موت الفتاة بيتى برنارد والطريقة التى تم بها قتلها ملامح أخرى للقاتل. كانت طريقة قتلها طريقة موحية(وسامحنى يا سيد فريزر) . وأول شئ نلاحظه هنا هو إنها خنقت بذات حزام فستانها هى. ولم يحضر القاتل الفريد من نوعه أداة من أدوات القتل المألوفة.شنقها بحزام فستانها. حزام فستانها ملفوف ومثبت حول خصرها، كيف وصل القاتل إليه؟ كيف أصبح حزام الفستان فى يده، هل قام

بفك الحزام عنوة ليخنقها به دون أن تستغيث الفتاة وتطلب النجدة؟ لابد أن القاتل كان قد سعى إلى إنشاء علاقة مع الفتاة، ولابد أنه قد قضى معها وقتا لطيفا على البلاج فى مرح وتسال، ولابد أنه قد أقنعها أن تفك حزام الفستان بمحض إرادتها، ولابد أنه قد أقنعها بأن يمارس معها لعبة معينة تعتمد على أن يلف الحزام حول رقبتها، ووضع حزام فستانها حول رقبتها، واستغل الفرصة بكل بساطة وخنقها ليقتلها، وخسرت الفتاة المسكينة حياتها بذلك.

«كانت بيتى برنارد فتاة منفلتة متحررة مندفعة كما اتضح لى من دراسة شخصيتها دراسة دقيقة وافية. كانت تواقة إلى أن تحظى بإعجاب الرجال وإحساسهم بجمالها كما كانت هى تحس به إحساسا ربما كان فيه شيء من المبالغة. ولكى يحظى قاتلنا الفريد من نوعه باهتمامها به وبموافقتها على أن تخرج معه للنزهة على البلاج فمن الضرورى أن يكون رجلا يمتاز بكثير من الفحولة وبكثير من الوجاهة وبشيء من الثراء، مما يشكل الدعائم الأساسية لما يسمى بخاصية الجاذبية للنساء فى شخصيته. إنه رجل قادر على النفاذ إلى قلوب العذارى كما يحلو لكم معشر الإنجليز أن تصفوه . وربما كان قد أبدى إعجابه بحزام فستانها وقال لها إنه رائع لم ير مثله من قبل فوق أى فستان وهو يحب أن يتفرج على كيفية صنعه، ولابد أنه قد خلعته وأعطته له ليتفرج عليه عن كثب ثم يعيده إليها،ولابد أنه قد لفه، لف الحزام حول رقبتها بطريقة عبثية وهو يضحك وهى تضحك ثم خنقها بها، وبهذه الطريقة أو تلك قتلها بينما هى تصرخ وهو يشد طرفى الحزام حول رقبتها. ولم تكد تصرخ حتى ماتت.».

وهنا كان دونالد فريزر لم يستطع أن يتحمل أى كلام آخر عن تجسيد بوارو لكيفية عملية قتل الفتاة بيتى برنارد، فهب واقفا وقال: « كفى بالله عليك يا سيدى بوارو!».

ومد بوارو يده أمام صدره وراحة يده متجهة نحو دونالد وقال: « انتهت. لن أقول عنها أكثر من ذلك! ونمرُّ إلى جريمة القتل التى أعقبتها، جريمة قتل سير كارمايكل. هنا يعود القاتل إلى استخدام طريقته التى كان قد استخدمها فى جريمة القتل الأولى: ضربة فى مؤخرة الرأس!

«إن القاتل لا يزال ملتزما بالترتيب الأبجدى. ولقد أعطتنى الجريمة الثالثة التى حدثت فى تشارستون مساعدة إضافية قليلة جدا. لم نوفق فى الحيلولة دون وقوعها لوصول الخطاب الذى ينذرنا بها عندى متأخرا لظروف ربما تكون مقصودة من القاتل على الأرجح، ومن ثم لم تكن الاستعدادات لمنع وقوع الجريمة الثالثة فى تشارستون كافية ووقعت الجريمة قبل وصولنا إليها.

«ولكن وقوع الجريمة الرابعة التى كان من المفروض أن يبدأ اسم الضحية بحرف الدال المقابل لرابع حرف من حروف الأبجدية الإنجليزية كان الإنذار بها مبكرا وكان عندنا وقت كاف للاستعداد للحيلولة دون وقوعها. وتم وضع وتنفيذ نظام هائل وفعال وصارم من أجل ذلك الغرض. ومن الضرورى أنه كان من الواضح للقاتل حسب الحروف الأبجدية أنه ـ وفقا لنظامه المتضمن للإنذار عن جريمته التالية ـ لن يستطيع أن يستمر فى إتباع طريقته بحيث يفلت سالما من مكان جريمته. أصبحت إنذاراته تؤخذ مأخذ الجد.

«وبالإضافة إلى ذلك كان مفتاح (الجوارب) قد سقط فى يدى. لقد أصبح واضحا لى تماماً أن وجود شخص يبيع الجوارب هنا وهناك بالقرب من مسرح كل جريمة من جرائم القتل فى قضيتنا يستحيل أن يكون مجرد صدفة. ومن ثم فمن الضرورى أن يكون بائع الجوارب هو القاتل. ويجوز لى

هنا أن أقول إن وصف هذا الرجل كما قدمته لى الآنسة تورا جراى لم يتسق أبدا مع الصورة التى كنت أضعها فى ذهنى للقاتل فى قضية الفتاة بيتى برنارد.

«وأنا سأمر على المراحل التالية بسرعة. تم ارتكاب جريمة رابعة ـ وهى جريمة قتل حلاق يدعى جورج إيزلزفيلد، ويعتقد أن المقصود بأن يكون ضحية فيها رجل اسمه دونز، كانت له نفس هيئة الرجل المقتول الذى كان يجلس بجواره فى دار السينما».

«الآن وأخيرا يتحول مد الجرائم إلى جزر، ويتحول الحظ إلى جانب من يحاولون منع جرائم القتل المتتالية، ويتخلى الحظ عن القاتل وفقا لترتيب للحروف الأبجدية. لقد أصبح شخصاً محددا معروفا، بعد أن كان شخصا غير محدود ولا معروف. أصبح تحت الأنوار القوية بعد أن كان يتحرك كما يشاء فى ظلام دامس ـ وتم اصطياده والقبض عليه ـ وتم احتجازه لتقديمه للمحاكمة!»

وهنا قال هاستينجز: «وهكذا تكون القضية قد انتهت؟» فقال بوارو: «هذا يبدو صحيحا بالنسبة لما ترغب فيه سلطات الشرطة ويريده الجمهور. الرجل القاتل فى السجن رهن المحاكمة ولا شك فى أنه سيتم الحكم عليه بالإعدام ويتم إرساله إلى المشنقة فى برودمور. لن تكون هنالك جرائم قتل أخرى! فليخرج المتفرجون من السينما! كانت جريمة القتل الرابعة داخل إحدى دور السينما هى المشهد الأخير فى هذه الدراما الدموية التى لم تحدث فوق الشاشة الكبيرة، ولكنها كانت تحدث فى الواقع الفعلى. انتهى الآن هذا النوع المرعب من جرائم القتل!

«هذا يصلح بالنسبة لسلطات الشرطة وللجمهور، ولكنه لا يصلح لى! إننى حتى الآن لا أعرف أى شئ، أى شئ على الإطلاق. ليس هذا، وليست هذه النهاية مقنعة لى أبدا! إننى لم أعثر حتى الآن على إجابة السؤال المبدوء بالكلمة الاستفهامية:لماذا؟ ولم أعثر على إجابة للسؤال الذى بدايته:إلى أين...؟

»واكتشفت أيضا أنه توجد حقيقة مقلقة جدا فى هذه القضية. إن الرجل كاست يستطيع بالفعل ان يثبت وجوده فى غير مكان جريمة القتل الثانية التى وقعت فى بيكس هيل فى وقت حدوث هذه الجريمة!»

وهنا قال فرانكلين كلارك: «كانت هذه النقطة تقلقنى دائما». وقال بوارو: «نعم كانت هذه النقطة تقلقنى أنا أيضا لأن محاولة كاست إثبات وجوده فى غير مكان الجريمة عند حدوثها، وهو ما يسميه رجال القانون (الألباى) يبدو متسقا كل الاتساق ولا يعيبه شئ من وجهة نظرى بعد دراسته دراسة مستفيضة وقد تقدم لتدعيمه مهندس قوى الشخصية يجيد الكلام وقد تمسك به محامى كاست كما يتمسك الغريق بقشة. ويستحيل من وجهة نظرى أيضا أن يكون هذا الألباى صحيحا إلا فى حالتين: أولاهما أن يكون كاست يا أصدقائى قد ارتكب الجريمة الأولى والثالثة والرابعة ولم يرتكب الجريمة الثانية التى استطاع أن يثبت وجوده فى مكان غير مكان وقوعها وقت حدوثها لو صح الألباى الذى يزعمه».

وهنا حاولت ميجان برنارد أن تقاطعه بقولها: «ولكن يا سيد بوارو... » ولكن بوارو أشار بكفه نحوها لتسكت واستطرد قائلا: «اهدئي يا آنسة. أنا أبحث عن الحقيقة، والحقيقة وحدها. انتهيت من الأكاذيب واتضحت لى الحقيقة! كنت أقول:من الممكن ألا يكون كاست قد ارتكب الجريمة الثانية فى بيكس هيل لو افترضنا صحة الألباى الذى يتمسك به كاست. ولنتذكر أن هذه الجريمة الثانية فى بيكس

هيل قد وقعت فى الساعات المبكرة من يوم الخامس والعشرين من الشهر. ولنفرض أن شخصا قد عطله عن ارتكاب الجريمة الثانية، فماذا يفعل؟ أمامه أن يرتكب جريمة أخرى فى نفس اليوم حتى لا يختل نظامه الصارم أنه يرتكب جريمة القتل فى المكان الذى يحدده وهو لا يعلم طبعا بوقوع جريمة قتل ارتكبها شخص آخر فى نفس اليوم، وأمامه اليوم طويل، فليحاول أن يرتكب جريمة القتل كما يريد، ولكنها تكون جريمة قتل أخرى غير الجريمة التى حدثت فى بيكس هيل وهذا لم يحدث أو - وهذا هو الاحتمال الثانى - يكون قد علم بوقوع الجريمة فى بيكس هيل بيد شخص آخر فتقبلها كهدية مجانية دون أى مخاطر أو تكاليف أو مجهود».

وعاودت ميجان برنارد التصدى لم يقوله بوارو بحسم ووضوح وإصرار على الكلام هذه المرة فقالت: «يا سيد بوارو! هذا الكلام الذى تقوله كلام خيالى مضحك. من الضرورى أن تكون الجرائم الأربعة قد ارتكبها شخص واحد».

واستمر بوارو فى كلامه كما لو لم تكن ميجان برنارد هذه المرة قد قاطعته بإدلائها بهذا الرأى الذكى فقال بوارو: «ومثل هذا الافتراض له ميزة أنه يفسر حقيقة واحدة وهى التمايز والمفارقة بين شخصية ألكساندر بونابرت كاست (الذى لم يكن يستطيع أن يخنق الفتاة) وبين شخصية قتل بيتى برنارد، أى أنه يوجد عندنا قاتلان لا قاتل واحد: «قاتل ارتكب الجرائم الثلاث الأخرى. وليست كل الجرائم المنسوبة إلى جاك السفاح قد ارتكبها جاك السفاح كما يقول المثل الشعبى. وهذه الافتراضات لا بأس بها حتى الآن.

«ولكننى اصطدمت بصعوبة واضحة محددة المعالم والأبعاد بعدئذ... حتى وقعت الجريمة الثانية فى بيكس هيل لم تكن لدينا أى صفات محددة للقاتل وفقا للحروف الأبجدية، ولم تحقق الجريمة الأولى التى كان قد ارتكبها فى أندوفر أى شهرة وكان اهتمام الجمهور بها ضعيفا فاترا لدرجة أن الصحف لم تشر إلى الخطاب الذى كان قد وصلنى من شخص مجهول يحدد مكان وتاريخ يوم حدوث تلك الجريمة ويترتب على ذلك أن الشخص الذى قتل بيتى برنارد وافترضنا أنه ليس هو السيد كاست، ذلك الشخص كان يعرف بالضرورة عن الجريمة الأولى ما لا يعرفه إلا أفراد قلائل موثوق بهم فى مقدمتهم أنا. كان يعرف أنه عندما يقتل بيتى برنارد ستضاف هذه الجرائم إلى جرائم القتل وفقا للحروف الأبجدية، وأكثر من ذلك كان يعرف أن القاتل وفقا للحروف الأبجدية سيرتكب فى القريب العاجل جرائم قتل أخرى تجذب انتباه واهتمام الشرطة والجمهور إن لم تكن الجريمة الأولى فى أندوفر قد جذبت انتباه واهتمام الشرطة والجمهور بالقدر المطلوب.

«وأفضى البحث عندما وصل إلى هذه النقطة إلى طريق مسدود بحائط عال يستحيل على العقل القفز فوقه».

وهنا ظهرت الحيرة، وبدا الاهتمام الشديد بما يقوله بوارو على كل الوجوه، وقال دونالد فريزر: «رجال الشرطة من المفروض أن يحققوا ويمحصوا هذه الأمور، أليس كذلك؟» فقال بوارو: «لا - هذه الأمور يا دونالد أبسط وأوضح من أن يحققها ويمحصها رجال الشرطة ويكفى أن يحققها ويمحصها رجل بسيط واضح مثلى أنا يا دونالد. لقد قلت لكم:إننى وجدت طريق الافتراضات السابقة مسدودا بحائط عال، وكان من الضرورى - والحال هى هذه الحال - أن أعيد التفكير فى المسألة برمتها بطريقة

أخرى على النحو التالى:

«ماذا لو افترضنا أن السيد كاست لم يكن مسئولا بالفعل عن قتل الآنسة بيتى برنارد؟ لابد أن نفترض أن شخصا آخر غيره هو الذى قتلها. وبرز أمامى سؤال خطير جدا هو:إذا كنا نفترض أن كاست قد ارتكب بالتأكيد ثلاث جرائم ويجوز أن يكون قد ارتكب الجريمة الثانية أيضا ويجوز أن يوجد قاتل آخر، فلماذا لا يكون هذا القاتل الآخر هو الذى ارتكب الجرائم الأربعة كلها حسب تسلسل وقوعها».

«درسنا احتمال أن يكون كاست قد ارتكب ثلاث جرائم ولم يرتكب الثانية وارتكبها قاتل آخر. هذا احتمال. ألا تقتضينا الطريقة السليمة فى البحث أن ندرس الاحتمال الآخر فى أن يكون الشخص الآخر الذى نفترض أنه ارتكب جريمة بيكس هيل وحدها هو الذى ارتكب الجرائم الأربعة كلها والسيد كاست برئ منها جميعا وليس بريئا من جريمة بيكس هيل وحدها لأن القاتل فى الجرائم الأربعة يلزم أن يكون شخصا واحدا بالضبط كما لاحظت الفتاة الذكية ميجان برنارد أم أننا ندرس احتمالاً واحدا من الاحتمالين ونترك الاحتمال الآخر الذى أشرت إليه دون أى دراسة أو تمحيص؟ ألا يكون هذا خطأً جسيما؟»

وهنا صاح فرانكلين كلارك بأعلى صوته: «ولكن هذا لا معنى له!»فقال بوارو: «هل الاحتمال الثانى لا معنى له؟ لقد فعلت ما يلزم فعله للتحقق من مدى معقوليته ولزوم أن يكون هو الاحتمال الصحيح. لقد قمت بفحص الخطابات التى كانت قد وصلتنى من القاتل وفقا لهذا الاحتمال الثانى الذى يفترض أن القاتل الآخر الذى ارتكب جريمة بيكس هيل هو الذى ارتكب الجرائم الأربعة وأن السيد كاست برئ تماماً من الجرائم الأربعة كلها براءة الذئب من دم يوسف. كنت أشعر منذ بدء البداية أنه يوجد شئ خطأً فى هذه الخطابات تماماً كما يشعر خبير فى الصور أنه يوجد شئ خطأً فى الصور الموجودة بين يديه...

«ولقد افترضت أن أهم شئ خطأً فى هذه الخطابات هو أن يكون صاحبها رجلا مجنونا. وبدأت افحص هذه الخطابات فى ضوء افتراض آخر مناقض تماماً للافتراض الشائع السابق وهو أن صاحب الخطابات رجل عاقل ماكر».

وصحت أنا قائلا: «ماذا؟» فقال بوارو: «أى نعم - المسألة هى هكذا بالضبط يا هاستينجز. كان فى الخطابات شئ خطأً كما يمكن أن يوجد فى إحدى الصور شئ خطأ، هذا الشئ الخطأ فى هذه الخطابات يتمثل فى أن صاحب الخطابات يريدها أن تبدو كخطابات من رجل مجنون فى حين أنها فى حقيقة أمرها خطابات صاحبها رجل عاقل! إن صاحب الخطابات يحاول من خلالها أن يبدو رجلا مجنونا وحشيا قاتلا سفاحا للدماء لأنه مصاب بلوثة عقلية وهو فى حقيقة أمره رجل عاقل ماكر ولم يكن يمت للجنون بأى صلة من الصلات».

وهنا أيضا قال فرانكلين كلارك: «هذا لا معنى له». فقال بوارو: «ولكن انظر. يجب علينا أن نفكر. ماذا عساه أن يكون الهدف من إرسال هذه الخطابات؟ الهدف منها بداهة هو تركيز انتباه الناس واهتمامهم بصاحب هذه الخطابات، وهو جذب اهتمام الناس إلى السلسلة من الجرائم. يتمنى القتلة ألا يظهر لجرائمهم أى أثر وألا يكون لها أى ذكر والقاتل هنا يريد لفت الأنظار وجذب الاهتمام إلى جرائمه. وفى حقيقة الأمر لم يكن ذلك معقولا منذ الوهلة الأولى... ثم رأيت نورا. لقد ظهر لى أن

الهدف الحقيقى لهذه الخطابات هو جذب الاهتمام إلى عدة جرائم أو إلى مجموعة من الجرائم. أليس شاعركم شكسبير هو الذى يقول:من الصعب على الإنسان أن يدرك تفاصيل شكل شجرة فى وسط الغابة؟ متى تلمح أقل ما يمكن من الدبوس؟أنت تلمح أقل ما يمكن من الدبوس عندما يكون فى زحمة الدبابيس. ومتى تدرك أقل ما يمكن من تفاصيل جريمة؟ أنت تدرك أقل ما يمكن من تفاصيل الجريمة عندما تكون هذه الجريمة ضمن سلسلة الجرائم.

«وأدركت عندئذ أننى أتعامل مع قاتل ماهر إلى أقصى حد، وهذا القاتل يتصف أيضا بأنه دموى قاس جرئ يغامر بكل شئ. وليس هذا هو شأن السيد ألكساندر بونابرت كاست أبدا. بأى حال من الأحوال! إن السيد كاست يستحيل أن يكون قد ارتكب هذه الجرائم وانصرف من مكان كل جريمة دون أن يلحظه أحد ودون أن يتمكن أحد من القبض عليه، حتى الجريمة الرابعة لم يتم القبض عليه فى مكان الجريمة.

«كلا، لقد يتعين علىَّ أن أتعامل مع رجل من طراز آخر غير طراز السيد ألكساندر بونابرت كاست. كان يتعين علىَّ أن أتعامل مع رجل ماكر قاس متوحش طفولى السلوك والتصرف مع أنه بلغ سن النضج وتخطاه دون ريب إلا أنه لا يزال يلعب بجداول مواعيد القطارات كما كان يلعب وهو طفل بقطارات صغيرة مما يلعب به الأطفال وهو مولع بكتابة الخطابات المثيرة كما يفعل ذلك المراهق عندما يكتب خطابا دون توقيع محاولا أن يلفت نظر الفتاة لشخصه دون ذكر اسمه صراحة، من الخطورة جدا أن يكون القاتل طفولى السلوك والتصرفات. ومن الضرورى أن القاتل على شئ من السعة المالية والثراء وليس رجلا فقيرا مثل السيد كاست يكدح من أجل كسب عيشه فى وظيفة متواضعة المرتب أو من أجل عمولة بيع الجوارب لحساب الغير. إنه يستخدم نوعا ممتازا من الورق، ويكتب الخطابات بالآلة الكاتبة المملوكة له، وليس بخط اليد، وليس فى مكتب بالأجر إذ إن محتوى الخطابات يجعل كتابتها بالأجر فى مكتب للآلات الكاتبة هو المستحيل بعينه، وهو رجل له جاذبية للجنس الآخر، يستطيع بهذه الفحولة فى الرجولة ومع إبراز رزمة ضخمة من النقود أمام فتاة تعمل فى مقهى أن يجتذبها بسهولة لكى تخرج من المقهى بعد انتهاء عملها وتذهب معه إلى حيث يريد أن يذهب بها، وليس ألكساندر بونابرت كاست من هذا النوع. والقتل الذى نواجهه يستهين تماماً بحياة البشر ولا يأبه بأن يقتلهم غيلة ويزهق أرواحهم، وليس السيد ألكساندر بونابرت كاست من هذا النوع وهو الذى عاش طوال العامين الأخيرين فى مسكن وقالت عنه صاحبة المسكن إنه لا يؤذى ذبابة، والسيد كاست بالفعل لا يؤذى حتى الذبابة. أدركت أننا نواجه قاتلا متسلطا تعود على التسلط على الآخرين وإخضاع إرادة الآخرين لإرادته وساعده على ذلك توافر الإمكانات المادية اللازمة لذلك فى أسرته، لابد أن تكون عائلته يخدمها خدم وحشم، وليس السيد ألكساندر بونابرت رجلا من هذا النوع!

«هيا يا أصدقائى نتأمل ما يحدث عادة عندما تحدث جريمة قتل، ما الأسئلة التى يسألها رجل الشرطة عادة؟ السؤال الأول هو من الذى لديه (الفرصة) لكى يرتكب هذه الجريمة؟ وعندما يكون هناك عديد من الأشخاص الذين يمكن لأحدهم أو بعضهم أن يرتكبوا الجريمة ويتيح لهم الوقت ذلك يكون السؤال الثانى هو:وما هو (الدافع) إلى ارتكاب الجريمة؟ ويوجه رجال الشرطة شكوك الاتهام نحو الشخص الذى تكون لديه الفرصة وعنده الدافع إلى ارتكاب الجريمة، وعدم وجود فرصة، وعدم وجود دافع يبعد

الاتهام عن أى شخص لم تتوافر لديه الفرصة ولا توجد لديه دافع لارتكاب الجريمة. وعندما تكون الفرصة متاحة والدافع موجودا لارتكاب جريمة قتل، ويتم توجيه الاتهام فماذا يحاول المتهم أن يفعل؟ إنه فى العادة يحاول أن يثبت وجوده فى مكان آخر غير مكان الجريمة وفى وقت حدوثها، ويحاول رجال الشرطة أن يثبتوا زيف هذا الألباى بطبيعة الحال. ولو نجح المتهم فى إثبات صحة الألباى أو تمكن رجال الشرطة من إفشال ودحض محاولته تثبت عليه جريمة القتل ويصدر ضده الحكم القضائى بعقوبة مناسبة للجريمة وظروفه عند ارتكاب الجريمة.

«هل فكر القاتل الحقيقى فى قضيتنا هذه أن يستخدم الألباى كما يحاول القتلة استخدامه لمحاولة الإفلات من العقوبة؟ لا، إن القاتل الحقيقى فى قضيتنا هذه قد حاول ما هو أكثر من ذلك بكثير. القاتل الحقيقى فى قضيتنا هذه قد حاول أن يخلق قاتلا آخر أو قاتلا وهميا وحشيا دمويا مجنونا!

«ولم يبق أمامى إلا أن أراجع الجرائم الأربعة الموجودة فى قضيتنا هذه لكى أعثر على القاتل فى كل منها. جريمة أندوفر هى الجريمة الأولى. من القاتل؟ الشخص الذى يحتمل أن يتجه إليه الاتهام هو زوجها الرجل العجوز الألمانى فرانز آستشر ولكننى لم أستطع - ولم يستطع أحد - أن أتخيل أنه يستطيع أن يدبر خطة قتل سابقة الإعداد والتجهيز والتحضير. والجريمة الثانية هى جريمة بيكس هيل. من القاتل؟ كان هنالك احتمال أن يكون القاتل هو الشاب دونالد فريزر. إنه شاب مثقف يستطيع أن يخطط ويدبر ولكن يستحيل أن يكون لديه الدافع إلى قتل حبيبة قلبه التى يهيم بها ومن المقرر والمتفق عليه أنه كان سيتزوجها. من الممكن أن يشعر بالغيرة عليها، ولكن الغيرة عليها لا تدفع شخصا مثله فى العادة إلى التعجيل بقتلها بل تدفعه فى الغالب الأعم إلى التعجيل بالزواج منها ليفوز بها دون الآخرين من المعجبين بها، وليقطع على المنافسين له فيها كل أمل خصوصا أنه لم يكن مرفوضا من الفتاة ولا مرفوضا من أهلها مما يؤكد عدم وجود الدافع إلى الجريمة لديه بأى حال من الأحوال».

«ونصل إلى الجريمة الثالثة وهى جريمة قتل سير كارمايكل كلارك بالقرب من القصر المملوك له فى منطقة تشارستون لنجد أرضا أكثر وضوحا فى تضاريسها».

«كان سير كارمايكل كلارك رجلا غنيا واسع الثراء. من الذى يرث ثروته؟ ترث ثروته زوجته المريضة المشرفة على الموت تستفيد بها حتى تموت فعلا ثم تئول الثروة كُلُّها إلى أخيه فرانكلين كلارك».

وهنا استدار بوارو ليتجه بعينيه لتلتقى بعينى فرانكلين كلارك ثم قال: «تأكدت تماما عندئذ. الرجل الذى كانت صورته موجودة فى ذهنى كان هو نفس الرجل الذى عرفته كشخص يتعامل معى يحاول بكل جهده أن يقترب منى بل يحاول الالتصاق بى. الرجل القاتل وفقا للحروف الأبجدية وفرانكلين كلارك إنما هما شخص واحد! فرانكلين كلارك هو القاتل فى الجرائم الأربعة! إنه هو صاحب الشخصية الجريئة المخاطرة، والحياة الحافلة بالسفريات والتجول والترحال فى أرجاء العالم، إنه هو الشخص المعتد بموطنه البريطانى الذى يعتبر أن موطنه خير موطن وأن جنسيته البريطانية أفضل وأرقى وأقوى من أى جنسية أخرى حتى ولو كانت هذه الجنسية الأخرى هى الجنسية البلجيكية، وحتى ولو كان يحمل هذه الجنسية البلجيكية رجل مثل هركيول بوارو ذى الشهرة العالمية الكبيرة كما يعتقد هو وليس كما أعتقد أنا. إنه أذكى من بوارو هذا. إنه سيقهر بوارو هذا وينتصر عليه فى صميم مجال عمله وتخصصه الذى أفنى فيه عمره. إنه شخص مغرور بقدراته فأقدم على كتابة الخطابات كما سبق أن أشرت وتوالى وصول

خطابات عندى. إنه ميسور الحال ويطمع فى الحصول على كل ثروة أخيه. إنه واضح الرجولة والفحولة ويستطيع أن يغرى فتاة شابة تعمل فى مقهى لكى تخرج معه فى نزهة. ولقد شاهدته بنفسى يحاول تنظيم كلام كنت أقوله شفويا لمجموعة من المضارين بجرائم القتل بلغت به الجرأة أن يقترح إنشاءها وأن يكون هو نفسه عضوا فيها، وكان هو العضو الوحيد من بين أعضاء الرابطة الموجودين الذى أمسك ورقة وقلما ودون نقاطا من كلامى الشفهى فى ورقة كتب فى رأسها عنوان: «القاتل وفقا للحروف الأبجدية إنه يمتلك عقلا مرتبا منظما. وهو طفولى السلوك مندفع وصفته زوجة أخيه بهذه الصفة فى مقابلة طلب هو منى أن أجريها عندها وكان صديقى هاستينجز موجودا معى أثناء هذه الزيارة، ولقد تأكدت من وجود كتاب فى مكتبه يدل على مدى ولعه بالقطارات بعنوان قطارات الأطفال وهو من تأليف أ.نسبيت. ولقد تأكدت من خلال كثير من القرائن والأدلة أن القاتل وفقا للحروف الأبجدية هو فرانكلين كلارك ولا أحد سواه».

وهنا، وفجأة انفجر فرانكلين كلارك ضاحكا وقال: «هذا تفكير مبتكر جدا يا سيد بوارو. فماذا عن صديقنا ألكساندر بونابرت كاست؟ ماذا عن الدم الذى كان فوق معطفه؟ وماذا عن السكين الملطخة بالدم التى عثر عليها رجال الشرطة مخبأة فى مسكنه؟ يجوز أن يكون قد أنكر أنه قد ارتكب هذه الجرائم ولكن ـ ».

فقال له بوارو: «أنت مخطئ فى ذلك تمام يا سيد فرانكلين. إن ألكساندر بونابرت كاست يعترف بأنه ارتكب هذه الجرائم. إنه يعترف بهذه الحقيقة».

قال فرانكلين كلارك وهو منزعج انزعاجا حقيقيا: «ماذا؟» فقال له بوارو بهدوء ولطف شديدين: « أوه، نعم. لم أكد أتحدث إليه منذ وقت قليل حتى أدركت أن كاست يعتقد فى قرارة نفسه أنه مذنب ارتكب هذه الجرائم».

وعندئذ قال فرانكلين كلارك: «وحتى هذا لم يكف لإرضاء السيد بوارو؟» فقال بوارو: «لا. لأننى بمجرد أن رأيته عرفت أيضا أنه يستحيل أن يكون هو القاتل! إنه لا يمتلك الأعصاب ولا الجرأة ولا يمتلك ما يمكن أن أسميه أيضا القدرات العقلية لكى يخطط لارتكاب هذه الجرائم! ولقد كنت دائما أقدر كفاءة وذكاء ومهارة القاتل فى ارتكاب الجريمة باقتدار وذكاء دون أن يتمكن أحد من الإمساك به فى مكان الجريمة. لقد كنت بالفعل معجبا بشخصية القاتل. واتضح أمامى على الفور وجود قاتلين على نحو فريد لأول مرة فى التاريخ: «القاتل الحقيقى، ماكر، معتد بنفسه، لديه إمكانيات مالية وذهنية وجسمية، جسور، متهور من جهة، والقاتل الوهمى الذى صنعه بمهارة واقتدار القاتل الحقيقى بينما هذا القاتل الوهمى برئ من جرائم القتل، غبى، ضعيف القدرات العقلية، فقير فقرا مدقعا، متردد، متقبل للإيحاء بسهولة».

وقابلية كاست للإيحاء بسهولة هى أبرز صفة من صفات شخصيته يكمن فيها سر هذه الشخصية ومفتاحها الذى يفتح مغاليق هذه القضية أيضا! ولم يكفك يا سيد فرانكلين كلارك أنك استطعت أن توهمه بأنه قد ارتكب الجرائم الثلاث الأولى دون أن يدرى، ولكنك اتخذت منه حصانا احتياطيا لو مات الحصان الأصلى وذلك عندما يكون من الضرورى أن يعثر رجال الشرطة على القاتل وأن يقدمونه للمحاكمة أمام القضاء إرضاء لكبرياء الشرطة وتسكينا لثورة الرأى العام ولتنطوى صفحات الجرائم

المتلاحقة المروعة.

«وأنا أعتقد يقينا يا سيد فرانكلين كلارك أن هذه الخطة الشيطانية قد بزغت فى سماء عقلك كنتيجة للقاء العابر الذى حدث بالصدفة بينك وبين السيد ألكساندر بونابرت كاست على أحد المقاهى فى المدينة التى كان كاست يعمل بأحد المكاتب التجارية فيها. لقد شد انتباهك إليه وإلى صلاحية مقومات شخصيته لخططك الطموحة مفردات اسمه المتفجرة والتسلسل الموجود فى الحرف الأول من كل منها والمطابق لتسلسل الحروف الأبجدية الإنجليزية حيث أن الحرف الأول للأسماء التى يتكون منها اسمه الثلاثى هى A.B .C وهى نفس الحروف التى تبدأ بها الأبجدية الإنجليزية. ولقد كنت أنت تدير فى رأسك الخطط المناسبة لقتل أخيك».

وهنا قال فرانكلين كلارك: «أحقا؟ولماذا؟» فقال بوارو: «لأنك كنت منزعجا جدا من خطورة ما يمكن أن يحدث فى المستقبل من جانب أخيك فيؤثر على مصيرك وأحلامك أنت. وأنا لست متأكدا ما إذا كنت مدركا لهذه الحقيقة واعيا لها أم غير مدرك لها وغير واع بها، ولكنها موجودة سواء كان وجودها فى شعورك الواعى أو كان وجودها فى لا شعورك اللاواعى. ولكنك أنت بنفسك وضعت هذه الحقيقة بين يدى بكل سذاجة وغفلة من جانبك عندما أطلعتنى على خطاب من أخيك يتضمن ثناء حماسيا مفرطا على سكرتيرته الشابة الآنسة تورا جراى ويبرز مزاياها الكبيرة، وربما كان حبه لها كما عبر عنه فى الخطاب حبا أبويا، أو ربما يكون قد آثر واكتفى فى الخطاب أن يتظاهر بذلك. وبالرغم من هذا التظاهر فقد أحسست أنت بالخطورة الهائلة لهذه المحبة القوية التى كان يشعر بها أخوك نحو سكرتيرته الجميلة الشابة الآنسة تورا جراى وذلك فى حالة موت زوجة أخيك التى كانت تقاسى منذ مدة طويلة من مرض فتاك لا شفاء منه. كان أخوك محروما من ممارسة الجنس منذ سنوات كثيرة، وأمامه سكرتيرة جميلة يحترمها ويحبها وهى ملازمة له طوال الوقت، ويجوز بعد موت زوجته وتحت وطأة شعوره بالوحدة والانعزال عن العالم فى قصره الذى يقيم فيه بعيدا فى أحد أطراف المدينة أن يتحول حبه الأبوى لسكرتيرته إلى حب غير أبوى، لأن موت زوجته يساعد على هذا التحول فى نوعية هذا الحب. كان يحب سكرتيرته حبا أبويا كما أعلن لك ذلك فى خطابه إليك لأن زوجته لا تزال موجودة على قيد الحياة ويمنع القانون أن يتزوج من أخرى ما دامت زوجته على قيد الحياة. وفى حالة موت زوجته يزول هذا القيد ويستطيع أن يتزوج سكرتيرته الجميلة كما حدث فى كثير من الأحيان لكثير من الكهول. وزادت معرفتك بالآنسة تورا جراى من مخاوفك. إننى أتصور أنك خبير بمزايا الشخصيات البشرية إلى حد كبير. ولقد اتضح يقينا سواء كان ذلك خطأ أو صوابا ـ أن الآنسة تورا جراى إنما هى بكل ما تتمتع به من صفات إنما هى (عروس جاهزة) لكى يتزوج بها أخوك فى أقرب فرصة تسنح له. ولم يكن يساورك أى شك فى أنها مستعدة نفسيا أن تغتنم الفرصة، فرصة أن تصبح هى الليدى كلارك. كان أخوك رجلا ضخم الجسم مكتمل الصحة، مكتمل الرجولة. ولو تم زواجه من الآنسة تورا جراى يجوز أن ينجبا طفلا، وتتلاشى عندئذ أى فرصة لك فى أن ترث ثروة أخيك.

«وأنا أستطيع أن أتصور حقيقة موقفك المالى آنذاك. لقد كنت فى حقيقة الأمر رجلا محبط الآمال فى الحصول على ثروة كبيرة. اللقب وثروة الأسرة استأثر بها أخوك الذى يكبرك قليلا فى السن. كنت تدحرج الحجر نحو قمة الجبل لكى تحصل على المال، وعندما يصل الحجر إلى القمة يتدحرج هابطا من

الجهة الأخرى. ولقد كنت تتعب وتشقى وتسافر إلى أقطار بعيدة لكى تعمل بعض مشتريات التحف لحساب أخيك وكان أخوك يعطيك تكاليف السفر وما يلزم للمعيشة بالكاد ويظن أنه يعطيك كثيرا من المال. ولكن معظم المال الذى كان يعطيه لك كان يستهلك فى تكاليف السفر والرحلات البعيدة المدى المجهدة على سطح الكرة الأرضية. ولقد كنت تحقد على أخيك بمرارة وتطمع فى الحصول على ثروته».

«وأنا اكرر أنك كنت تجيل كثيرا من خطط التخلص من أخيك بالقتل فى ذهنك عندما قابلت السيد ألكساندر بونابرت كاست بالصدفة وتشكلت وتكونت فى رأسك الخطة المثلى من وجهة نظرك للتخلص من أخيك بالقتل. ولكن اتجاه شكوك الاتهام إليك لو قتلت أخاك دون تخطيط كفء ذكى قد يفضى إلى القبض عليك ويحرمك من الثروة المرجوة كلها. لابد أن يكون التخطيط لجريمة قتلك لأخيك تخطيطا محكما فريدا من نوعه لم يسبق له مثيل من قبل حتى لا يكتشفه رجال الشرطة أو يكتشفه أى إنسان كائنا من يكون حتى ولو كان هركيول بوارو نفسه. وكانت الأسماء التى تكون الاسم الثلاثى للسيد كاست تلفت نظرك إلى صلاحية هذا الرجل الطيب لكى يكون عمود الخيمة فى خطتك لقتل أخيك غيلة. وكل ما ذكره لك وأنت تلاعبه وتحاوره عن نوبات الصرع التى تعقبها نوبات صرع تجعله لا يدرى بنفسه ولا بما يحدث منه ولا بما يحدث له، وبطء تفكيره وعدم اعتداده بشخصيته وقابليته للإيحاء من جانب الآخرين، كل هذه كانت صفات وسمات تجعل من هذا السيد المسكين شخصية نموذجية يمكن استغلالها فى التمويه على جريمة قتل أخيك التى كنت تجهد ذهنك فى التخطيط لها. إنه الأداة المثلى التى يمكن أن تستخدمها فى هذا الغرض الخطير. وهكذا قفزت فكرة الجرائم وفقا للحروف الأبجدية إلى ذهنك. وكانت الحروف الأولى من الاسم الثلاثى للسيد كاست ملائمة تماما وكان اسم أخيك أيضا يبدأ بالحرف الثالث من حروف الأبجدية الإنجليزية وهو حرف C الموجودة فى بداية اسم أخيك كارمايكل، وكان أخوك يقيم بقصره فى منطقة تشارستون التى تبدأ بذات هذا الحرف، وكل ذلك كان مركز خطتك وهو مناسب لها متسق معها تماما الاتساق. ولقد مضيت بعيدا فى تصورك لنهاية خطتك أنك قد أوحيت إلى السيد كاست أنه سيموت على حبل المشنقة بناء على تظاهرك بقراءة كف يده، ولقد أثمر هذا الإيحاء أينع الثمار»!

«ولقد كانت ترتيباتك للجريمة ترتيبات ممتازة بارعة. استخدمت اسم السيد كاست فى تقديم طلب استخدام ليعمل فى إحدى شركات إنتاج الملابس الضخمة ثم ذهبت أنت نفسك للشركة للاستعلام عنه باعتبار أنه صديقك المسكين العامل الذى يهمك شأنه، ثم قمت أنت نفسك بالحصول على ورقة من أوراق الشركة وكتبت عليها عرضا من الشركة ليعمل بها بمرتب ثابت أكبر من مرتبه الذى كان يتقاضاه بالإضافة إلى عمولة توزيع عن المبيعات الفعلية، وكنت تعلم منه مدى ضيقه بالعمل الذى كان يزاوله، وقبل كاست العمل بالشروط التى حددتها له، وكنت ترسل إليه الجوارب بالبريد على عنوانه باعتبار أنها بضاعة الشركة ترسلها إلى كل مندوبى التوزيع بهذه الطريقة لتوفير جهودهم وتكريسها للتوزيع، وكنت ترسل له مع البضاعة رسائل مكتوبة على الآلة الكاتبة تحدد له فيها الأماكن التى يوزع فيها الجوارب والمحلات العامة الموجودة بها وأسماء العائلات إن أمكن لك معرفتها مسبقا فى بعض المناطق، كل ذلك من خلال رسائل مكتوبة على الآلة الكاتبة، وكان اختيارك للجوارب بالذات اختيارا موفقا لأن كمية صغيرة منها فى كل دفعة لا تكاد تشكل حجما كبيرا ولا وزنا ثقيلا وهى أيضا غالية

الثمن نسبيا بحيث تكون عمولة التوزيع مجزية، وكان كاست المسكين يظن بالفعل أنه يعمل لحساب شركة كبيرة محترمة، ولم يكن يعلم أنك أنت الشركة، وفى النهاية أهديت له الآلة الكاتبة نفسها موهما إياه أن الشركة تضعها عهدة عنده ليتمكن من مراسلة العملاء فى محلاتهم قبل الذهاب إليهم. ولسنا ندرى هل احتاج كاست إلى استخدام الآلة الكاتبة فى كتابة رسائل إلى العملاء أم أنه كان يحسب أنه سيحتاجها بعد مدة من الوقت عندما يزداد نطاق توزيعه للجوارب ويستطيع أن يوصل طلبات إلى محلات التجزئة ذاتها».

« وكان يتعين عليك يا سيد فرانكلين كلارك أن تبحث عن اثنين من الضحايا، من النساء الضعيفات يبدأ اسم الأولى بحرف الألف، فكانت هى السيد آستشر التى توجد لافتة على محلها تحمل اسمها مبدوء بحرف الألف فى أندوفر، وهى سيدة متقدمة فى العمر تقف وحدها فى محل يستطيع أن يدخله إليها أى عابر سبيل متظاهر أنه يقصد شراء سلعة معينة تقتضى منها إحضارها من فوق الرفوف لتصلها منك الضربة القاتلة بسهولة. وكانت الضحية الثانية التى يبدأ اسمها بحرف الباء هى أيضا فتاة مغرمة بالرجال الأثرياء المعجبين بجمالها الفتان، وهى بيتى برنارد، وكنت تعرفها وتعرف مدى استجابتها لغزلك وأنت تتردد على المحل وتعرف اسمها وأنه يبدأ بحرف الباء. كان إتمام الجريمة الأولى فى أندوفر سهلا لا يحتاج إلا إلى جرأة وهى متوافرة لديك وعزيمة وإصرار بلا تردد وهى صفات متوافرة لديك ثم ضربة فى مؤخرة الرأس للمرأة العجوز المسكينة. وكانت الجريمة الثانية فى بيكس هيل تحتاج إلى تغيير بسيط فى أسلوب التنفيذ، فكان استدراج بيتى إلى البلاج سهلا وكان خنقها بحزام فستانها بذات سهولة المعابثة بين فتاة وصديقها.

«وهكذا أنجزت الجريمتين التمهيديتين للجريمة الأساسية وشرعت فى العمل لتنفيذها! ولو شئنا سردا موجزا يلخص تسلسل الجرائم لكان كما يلى:

«أرسلت أولا قائمة بالعناوين المطلوب من كاست أن يذهب إليها فى منطقة أندوفر فى تاريخ معين حددته له حتى لا يتضارب توزيعه مع توزيع مندوبين آخرين. وأرسلت عندى خطابك الأول من خطابات القاتل حسب الحروف الأبجدية».

وفى اليوم المحدد ذهبت أنت إلى أندوفر بعد أن تأكدت أن كاست كان قد جال فيها بجواربه ـ وقتلت أنت السيدة آستشر، دون حدوث أى شئ يعرقل خطتك. وهكذا وقعت الجريمة رقم (١)».

«وبالنسبة للجريمة الثانية، حرصت على أن تجعل أعمال التمويه اللازمة لها قبل يوم من وقوع الجريمة كما كنت أنت تحدد لها. أنا مقتنع تماماً أن بيتى برنارد قد قتلت فى وقت قبل منتصف الليل، ولكن عندما يحين منتصف الليل، ويتم اكتشاف الجريمة فى الصباح الباكر لليوم التالى سيبدو أن تحديدك لتاريخ وقوع الجريمة الثانية كان تحديدا دقيقًا كل الدقة باعتبار أنه يوم الرابع والعشرين من شهر يوليو. وتم ارتكاب الجريمة رقم (٢) كما سبق بيانه».

وعندما نصل إلى الجريمة الثالثة ـ وهى الجريمة التى تهمك فى حقيقة الأمر ـ أو هى الجريمة الحقيقية من وجهة نظرك أنت».

هنا، فى إطار أحداث هذه الجريمة يرجع الفضل فى اكتشافى لحقيقة ظروفها إلى صديقى هاستينجز الذى كان قد أبدي لى ملاحظة عابرة أبداها ونحن نتناقش بصدد وقائع هذه الجريمة، إذ فوجئت به

يقول لى: يجوز أن الخطاب الثالث قد ضل طريقه فى الوصول عندى عَمْداً عن قصد وليس سهوا من المرسل! ولقد كان صديقى هاستينجز على صواب تماماً فى ذلك».

«فى هذه الحقيقة البسيطة تكمن إجابة سؤال كان يجبرنى هو لماذا يرسل صاحب الخطابات المجهولة بها عندى أنا وليس إلى الشرطة؟ وكانت الملاحظة التى أبداها صديقى هاستينجز تتضمن الإجابة عن هذا السؤال. عندما يحتاج المرسل إلى أن يخطئ فى العنوان فمن المستحيل أن يخطئ فى عنوان إدارة سكوتلانديارد أو أحد أقسام الشرطة فى أى مدينة، ولكن من المحتمل أن يخطئ مرسل الخطاب خطأ ما فى كتابة عنوان شخص مثلى، وهو أيضا يعلم صلتى الوثيقة بالشرطة ويعلم أننى بحكم طبيعة تفكيرى سأضع الخطاب فى يد الشرطة وتحت تصرفها فى أسرع وقت ممكن لى. وهكذا يضمن مرسل الخطاب متى يبدأ فى تحريك رجال الشرطة ومتى يؤخر تحركهم، وهو ما حدث بالفعل بالنسبة لهذه الجريمة الثالثة. تعمد الخطأ فى عنوان المرسل عندى، وتأخر وصول الخطاب ريثما تم تصويب العنوان، وتأخرت استعدادات رجال الشرطة فى الوصول إلى مكان الجريمة الثالثة فى الوقت المناسب لمنع حدوثها. وصلوا ولكن الجريمة كانت قد حدثت»!

«بالطبع كان مقصودا وعن عمد أن يصل عندى الخطاب الخاص بالجريمة الثالثة متأخرا. وتعمد مرسل الخطاب أن يكتب اسمى على المظروف ثم يكتب فى العنوان كلمة هوايت هيفن بدلا من كلمة هوايت هورس. وهكذا بدأ رجال الشرطة يصبحون على أهبة الاستعداد عندما كانت الجريمة الثالثة قد حدثت وتم ارتكابها بالفعل. كانت جولات أخيك للنزهة التى كنت تعرف عنها كل شئ قد أمدتك بالفرصة المناسبة. وكان الرعب من توالى جرائم القاتل وفقا للحروف الأبجدية مسيطرا على الجميع بفضل الجريمتين التمهيديتين السابقتين».

«وبعد موت أخيك بطبيعة الحال كان هدفك قد تحقق تماماً، وبدا لك أنك قد نجحت فى تحقيق غرضك الأساسى، ولكن ذكاءك دفعك إلى عمل احتياط تمويهى آخر. كنت ترغب فى ارتكاب جرائم قتل أخرى، ولكن لو وقف تسلسل وقوع الجرائم عند الحرف الثالث الذى يبدأ به اسم أخيك ستكون هناك غرابة وتساؤل. وقد يصل الارتياب وتصل الشكوك إليك، وهو ما لا تريده بأي حال من الأحوال».

حصانك الاحتياطى جاهز، السيد كاست الذى كان قد شوهد بالقرب من مسرح الجرائم الثلاث، ولم تصل إليه شبهات حتى الآن، وهو رجل سهل الانقياد يخضع لأوامرك وتوجيهاتك ويتقاضى أجره الشهرى ومكافأة التوزيع بحوالات بريدية منتظمة جاهزة لتلقى تعليماتك وتنفيذها بدقة لأنها أوامر الشركة التى يعمل بها ولا مورد له للدخل إلا منها. وهو لم يكتشف حتى الآن ولم يكتشف أحد صلته بالجرائم السابقة وحتى بعد وقوع الجريمة الثالثة، ولم تكتب الصحف أى شئ عنه. لقد كانت الآنسة تورا جراى التى شاهدته على باب قصر أخيك يعرض عليها شراء الجوارب يوم وفاة أخيك قد نسيت كل شئ عنه كما أكدت لى ذلك فى حضورك».

ولأنك جرئ مقدام، فأنت قررت أن جريمة رابعة ستكون ضرورية للانسحاب من مسلسل الجرائم عندما يتم القبض على القاتل هذه المرة. من هو القاتل الذى يتم القبض عليه بالضرورة فى جريمة القتل الرابعة لكى تنسب إليه الجرائم الأربعة كلها، وينتهى مسلسل الجرائم نهاية طبيعية معقولة بسبب القبض

على القاتل بعد الجريمة الرابعة؟ إنه كاست»!

«ولقد اخترت أنت منطقة دونكاستر لتكون مسرحا لارتكاب الجريمة الرابعة. وكانت خطتك أيضا خطة بسيطة. ستكون أنت موجودا فى مسرح الجريمة. ويلزم أن يكون السيد كاست أيضا موجودا بأمر يصله من الشركة التى يتوهم أنه يعمل لحسابها. ولقد كانت خطتك أن تتبعه من حيث لا يشعر ثم تنتظر فرصة مناسبة. وسار كل شئ بحيث سنحت الفرصة المناسبة. أراد السيد كاست أن يسلى نفسه بالذهاب إلى إحدى دور السينما، كما يحدث أن يسلى بائع جوال نفسه بالذهاب إلى إحدى المقاهى مثلا. دخلت أنت أيضا دور السينما وجلست على بُعد بضعة مقاعد من مقعده. وعندما نهض لينصرف نهضت أنت أيضا. وتظاهرت بأنك قد تعثرت فى المقعد المجاور، وملت بجسمك إلى الأمام وطعنت رجلا كان النوم قد غلبه فى الصف الذى أمامك فى الظلام، وألقيت نسخة من دليل مواعيد القطارات المرتب أبجديا تحت قدميه، ثم نجحت فى الاقتراب كثيرا وراء السيد كاست فى الممر المظلم المفضى إلى باب الخروج من السينما، ومسحت جانبا من السكين فى كمه، ووضعت السكين نفسها فى جيبه. لقد أدت السكين مهمتها، ويحسن بالنسبة لك التخلص منها بحيث لا تظهر فى حوزتك أبدا، وخير مكان لها هو أن تكون فى جيب كاست وحوزته!»

«ولم يكن يهمك بطبيعة الحال أن يكون الحرف الأول من اسم الضحية الرابعة مبدوءا بالحرف الرابع من الأبجدية الإنجليزية وهو حرف D الذى يقابل حرف الدال. وجعلت تعزى نفسك عن ذلك بأنه سيعتبر خطأ غير مقصود، وعندما لا يتجه الاتهام إليك لن يحاسبك عليه أحد أبدا! وسيبدو أنه كان يوجد شخص يبدأ اسمه بحرف الدال فى مكان قريب من المجنى عليه بين المتفرجين حوله. وسيتسلى الناس بتأمل هذه المسألة التى تؤكد أن الأعمار لا تزيد ولا تنقص».

«والآن يا أصدقائى يلزمنا أن نناقش القضية من وجهة النظر الأخرى أو وجهة نظر القاتل (المزيف) وفقا للحروف الأبجدية السيد كاست».

«إن جريمة القتل فى أندوفر لا تعنى أى شئ على الإطلاق بالنسبة له وليس له أى دافع لقتل المجنى عليها السيدة آستشر على الإطلاق. وهو مصدوم ومندهش من توجيه الاتهام إليه فى قضية بيكس هيل! كيف يوجه إليه الاتهام وهو فى الوقت الذى يزعمونه لوقوع الجريمة كان يلعب الشطرنج مع مهندس تطوع من تلقاء نفسه للشهادة أن كاست كان موجودا عنده يلاعبه لعبة الشطرنج فى الوقت الذى أكد الطبيب الشرعى وقوع الجريمة فيه؟»

«ثم تأتى الجريمة الثالثة، وتحمل الصفحات الأولى من الصحف العناوين الضخمة عنها. جريمة قتل فى أندوفر فى نفس اليوم الذى ذهب فيه إلى أندوفر! وجريمة قتل فى بيكس هيل فى نفس الوقت الذى ذهب فيه إلى بيكس هيل وجريمة قتل تشارستون عندما ذهب إلى تشارستون! ثلاث جرائم وقعت تلاحقه وكان هو فى مسرح كل منها فى نفس يوم حدوث كل منها. ويضاف إلى ذلك أن مرضى الصرع يكون عندهم إحساس أنهم عندما يغمى عليهم لا يدركون ما يصدر عنهم من تصرفات، وإن كان مرضى الصرع فى الحقيقة لا تصدر عنهم بالفعل أى تصرفات. إنهم يكونون فاقدين للوعى فقط، ولكن المريض الذى يفقد الوعى مدة طويلة يستحيل عليه أن يحدد بالضبط ما إذا كان قد صدر عنه تصرف ما فى غير وعيه أم لم يحدث، ولذلك كان كاست من الناحية النفسية البحتة مستعدا أن يتقبل

فكرة أنه من المحتمل أن تكون جرائم القتل المنسوبة إليه قد ارتكبها وهو لا يدرى ما عدا الجريمة الثانية فى بيكس هيل التى فوجئ كاست بوجود مهندس شاب يتطوع للشهادة فى المحكمة بأن كاست كان موجودا معه يلاعبه الشطرنج فى الوقت الذى حددوه لوقوع الجريمة!»

«ولا ينبغى علينا أن ننسى أن كاست كان معتل الأعصاب ويعانى من مرض عقلى يعرفه وكان قابلا تماماً للإيحاء. وعندما يستلم أمرا بالذهاب إلى منطقة دونكاستر مثلا يذهب فعلا إلى منطقة دونكاستر لأن هذا هو واجبه، ولأن الشغل شغل كما قال لصاحبة المنزل الذى كان يسكن فيه، ولما شعر كاست أن صاحبة المنزل الذى يسكن فيه كانت تشك فيه يخبرها أنه كان ذاهبا إلى تشيلتنهام، ثم يذهب بالفعل إلى دونكاستر لأنه كان يشعر أن هذا هو قدره وهو واجبه. وبعد الظهر يذهب إلى السينما، وينام من شدة التعب ثم يصحو ليخرج من السينما ويقتفى القاتل الحقيقى أثره خطوة خطوة».

«ولنتصور مشاعر السيد كاست عندما يعود إلى مسكنه فيجد لطخة من الدم على كم معطفه ويجد سكينا ملوثة بالدم فى جيب معطفه. وهو يعرف أنه قد نام فى السينما ولم يكد يشاهد من الفيلم شيئا، هو لا يدرى إن كان قد قتل أم لم يقتل. ولكن يوجد قتيل فى نفس المكان، وتتحول شكوكه إلى يقين إنه يعتقد الآن أنه هو القاتل! وهو يتذكر نوبات الصداع - وحالات فقدانه للذاكرة، ولا مانع من أن يكون هو ألكساندر بونابرت كاست هو الوحش المجنون».

«وسلوك السيد كاست بعد ذلك هو سلوك حيوان وقع فى حبائل الصيادين. يعود من السينما إلى مسكنه فى لندن. إنه آمن فى مسكنه ولم يره أحد بالقرب من مكان الجريمة أثناء ارتكابه لها، وما دام لم يره أحد أثناء ارتكابه للجريمة فهو آمن وفى منزله كأى شخص لم يرتكب أى جريمة. هذا مفهوم طبعا. هذا هو تفكير السيد كاست بعد أن رجع من السينما إلى مسكنه فى لندن. كان جيرانه أصحاب المنزل يعتقدون أنه كان فى تشيلتنهام. والسكين الملوث بدم القتيل لا تزال معه - ويقوم بعمل غبى جدا. يضع السكين فى تجويف القائمة الخشبية المجوفة للشماعة الموجودة فى صالة مسكنه!»

«ويصله التحذير التليفونى أن رجال الشرطة قادمون إليه. إنها النهاية! إنهم يعرفون! لقد اكتشفوا بوسائلهم أنه هو القاتل!»

«ويقوم الحيوان المسكين داخل المصيدة بمحاولة أخيرة للهرب... وأنا لا اعرف فى الحقيقة لماذا ذهب إلى أندوفر. ربما كان يعتقد أنه ربما يشاهد هناك شيئا يذكره بما إذا كان قد ارتكب الجريمة الأولى أم لم يرتكبها. المهم أنه ذهب إلى أندوفر ».

«ولم يبق معه نقود... وهو جائع... مشتت الذهن... تزداد قواه ضعفا بالتدريج... ويزداد تمزقه النفسى والذهنى... ويسقط على الرصيف أمام نقطة شرطة أندوفر!»

«ولكن، حتى الوحش المحاصر سيقاتل. يعتقد أنه يجوز أن يكون قد ارتكب الجرائم ولكنه برئ. ويتولد بعض الشك فى نفسه يهمس إليه أنه لم يرتكب هذه الجرائم وأنه ضحية مؤامرة كبرى كما قال لى بالحرف الواحد، وكانت شهادة المهندس الشاب الذى تطوع بها من تلقاء نفسه تغذى هذا الأمل المتذبذب بين أن يكون قد قتل دون أن يعى وأن يكون لم يقتل وهناك مؤامرة كبرى ضده لإلصاق تهم القتل به».

«وأنا أقول إننى عندما رأيته وهو تحت التحفظ بين أيدى رجال الشرطة، عرفت عندئذ أنه لم يكن هو

القاتل. ولقد كان اسمى لا يعنى أى شئ بالنسبة إليه، وإنه كان يعتقد إنه هو القاتل!»

«وفور أن اعترف لى ببساطة أنه يعتقد أنه هو القاتل، عرفت بيقين أكثر من أى وقت مضى أن نظريتى التى تقول إنه ليس هو القاتل نظرية صحيحة».

وهنا قال فرانكلين كلارك: «نظريتك خاطئة وغير معقولة!» وهز بوارو رأسه وقال: «لا يا سيد فرانكلين كلارك لقد كنت فى مأمن تماماً طوال الوقت الذى لم يكن هناك أى إنسان يشك فيه، ولكن عندما تتجه الشكوك إليك يكون السهل الحصول على الأدلة والبراهين ضدك».

قال فرانكلين كلارك: «أدلة وبراهين؟» فقال بوارو بكل هدوء وثبات: « نعم. تم العثور على العصا التى استخدمتها فى جريمتى القتل فى أندوفر وفى تشارستون مخبوءة فى دولاب فى منزلك كومبسايد. وهى عادية لها مقبض غليظ. وقد أزيل منه جزء من الخشب لعمل تجويف فى مقبض العصا. وتم ملء التجويف بالرصاص المصهور. وأصبح مقبض العصا أداة مبتكر للقتل بضربة واحدة على الرأس. وتم لشخصين من رواد السينما التقاط صورتك من بين ست صور أخرى باعتبار أنك كنت موجودا فى دار السينما التى دخلها السيد كاست فى وقت وقوع الجريمة الرابعة، ولم تكن ـ كما ذكرت ـ موجودا فى حلبة السباق فى دونكاستر. ولقد ثبت وجودك فى منطقة بيكس هيل يوم وقوع الجريمة الثانية بشهادة عاملة المقهى الآنسة ميلى هيجلى وفتاة أخرى تعمل فى ملهى سكارلت رودهاوس حيث كنت قد أخذت الفتاة بيتى برنارد للعشاء فى ذات المساء الذى وقعت فيه الجريمة الثانية. وأخيرا، يا سيد فرانكلين كلارك، لقد ارتكبت أكبر أخطائك دون أن تدرى تركت بصمة على الآلة الكاتبة التى أرسلتها عند السيد كاست، وهى الآلة الكاتبة التى لم تكن تسلمها إليه لو كنت بريئا من هذه الجرائم، ولكنك أرسلتها إليه لتتخلص منها أولا، ولتكون دليلا ماديا ضده، ولتوهم المحققين أنه كان يرسل الخطابات المتضمنة لتعليمات الشركة إلى نفسه، ولم تكن أنت الذى ترسلها إليه، وذلك عندما تنفى الشركة أى علاقة له بها كما يدعى وهو ما حدث بالفعل من جانب الشركة. ولكن للأسف يا سيد كلارك توجد بصمة لك على هذه الآلة الكاتبة فما الذى أوجد بصمتك عليها إن لم تكن أنت الذى أرسلتها إليه، وربما كنت قد أزلت عنها البصمات، ولكن لسوء حظك بقيت لك بصمة واحدة عليها، والبصمة الواحدة تكفى دون أي شك يا سيد فرانكلين كلارك».

وظل السيد فرانكلين كلارك صامتا واجما مدة دقيقة واحدة تقريبا ثم صاح بأعلى صوته قائلا: «أنت تكسب هذه المزايا يا سيد بوارو! ولكن اللعبة كانت تستحق أن ألعبها!»

وبحركة سريعة جدا من يده أخرج السيد فرانكلين كلارك من جيبه مسدسا أوتوماتيكيا وصوبه نحو رأسه.

صحت وأنا جالس فى مكانى وأغمضت عينىّ على نحو لا شعورى تماماً على أساس أننى سأسمع فورا صوت طلق نارى ينهى حياة السيد فرانكلين منتحرًا بمسدسه الخاص به، ولكننى لم أسمع صوت أى طلق نارى على الإطلاق. وفتحت عينى غير مصدق أذنى.

رأيت السيد فرانكلين كلارك يحملق فى مسدسه ويقلبه فى يده بالقرب من عينه، ثم سمعت صوت بوارو وهو يقول له بهدوء أيضا: «لا يا سيد فرانكلين كلارك! ربما كنت قد لاحظت أننى قد اصطحبت معى هنا صديقا جديدا من أصدقائى ـ إنه نشال خفيف اليد محترف على أرقى مستويات الاحتراف.

ودون أن تشعر سيادتك، ولأسباب محضة نشل مسدسك من جيبك عند دخولك هنا لحضور الاجتماع الأخير لرابطة المضارين من جرائم القتل الأبجدية، وأفرغ مسدسك من الطلقات، وأعاد مسدسك إلى جيبك خاليا من الطلقات التى سلمها لى، وهى كلها موجودة معى سأحتفظ لك بها».

وعندئذ قال السيد فرانكلين كلارك: «أنت أيها القرد الأجنبى الحقير!» وكان وجه السيد فرانكلين كلارك محتقنا بالإحمرار بشدة. وعندئذ رد بوارو على شتائمه البذيئة بهدوء وبسخرية قاتلة فقال له: «نعم، نعم. طبيعى أن يكون هذا هو شعورك بما تطورت إليه جرائمك البشعة. لا، يا سيد فرانكلين كلارك! لن تجد ميتة سهلة فى انتظارك. لقد كنت أنت بنفسك قد أخبرت السيد كاست وأنت تلاعبه لعبة الشطرنج على ذلك المقهى الذى لا زلت تتذكره جيدا أنك كنت نجوت من الغرق مرتين. وأنت الآن تدرك ما تعنيه بالضبط هذه النبوءة. إنها تعنى أنك نجوت من الموت مرتين لكى تموت بطريقة أخرى!»

وعندئذ قال فرانكلين كلارك: «أنت ـ » وفى هذه اللحظة بالضبط خرج اثنان من الشرطة السرية تابعين لإدارة سكوتلانديارد من باب الحجرة المجاورة، وكان أحدهما هو المفتش كروم نفسه الذى تقدم من السيد فرانكلين كلارك وقال له: «أنا أحذرك أن أى شئ تقوله يمكن أن يستخدم كدليل ضدك!»

وعندئذ قال بوارو: «لقد قال بالفعل ما يكفى!»

وتوجه بوارو بالكلام إلى فرانكلين كلارك وقال له : «أنت مفعم النفس بالتفوق الشرير، ولكننى أعتقد أن جريمتك ليست جريمة إنجليزية الجنسية. ليست جريمة يقبل أى رجل إنجليزى أن يرتكبها فيقتل أخاه من أجل حطام دنيوى زائل فان، ويقتل من أجل نفس هذا الحطام الدنيوى الزائل الفانى، غدرا وغيلة، ضحايا آخرين، وهم ضعفاء بسطاء مسالمون لمجرد التهديد لجريمة قتل أخيه أو لمجرد التمويه والتضليل عسى أن تفلت بثمرة الجريمة، والجريمة لا تفيد. وها هى ذى يد العدالة تطبق عليك وتضع فى يديك قيودا من حديد! جرائمك ليس فيها روح رياضية أيها الإنجليزى الماكر الخبيث العنيد!».



الفصل الخامس والثلاثون
المشهد الأخير

يؤسفنى أن أقول إننى عندما تم إغلاق الباب وراء فرانكلين كلارك قد ضحكت ضحكا لم أستطع له دفعاً ولا مَنْعاً. ونظر بوارو نحوى بشئ من الدهشة الممزوجة بشئ من التماس العذر لى فى هذا الضحك الذى كان قد استبد بى ولم أستطع إخفاءه. وعندما تضاءلت سيطرة الضحك على قدرتى على الكلام جاهدت نفسى لكى أتمكن أن أقول: «أنا أضحك لأنك قد قلت له إن جرائمه ليس فيها روح رياضية! هل توجد جرائم فيها روح رياضية يا صديقى بوارو؟»

قال بوارو: « لقد كان ذلك صحيحا تمام الصحة، وصوابا كل الصواب. كان شيئا كريها ومقيتا أن يعمد إلى قتل أخيه، وكان شيئا كريها ومقيتا أن يقتل ضحايا مساكين آخرين لا ذنب لهم لكى يتمكن من قتل أخيه دون أن يرتاب أحد فيه، وكان شيئا كريها ومقيتا أن يصطاد رجلا مثل ألكساندر بونابرت كاست المريض، الطيب، المسكين، ليضعه بدلا منه فى قفص الاتهام تنوشه من كل الجوانب السهام، سهام طائشة ظالمة أعَدَّها بمكر اللئام. اصطاد ثعلبا، وأخذه تحت سيطرته معلبا، وحاول ألا يدعه يفلت أبدا، كما جاء فى نشيد الأطفال عند القلعة يا هاستينجز، ولقد كنت أنت الذى قلت صَيْدَ الثعلب ونقْتْلَه ليس فيه رياضية أبدا، فما بالنا وقد كان كاست إنسانا فقيرا مريضا مسكينا؟! ليست هذه روح رياضيا يقينا مؤكدا».

وقالت ميجان برنارد: «أنا لا أستطيع أن أصدق أن كل ما حدث. لا أستطيع ذلك. هل حدث الذى حدث حقا؟» فقال بوارو: «نعم يا آنسة. ولقد زال الكابوس فاستيقظى ولا تخافى».

ونظرت ميجان برنارد نحو بوارو وغاص لونها. وأدار بوارو نظره نحو دونالد فريزر وقال له: «الآنسة ميجان برنارد كان يتملكها طوال الأيام الماضية شعور قوى أن تكون أنت الذى ارتكبت الجريمة الثانية. وكانت تخاف أن يوجه إليك رسميا هذا الاتهام». فقال دونالد فريزر: «لقد تخيلت أنا نفسى ذلك فى وقت من الأوقات» فقال له بوارو: «هل كان ذلك بسبب ذلك الحلم الذى قلت إن رؤيتك له قد تكررت ثلاث ليال متوالية؟»

واقترب بوارو من الشاب دونالد فريزر وقال له كان للحلم الذى رأيته ثلاث ليال متتالية تفسير بسيط طبيعى جدا. تفسيره هو أنك كنت تجد صورة إحدى الأختين تذوى وتتلاشى فى قرارة نفسك وتأخذ أختها مكانها فى قلبك. الآنسة ميجان برنارد أخذت مكان ومكانة أختها بيتى برنارد. ولكن حيث إنك كنت تشعر أنك بذلك تكون غير وفى للأخت التى ماتت إذ حدث هذا الإبدال للأماكن بسرعة شديدة، حاولت فى الحلم أن تقتل الفكرة بأن تخنقها! هذا هو تفسير الحلم يا ولدى دونالد».

واتجهت عينا دونالد نحو ميجان، فقال له بوارو: «لا تخف أن تنسى الأخت التى ماتت. لم تكن تستأهل حبك ولا أن تحرص على ذكراها. إنك لا تستطيع أن تجد فى كل مائة فتاة من فتيات اليوم فتاة

رائعة متكاملة الشخصية مثل الفتاة ميجان برنارد. إن لها قلبا عظيم النبل!» فقال دونالد: «أنا أعتقد أن ما تقوله صحيح».

والتففنا جميعا حول بوارو نسأله المزيد من الإيضاح فيما يتعلق بهذه المسألة أو تلك المشكلة أو ذلك السر أو ذلك اللغز.

سألته أنا: «ما شأن تلك الأسئلة يا بوارو؟ الأسئلة التى كنت توجهها إلينا فى لعبة الذكاء التى أعتقد أنك أول من ابتدعها لأننى لم أكن ألعبها عندما كنت صغيرا كما زعمت أنت لأعضاء الرابطة، هل كان لك أهداف معينة من وراء توجيهها إلينا؟»

قال بوارو: «كان بعضها لمجرد التمويه. أنا أيضا أجيد التمويه بقصد الوصول إلى الحقيقة، وليس لتغطية الجريمة كما تعرف يا هاستينجز. ولكننى عرفت شيئا كنت أريد أن أعرفه من كلارك دون أن يدرى أننى أتعمد الوصول إلى معرفته. عرفت أنه كان موجودا فى لندن عندما وصلنى أول خطاب من القاتل. وكان أول خطاب وصلنى كما تذكر عليه خاتم مكتب البريد فى لندن. وأردت أيضا أن أدرس الانطباعات جلية واضحة. خرج عن طوره على الفور، وظهرت أمارات الحقد والغضب على ملامح وجهه».

فقالت تورا جراى: «أنت لم ترحم فى هذا السؤال مشاعرى». فقال لها بوارو بجفاء: «أنا لا أتصور أنك قد أعطيتنى إجابة صادقة يا آنسة. والآن، لقد خاب الأمل الثانى الذى كنت تأملينه. إن فرانكلين كلارك لن يرث أخاه!»

قالت تورا جراى وقد انتصبت قامتها: «هل توجد ضرورة تحتم بقائى هنا عندما توجه لى إهانة؟» فقال بوارو: «لا توجد أى ضرورة لبقائك هنا» وقام بوارو بسرعة إلى الباب وفتحه بأدب، وخرجت تورا جراى، ومشت فى طريق لا نعرفه، وعاد بوارو إلى مكانه بيننا.

وبعد انصراف تورا جراى بقليل قلت لبوارو: «تلك البصمة على الآلة الكاتبة يا بوارو حسمت الأمور. لقد تهاوت مقاومته وتحطمت وتناثرت شظايا صغيرة عندما أخبرته بوجود بصمته على الآلة الكاتبة التى كانت موجودة عند كاست؟»

فقال بوارو بعد شئ من التفكير: «لقد قلت ذلك لكى أرضيك يا صديقى» فقلت له: «ولكن يا بوارو، ألم توجد أى بصمة له على تلك الآلة الكاتبة؟» فقال بوارو: «كلا، لم تكن توجد أى بصمات على الآلة الكاتبة. ولكن الأدلة الأخرى التى ذكرتها له قبل ذلك أدلة قوية وصحيحة. وكان هو يُمَوّهُ علينا ليرتكب جرائمه وبقصد ألا يُكشف أيضا، فلماذا لا أُمَوِّهُ عليه أنا مرة واحدة من أجل كشف الحقيقة؟ وهو هل سيطلب منى معاينتها وهو جالس معى فى منزلى كعضو مؤسس فى رابطة المضارين من الجرائم الأبجدية؟ ولو طلب معاينتها فمن السهل أن يعرف أنها كانت موجودة ثم زالت. كان من الضرورى زلزلة عناده وتمسكه بأكاذيبه وتبديد إنكاره لما لا يصح منه إنكاره. ولقد رأيت النتيجة يا صديقى».

هذا، ومن الضرورى أن أذكر هنا أيضا فى ختام ما أرويه عن وقائع وتفاصيل الجرائم وفقا للحروف الأبجدية تلك الزيارة التى أتحفنا بها السيد ألكساندر بونابرت كاست بعد ذلك ببضعة أيام.

ذلك أنه بعد محاولته أن يقبل يدى بوارو أخذ يحاول بكل الأساليب أن يشكره بكل جهده،

واستجمع السيد كاست أيضا قواه لكى يتكلم فقال: «هل تعرف يا سيد بوارو أن إحدى الصحف قد عرضت أن تمنحنى مكافأة مالية مجزية فى مقابل سرد موجز لحياتى وتاريخ الأحداث التى مرت فى حياتى؟ أنا ـ أنا لا أعرف فى حقيقة الأمر ماذا أفعل فى هذه المسألة».

فقال له بوارو: «اطلب مزيدا من المال. كن حازما معهم، وقل لهم إنك رجل مشهور جدا. وأنك قد أصبحت أكثر الرجال شهرة فى إنجلترا الآن. ولا تجعل لصحيفة واحدة الحق فى نشر تاريخ حياتك».

واقترب السيد كاست من بوارو خطوة أخرى وقال: «أتعرف يا سيد بوارو؟ أنا أعتقد أنك على صواب. مشهورا! أنا مشهورا فى كل الجرائد. سأعمل بنصيحتك يا سيد بوارو. ستكون النقود شيئا طيبا مطلوبا جدا... سأقوم بإجازة صغيرة... وبعد ذلك أنا أريد أن أعطى هدية زفاف قيمة للفتاة ليلى ماربورى، ابنة صاحبة المنزل الذى أقيم فيه. إنها بنت طيبة كريمة المعدن، بنت طيبة فعلا يا سيد بوارو».

وربت بوارو بيده على كتفه مشجعا له وقال له: «أنت على صواب تماما مع نفسك يا سيد كاست وأحب أن أقول لك كلمة صغيرة. ماذا لو ذهبت إلى عيادة طبيب عيون ليوصى لك بنظارة جيدة؟ إن حالات الصداع التى كنت تعانى منها ربما كانت بسبب أنك تحتاج إلى نظارة جديدة».

قال السيد كاست: «هل أنت تعتقد أن حالات الصداع التى كنت أعانى منها كان يجوز أن تكون لهذا السبب؟» فقال له بوارو: «نعم، أنا أعتقد ذلك».

وصافح السيد كاست السيد بوارو بحرارة وحماسة، وقال السيد كاست للسيد بوارو: «أنت رجل عظيم جدا يا سيد بوارو».

وكان سرور السيد بوارو من كلمات السيد كاست سرورا عظيما لأن السيد بوارو لم يستطع تواضعه أن يخفى اعتداده بعظمته التى عبر عنها بصدق وإخلاص السيد كاست.

وعندما غادر السيد كاست منزل السيد بوارو، وكان السيد كاست يشعر بأهمية وجوده بفضل جهود وعظمة كفاءات وقدرات السيد بوارو، وقال له السيد بوارو: «هكذا يا صديقى هاستينجز ذهبنا نصطاد سويا مرة أخرى، أليس كذلك؟ تحيا الروح الرياضية السليمة».

الفهرس



أجاثا كريستي

- الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.
- بيع من كتبها أكثر من **650** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.
- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في جنوب غرب إنجلترا من أب أميركي وأم إنجليزية، لكنها تقول " إني إنجليزية ". تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعاً. فرواياتها كبيرة متكاملة، فيها عشرات الشخصيات الحيَّة التي يشعر بها الإنسان دائماً. لا تترك شخصية تظهر في رواية لها دون أن توضح كل معالمها في لمسات سريعة طريفة مهما كان دور هذه الشخصيَّة في الرواية، كما تميَّزت أيضاً بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديون، ولكنهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. إنَّها كاتبة فاضلة ليس في كتاباتها ما يخجل الآباء أن يطلع عليه الأبناء. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضا أهدافاً إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

ثمن النسخة

لبنان	3000 ل. ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل. س.	مسقط	1,5 ريال
الأردن	1,5 دينار	مصر	10 جنيه
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1,5 دينار	اليمن	400 ريال

